411

HARLEQUIN

روايات أحلام

سارقة القلوب

جاكلين بيرد

www.elromancia.com
مـــرمـــلوريـــة

سارقة القلوب

هل فقد نك مانانديز المليونير الإسباني رشده؛ وإلا كيف سيشرح لصديقه أنه مأخوذ بواحدة من المشتبهين الأساسيين في قضية سرقة الماس؛ سيعتقد صديقه أنه مجنون. ولكنه سيفعل أي شيء و سيدفع أي ثمن ليبقي ليزا بعيدة عن السجن. وإن كان ذلك سيجعل منه أحمق؛ سواء أكانت ليزا محتالة أم لا. يعلم نك أن تأثيرها عليه كبير. فهل يكون إدخالها السجن هو الحل الوحيد لإبعادها عن حياته؛

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 978-9953-15-379-7

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
At the spaniard's pleasure
First published in Great Britain 2003
Harlequin Mills & Boon Limited
© *Jacqueline Baird 2003*
Translation © Dar El-Farasha - 2007
ISBN 978 - 9953 - 15 - 379 - 7

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - ستر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 961-1-450950- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية. . . ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل. . . ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا. . . لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة. . . والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

١ - صدفة مدبرة

نقر نك مانديز بأصابعه بتوتر على مقود سيارة الجيب التي استقلها من المطار. توقع أن يصل إلى لانزاروت عند الساعة التاسعة على أبعد تقدير، إلا أنه وصل متأخراً، مع أنه قدم بطائرته الخاصة، إذ لم يكن هنالك مكان للهبوط في المطار. المهمة التي يعمل عليها سوف تطيح برؤوس كثيرة، فهو رجل يحصل على ما يريد، عندما يريد. إنه لا يرضى أبداً بأن يشعر بالاحباط بسبب أي شيء أو أي إنسان!

كان عليه أن يتوقع هذا! فكر وهو يضغط على فمه بغضب. إن أي أمر يتعلق بليزا سومرز، الفاتنة الشقراء ذات العينين الزرقاوين، يسبب له الإحباط بطريقة أو بأخرى.

ظهرت ابتسامة ساخرة على فمه الحازم. لا! إن كان يرغب في قول الصدق، فإحباطه لا صلة له فعلاً بليزا.

بقي هو وليزا صديقين جيدين لسنوات عدة، حتى رآها تعانق شاباً، فجاءت ردة فعله قوية ومبالغاً فيها. لقد شعر بغيرة قاتلة، لأنه أراد أن يكون الحبيب الأول لليزا، لكن بما أنه كان مرتبطاً بخطوبة من فتاة أخرى في ذلك الوقت، فإنه لم يكن في وضع يؤهله للقيام بأي شيء حيال ذلك الأمر.

ليلة البارحة، كان نك في منزله في مالاغا، يقرأ التقرير الأخير الذي وصله من إحدى شركاته، وهي وكالة للتحريات تقوم ببعض الأعمال لصديق له، عندما قفز اسمها أمامه من الصفحة.

الشهر الماضي اتصل به كارل دالك، وهو صديق يعرفه منذ أيام

الجامعة، تملك عائلته منجم ماس في جنوب أفريقيا. طلب منه كارل المساعدة فوافق على الفور. عندما كانا طالبين قام نك وكارل بركوب الأمواج معاً. يومها سقط نك عن لوح الركوب وغاب عن الوعي، فحمله كارل متحدياً المياه الجارفة وأوصله إلى الشاطىء، لذا فهو يدين للرجل بحياته. ومع أنهما لا يلتقيان بصورة دائمة، فقد بقيا صديقين حميمين حتى الآن.

انضم نك إلى والده في شركة العائلة مباشرة بعد تخرجه من الجامعة. ومع أن الشركة ليست كبيرة، إلا أنها أصبحت من أهم البنوك التجارية في إسبانيا. مع مرور السنين، طور نك الشركة ونوع أعمالها لتصبح الشركة العالمية الضخمة الشهيرة التي هي عليها اليوم.

كارل هو واحد من القلائل الذين يعرفون أن نك يملك وكالة سرية للتحريات. إنها وكالة تقوم بعدد من التحريات الدقيقة والمهمة، تتعلق بالظواهر الإجرامية المنتشرة في العالم كله، وقد قامت رخصتها على قواعد ثابتة بالاتفاق مع الحكومة الإسبانية توخياً للحذر والأمان.

اتصل كارل بوكالة التحريات التي يملكها نك عندما حصلت عمليتا سرقة في المنجم في السنة الماضية. لكن الجزء الأدهى من القصة هو أن اللصوص، بعد أن تحققوا من قيمة الماس، عرضوه على شركة التأمين بنصف السعر.

قامت شركة التأمين بدفع نصف قيمة الماس لكارل كتعويض عن ما تمت سرقته، وفي الوقت نفسه قامت بعقد صفقة مع اللصوص، على أمل الإمساك بهم بالجرم المشهود، وذلك بالتعاون مع الشرطة. إلا أن الخطة لم تنجح. في المرتين، تمكن اللصوص من الهرب من السلطات، بعد إتمام عملية التبادل.

وقع كارل في مأزق حقيقي، لا سيّما بعد تدفق الماس من روسيا بأسعار متدنية، خلال السنوات القليلة الماضية، واختراع الماس الصناعي، حيث تدنت أرباح الشركة بصورة دائمة. كما أن الانهيار الحاصل في السوق

استنزف الشركة ومدخرات العائلة، وبات كارل يعاني من مشكلة سيولة حقيقية. والآن، ها قد حدثت عملية سرقة جديدة.

عرض نك المساعدة المالية على كارل، ووضع خبرة وكالة التأمين في خدمة شركته. بعد قراءة التقرير الأخير، شعر نك بالثقة من أنهم سيتمكنون من إلقاء القبض على اللصوص هذه المرة، بمساعدة الوكالة والشرطة الإسبانية. عندها لمح اسم ليزا سومرز... فاتصل بمدير شركة التأمين على الفور واكتشف أنها ليست سوى ليزا سومرز التي يعرفها، وهي ابنة أعز صديقة لأمه.

وعد نك أمه أنه سيمضي عطلة نهاية الأسبوع كلها معها في إسبانيا لحضور عدد من الحفلات التي ستقام لمناسبة اليوبيل الذهبي لزواج أخيها، الخال طوماس. خطته تلك تغيرت بشكل جذري عندما قرر أن يحل مكان أفضل تحرٍ لديه، وأن يسافر بنفسه إلى لانزاروت. إن كان هناك من سيستجوب ليزا، فلا بد أن يكون هو هذا الشخص. مرت ست سنوات على آخر لقاء بينهما، لكن مهما حدث خلال تلك السنوات فهو لا يستطيع أن يصدق أنها متورطة في تلك السرقات كما ذكر التقرير.

شارفت الساعة على الحادية عشرة، وهو ما زال عالقاً عند تقاطع الجسر المتحرك في أرصيف. ذلك أن مجموعة من السائحين، كما هو واضح من المركب الذي يرسو في المرفأ، كانوا يقطعون الطريق. عادة هو يحب زيارة لانزاروت، التي تعرف أيضاً بجزيرة البراكين. فالمناظر الطبيعية هناك ذات جمال يفوق الخيال، حيث ينتشر أكثر من مئة وثلاثون بركاناً، بالإضافة إلى الكثير من الحقول والحفر الناتجة عن الحمم المتجمدة.

يملك نك ڤيلا، على حدود تيمانفيا ناشيونال بارك، أسوة بملك إسبانيا وملوك عدد من البلاد العربية. إنه مكان يسمح له بالاسترخاء بعيداً عن العيون الفضولية حيث يستطيع أن يفعل ما يشاء. لكن ليس اليوم! فكر بذلك بتجهم، وقد ازداد توتره مع كل دقيقة تمر.

المعلومات التي جعلت نك يسرع إلى الجزيرة رسمت خطوطاً عميقة على

جبهته، في ذلك الوجه القاسي الوسيم، بينما كان ينقل بصره عبر المناظر أمامه. تحولت نظراته من المقهى التابع للمنتزه إلى موقف سيارات الأجرة، حيث رأى هناك حشداً آخر يثير الفوضى. ثم... وبصورة مفاجئة، أعاد نظره إلى المقهى. اتسعت عيناه، ثم ضاقتا على المرأة الوحيدة الجالسة إلى إحدى الطاولات.

شعر أشقر طويل عقد إلى الوراء بوشاح، يظهر تحته جمال رائع لجانب وجهها. عنق نحيل وكتفين ناعمتين تظهر من خلال قميص قطني أزرق ضيق، كما يلتف بنطلون أبيض حول ساقين طويلتين ممددتين أمامها، تتقاطعان عند كاحليها بنعومة ورشاقة.

شعر نك بتوتر يسيطر على جسمه الضخم. حسناً! حسناً! المعلومات التي حصل عليها صحيحة. فكر وهو يهز رأسه برضى.

تمكن كارل بمساعدة شرطة جنوب أفريقيا من ملاحقة لصوص الماس عبر أفريقيا إلى صحراء ساهارا. تبين أنهم قطعوا مسافة البحر القصيرة إلى جزيرة لانزاروت، حيث اختفوا إما في الجزيرة أو في البحر. هذه المعلومات سوف تساعد في القبض على اللصوص، لكن ليس هذا ما يريده كارل، إنه يريد الرأس المدبر في أوروبا ليتمكن من إيقاف السرقة نهائياً.

أفاد التقرير الذي قرأه نك ليلة البارحة من وكالته، أنهم قاموا ببعض التحريات في القارة، وقد أوصلهم ذلك إلى هنري براون، مدير شركة «ستابس وشركاه» في لندن، وهي شركة للاستثمار محترمة جداً. لاحق أحد التحريين في الوكالة هنري براون واكتشف أنه سافر إلى لانزاروت في ذلك اليوم مع مساعدته الشخصية.

صرّ نك على أسنانه بقوة وهو يتأفف بسبب الازدحام، إنه ما زال غير قادر على استيعاب حقيقة أن المساعدة الشخصية للرجل ليست إلا ليزا سومرز. الفتاة التي تعرف عليها وهي في الثامنة من عمرها، أصبحت تلك المرأة الجالسة على الكرسي في المنتزه، والتي تبدو وكأن لا هم لديها في العالم أجمع... فكر أن هذا الأمر سيتغير إن علمت ما ينتظرها.

استلم كارل دالك نسخة عن التقرير ذاته، وتكلم معه عبر الهاتف في ساعة متأخرة من ليلة البارحة، وقد بدا مبتهجاً بسبب تلك المعلومات التي ستسمح لهم بنصب فخ محكم للصوص. بقيت هناك حلقة مفقودة وهي معرفة اسم الوسيط في لانزاروت. غير أن نك كان ما زال يعاني من الصدمة لرؤيته اسم ليزا، وعلم أن عليه أن يتحرك بسرعة لإقناع كارل بأن يدعه يتولى شخصياً التحقيق معها. أخبر كارل أنه قادم إلى هنا بكل الأحوال بسبب عمل استثماري خاص به، وقام بالترتيبات اللازمة ليسافر إلى هنا في أقرب وقت ممكن على متن طائرته الخاصة.

في الواقع، كان من الأفضل له أن يبقى بعيداً عن تلك الأحداث، فهذه مسألة معقدة جداً بالنسبة لنك. هو يدعم كارل كلياً وبدون أي تحفظ، فهذه عملية سرقة وابتزاز، ويمكن إطلاق جميع الأسماء المشينة عليها، لكنه لا يريد أن يصدق أن ليزا سومرز متورطة بها. مع أنه لا يغفر مطلقاً للمحتالين أو الذين لا يتحلون بالنزاهة، لكن إن كانت متورطة فعلاً فسيحاول أن يبقيها بعيدة عن اللصوص وعن الصحافة. إنه يدين بذلك لصداقة العائلة وللطفلة المرحة التي كانتها في السابق.

عينان حادتان وداكنتان كالليل جالتا فوقها مرة ثانية. تكورت شفتاه عن ابتسامة ماكرة، فليس هناك أي شيء طفولي فيها الآن. يعتبر نك خبيراً بالنساء الجميلات، ومن المؤكد أن هذه المرأة تناسب تماماً القائمة. أقنع نفسه أن الأمور تتحسن بشكل واضح، وشعر أن فكرة استجواب الجميلة ليزا أصبحت فجأة أكثر إثارة.

راقب نك المرأة تنزع نظارتيها وتنظر باتجاهه. لم تكن تنظر إليه، بل نحو الجسر المتحرك، أدرك ذلك وقد ضغطت يداه بقوة على مقود السيارة، في الوقت الذي شعر فيه فجأة بتوتر في أعماقه. ليس هناك أدنى شك بذلك. إنها ليزا سومرز.

ردة فعل جسمه فاجأته، فهو لم يتأثر مطلقاً وبصورة تلقائية بامرأة منذ وقت طويل. إنه مشهور بقدرته على السيطرة على نفسه، وكاد أن يشعر

بالانزعاج مما حدث له، لكنه فكر أن إيجاد ليزا بهذه السرعة هو أول ضربة حظ له هذا الصباح.

إنه لم يرَ المرأة منذ ست سنوات، وإن أراد قول الحق، فهي أكثر جمالاً مما يستطيع أن يتذكر، في الظاهر على الأقل. ذكر نفسه بذلك بسخرية، إذ لا مجال لأن ينسى العمل الملقى على عاتقه. تباً للقانون! أوقف الجيب على جانب الطريق وقفز منه.

- ليزا... ليزا سومرز...

* * *

وضعت ليزا فنجان القهوة على الصحن محدثة ضجة، فالصوت الأجش العميق جعل يدها ترتجف. آه، لا! تأوهت بهدوء. لا يعقل أن يحدث ذلك. فهي لم تسمع ذلك الصوت منذ أن كانت مراهقة، والآن في جزيرة صغيرة في وسط المحيط الأطلنطي، يتردد هذا الصوت في رأسها كأنه شبح من الماضي.

- اعتقدت أنك أنت.

لاح ظل طويل أسمر فوقها، حاجباً عنها نور الشمس. كانت عيناها على مستوى ساقيه القويتين المغطاتين ببنطلون من الكتان. رفعت رأسها وهي تبتلع غصة، فرأت خصراً نحيلاً يعلوه صدر عريض. بدت كل عضلة من عضلات جسمه مرسومة بوضوح تحت قميص قصيرة الأكمام سوداء اللون، أما كتفاه فبدتا أكثر عرضاً واتساعاً.

مالت برأسها إلى الوراء، وشعرت بقلبها يضطرب في صدرها؛ كان وجهه في الظل لكنها كانت لتتعرف عليه في أي مكان. قالت: «أنت؟».

والتقت عيناها الزرقاوان بعينيه البنيتين الداكنتين؛ نيكولاس منتدايز!

عادت بها الذكريات إلى الوراء، عندما كانت في الثامنة من عمرها والتقت به للمرة الأولى...

كان والدها قد توفي فتلقت أمها دعوة من أعز صديقاتها آنا منتدايز، لقضاء عطلة في منزلها في إسبانيا. فالمرأتان تعلمتا في مدرسة داخلية في

إنكلترا، آنا ابنة دبلوماسي إسباني وباميلا ابنة ضابط في الجيش. تزوجت آنا من إسباني ثري وبام تزوجت من جندي، وبقيت المرأتان على اتصال عبر السنين، من خلال الرسائل البريدية.

ملأت ذكريات من الماضي ذهن ليزا. لقد شعرت بالافتتان بنيكولاس منذ اللحظة الأولى التي رأته فيها. في الثامنة عشرة من عمره كان أجمل شاب رأته عيناها. انشغلت بالتحديق به فتعثرت وسقطت على الحجارة المرصوفة في الحديقة، وجرحت ركبتها. بدأت بالصراخ لكن نيكولاس رفعها عن الأرض وهو يبتسم لها، ثم حملها على كتفه إلى المنزل الكبير.

أصبح نك بطلها منذ تلك اللحظة. كان الأخ الأكبر الذي لم تحصل عليه أبداً، وراحت تتطلع باستمرار بشوق إلى الأسابيع الثلاثة التي تمضيها في منزل منتدايز الريفي كل صيف.

صوت نك العميق الأجش قطع أفكارها: «هل تمانعين إن جلست معك؟ فأنا لم أرك منذ سنين».

تلعثمت قائلة: «ماذا؟».

ما زالت مضطربة من صدمة حضوره المفاجىء، فنك هو من علمها ركوب الخيل، وأنقذها من السقوط من فوق الأشجار أو الصخور الشاهقة، وفي إحدى المناسبات التي لا تنسى هو من حملها عندما سقطت عن حصانها. لكن عندما أصبحت في الرابعة عشرة من عمرها تبدلت عواطفها نحوه، وتحولت إلى إعجاب كبير به، وفعلت ليزا كل ما في وسعها لتحاول جذب انتباهه إلى أنوثتها المتفتحة.

- يبدو أنك لست سعيدة برؤيتي.

رفع يده وأشار إلى النادل، ثم طلب فنجاناً من القهوة وسألها: «هل ترغبين بفنجان آخر؟».

- لا... نعم...

تلعثمت وكأنها فتاة حمقاء، لكنها حقاً مندهشة. لقد ظهر أمامها فجأة كالجني الذي يخرج من عنق الزجاجة، وملأ عقلها بالذكريات المختلفة.

علاقتهما السابقة انتهت بشكل مأساوي عندما كانت في السادسة عشرة من عمرها. كانت ليزا غارقة في حب نك، وأصيبت بصدمة كبيرة عندما تعرفت إلى خطيبته وهي امرأة جذابة وجميلة تدعى صوفي، وهي إحدى قريبات العائلة.

فجأة رأت ليزا نفسها وأمها كما هما في الواقع: الصديقة المسكينة التي قُدمت لها فرصة قضاء عطلة مترفة مع ابنتها بدافع من الإحسان. في ذلك الصيف ثارت، وغضبت، وخرجت برفقة أحد الشبان الذين يعملون في الإصطبل. لكن لسوء حظها أن نك رآهما وهما يلهوان في الإصطبل الفارغ، وكانت تلك المرة الوحيدة التي سمحت له بمعانقتها... إنها ما زالت تذكر وجه نك الغاضب كالرعد.

اجتاحت رجفة عمودها الفقري، وتسارعت دقات قلبها. لم تشأ أن تفكر بما حدث حينها، لكن التوازن والتصميم يغادرانها بدون شك عندما يتعلق الأمر بنك. نك منتديز هو مجرد رجل متفاخر، مسيطر، مخيف ووغد. بقيت ليزا بعيدة عن طريقه طوال الوقت المتبقي لها هناك، أما عندما كان يراها صدفة، فكان يعبس بقوة ويظهر الازدراء بوضوح في عينيه القاسيتين. شعرت ليزا بالراحة أخيراً عندما غادرت هي وأمها، ولم تعد إلى هناك ثانية.

هزت رأسها في محاولة لتبعد عنها الذكريات الماضية. رفعت نظرها إليه، وكان قد ابتعد قليلاً، فأضاءت الشمس ملامح وجهه الرائع، وشعرت بقلبها يقف في حلقها.

رفع نك حاجبه متسائلاً: «إذاً... هل أستطيع الجلوس؟».

بدا صوته العميق وكأنه يحمل شيئاً من السخرية.

تمكنت أخيراً من الإجابة بكياسة: «من فضلك اجلس».

مع أنها لا تزال تشعر بالصدمة من تلك الصدفة المذهلة التي جعلتها تلتقي بنيكولاس في لانزاروت. عرفت ليزا أنه ورث شركة العائلة بعد وفاة والده. كانت ترى اسمه في صفحة الإشاعات في المجلات في مناسبات عدة؛

عندما يحضر حفلة خيرية، أو عرض مسرحي للمرة الأولى، كذلك في السباقات، وتبتسم للتعليق الذي يرافق الصور والإشارة إلى مزرعة الخيول الشهيرة لعائلة منتديز.

قال نك، وهو يبعد كرسياً ليجلس عليه: «آخر مرة التقينا فيها كانت في جنازة أبي».

تمتمت ليزا بتهذيب: «آه، صحيح!».

ذلك يوم آخر من الأفضل لها أن تنساه. كانت قد أصبحت في التاسعة عشرة من عمرها وهي تتابع دراستها في الجامعة في لندن، وتعيش في جناح خاص بالطالبات، عندما أصرت أمها عليها بأن تسافر برفقتها إلى إسبانيا لحضور الجنازة. كان نك ما يزال خطيب الفاتنة صوفيا، ووجدته ليزا مثيراً للقلق كالعادة، وعندما تنازل ونظر إليها بقيت ملامح وجهه غاضبة ومليئة بالازدراء. لم تره ليزا منذ ذلك الوقت.

تمنت لو أنه يجلس بدلاً من أن يمسك بالكرسي ويقف كالبرج فوقها، كأنه طائر أسود كبير يعاين فريسته. كان يبتسم لها وكأنها صديقة طال انتظاره ليراها، وبطريقة ما لم تصدق ما تراه. فكرت بجفاء أنه يشبه نسراً جشعاً يرغب في التقاط عظامها.

قالت ببرودة، مع أن الأفكار راحت تتسارع في ذهنها: «حسناً! من الرائع أن ألقاك هنا، اعتقدت أنك تعيش في أنتكورا».

- أمي ما زالت تعيش هناك، لكنني أصبحت ولداً كبيراً الآن، ليزا. وقد تركت المنزل منذ سنوات عدة.

قال ذلك بسخرية، وأخيراً جلس بقربها. إنه ضخم الجسم حقاً، وأكثر وسامة من ذي قبل. أدركت ذلك وهي تشعر ببشرتها تتورد عندما لامستها ذراعه بالصدفة.

تابع نك ببساطة: «أعتقد أن هذا ما فعلته أنت أيضاً بعد تخرجك من الجامعة. أليس كذلك؟».

يد كبيرة غطت يدها الناعمة الملقاة بارتياح على الطاولة، ولدهشتها

سرى في ذراعها تيار قوي أشبه بالصدمة الكهربائية.

قال وهو يضغط على يدها: «أمي تتحدث عنك باستمرار... من الرائع حقاً أن أراك من جديد».

من الرائع أن يراها! لا بد أنه يمزح، فهو لا يتحمل رؤيتها. شعرت ليزا بالاحمرار يعلو خديها. أقنعت نفسها أنها تكرهه طيلة سنوات مضت، ومع ذلك أشعرتها لمسته بفيضان من الحماس والإثارة في داخلها. التقت عيناها الزرقاوان بعينيه البنيتين الداكنتين. هل هناك صدق وإخلاص في أعماق عينيه؟ أبداً... ولو بعد مليون سنة!

هي لن تقع تحت سحره وجاذبيته مرة ثانية. تمتمت بكلام غير مترابط: «نعم... حسناً...».

- سامحيني لأنني فاجأتك. لمحتك ولم أستطع تصديق عيني.. أصبحت امرأة رائعة الجمال، ليزا.

نيكولاس منتديز يقدم لها إطراء ما! لا بد أنه يمزح بعد الكلمات المهينة التي قالها عنها في الماضي.

قالت بشيء من السخرية والانتقاد: «شكراً لك».

سحبت يدها من تحت يده، وأخفضت عينيها لتبعدهما عن نظرته القاسية. ما زالت ليزا تتذكر جيداً كل ثانية من لقائهما في الاسطبل منذ سنوات عدة.

بعد أن صرف الفتى، جذبها نك بقوة إلى صدره وعانقها بقسوة. المخجل في الأمر هو أنها استجابت لعناقه بطريقة لا تستطيع تخيلها، حتى في أغرب أحلامها. لقد التصقت به بشدة، لكنه أبعدها عنه نحو المربط، ووبخها بكلام لا يزال محفوراً في عقلها حتى الآن.

- يا إلهي! أنت تخرجين برفقة عامل الإسطبل! كم كنت مخطئاً بشأنك. أنا أراقبك منذ سنتين.. تتدللين وترمين بنفسك عليّ... اعتقدت أنه مجرد تصرف بريء لفتاة شابة تحاول أن تظهر أنوثتها. لكن كما يبدو، أنت لست كذلك... أنت لست سوى مجرد مستهترة خليعة.

ما زالت تلك الذكرى تؤلمها، لكن ليزا وجدت بعض العزاء لأنها - على الرغم من كونها يافعة - امتلكت الجرأة لتصفع وجهه المتفاخر.

تراجع نك على مقعده إلى الوراء، ونظر إلى المرأة الجالسة أمامه. لقد كانت طفلة متهورة، مليئة بالمرح، وشوكة في خاصرته كونها مراهقة مستقلة، وقد أصابته بخيبة أمل مريرة عندما وجدها تمرح مع عامل الإسطبل. لكنها أصبحت امرأة نادرة الجمال، وهو لا يشعر بالراحة مطلقاً لأنها لا تزال تؤثر به بعد كل تلك السنوات التي أبعدها فيها عن فكره. ليلة البارحة، أدهشته ردة فعله القوية وشدة عاطفته عندما أدرك أنها متورطة، وكذلك رغبته في حمايتها بأية طريقة ممكنة.

لكنه ليس أحمق؛ لقد ورثت ليزا ملامح أمها، وبشرتها الشفافة الشاحبة. وأعلمه الاضطراب الذي يلون خديها والنظرة المراوغة في عينيها الزرقاوين الرائعتين أنها مذنبة بشأن ما، بدون أي شك. هو لا يعلم أكان ذلك بسبب تورطها بسرقة الماس أم لا، لكنه مصمم على اكتشاف الأمر من أجل مصلحة كارل.

صرح نيك: «يمكنني أن ألاحظ أن الحياة جيدة معك، ليزا. من الرائع أن أراك سعيدة تمضين عطلة هنا».

جالت عيناه فوق وجهها بتقدير وإعجاب واضحين.

علقت ليزا بنعومة: «نعم، صحيح. فحرارة الشمس دواء في فصل الشتاء».

ها قد أصبحت أكبر وأكثر حكمة، وليست مستعدة لتقبل صداقته المقدمة ببساطة.

ضاقت عينا نك وركز على وجهها الجميل، فرأى الضيق الذي ظهر فجأة على شفتيها؛ بدت إجابتها مراوغة، وبالكاد تبدو ردة فعل لشخص بريء.

سألها، محاولاً أن يكتشف تماماً ما الذي تعرفه: «هل أنت في عطلة هنا، أم أنك في رحلة عمل؟ لقد مرّ وقت طويل على آخر لقاء لنا، ولا فكرة

لدي مطلقاً عما تفعلينه الآن».

للحظة عابرة رغب في أن يسألها: أتراك تشاركين في عملية لسرقة الماس، كما ذكر تقرير وكالتي؟

تلاشت تدريجياً صدمة لقاء نيكولاس مانانديز، وفكرت ليزا أن ليس هناك أي سوء في التحدث عن عملها.

- إنني مساعدة شخصية لمدير في مؤسسة مالية في لندن.

فكرت أن هذه معلومات عامة وآمنة، أخبرته باسم الشركة، ومدّت يدها مشيرة إلى الخليج ثم تابعت: «أما بالنسبة لهذه الرحلة، فقد بدأت كرحلة عمل لحضور مؤتمر بيئي في كوستا تيغايز، على أمل القيام بأعمال تتعلق بالنباتات والأشجار، كإنشاء حدائق خضراء على ما أعتقد، لكن بصورة مفاجئة انتهى الأمر كعطلة بالنسبة لي. فرئيسي لديه عادة تبديل رأيه».

أنهت ليزا كلامها باستياء. هذا ما اكتشفته بسرعة في الأسابيع القليلة التي عملت فيها مع السيد براون.

وصلت إلى الجزيرة البارحة مع رئيسها. ونزلا في فندق خمس نجوم في كوستا تيغايز لحضور المؤتمر الذي سيستمر لمدة أسبوعين. لكن، وبعد أن اختفى مساء البارحة قبل العشاء، ظهر هنري براون هذا الصباح وأعلمها أن المؤتمر لا أهمية له مطلقاً بالنسبة للشركة.

وبدلاً من ذلك طلب منها أن تقدم له خدمة بإيصال رزمة إلى متجر الأدوات البصرية في أرصيف، عاصمة الجزيرة، وبعد ذلك يمكنها اعتبار الوقت المتبقي كله ملكاً لها. قال لها إنه يمكنها البقاء في الفندق، طالما أن بدل الإقامة قد تم دفعه، أو بإمكانها الذهاب إلى حيث تشاء. فقط عليها أن تكون في الفندق في العشاء الاحتفالي في الليلة الأخيرة، وهكذا ستستقل الطائرة معه في اليوم التالي. أما هو فسيذهب برحلة بحرية، لكنه سيعود في صباح يوم الاحتفال، وإذا ما اتصلت زوجته وتمكنت من التحدث إلى ليزا، فعليها أن تخبرها أنه تم استدعاؤه فجأة.

قالت له ليزا إنها غير مستعدة للكذب على زوجته، فعلّق أنها الآن المساعدة الشخصية له، بعد أن كانت لمدة أربع سنوات سكرتيرة السيد ستابس الذي استقال مؤخراً. هذه هي المرة الأولى التي تسافر معه، وإن كانت تعرف قيمة عملها، فعليها أن تعتاد على إطاعة أوامره.

راود ليزا شك مليء بالازدراء من أنه نظم الرحلة كلها ليتمكن من قضاء هذا الوقت مع عشيقته.

كاد نك يرد عليها بسخرية؛ حدائق خضراء! الشيء الأخضر الوحيد الذي يثير اهتمام هنري براون هو الدولار. لا يمكن لليزا أن تكون بهذه السذاجة.

علق قائلاً: «هذا من حسن حظك».

ردة فعله نحوها أصبحت أكثر قسوة. إذاً هي ليست مجرد كاذبة، بل هي أيضاً في منتهى الذكاء. إنها تقول شيئاً من الحقيقة ممزوجاً ببعض الخيال، فكر نك مشككاً، وقد جالت عيناه مرة ثانية فوق وجهها وجسمها. تساءل إن كانت ليزا على علاقة مع رئيسها.

كانت تتصرف بخفة واستهتار وهي في السادسة عشرة من عمرها، وهو يعتقد أن ما من رجل يستطيع أن يرفضها.

وافقت ليزا ببرودة، قائلة: «نعم. ما تقوله صحيح».

هنري براون رجل متزوج وسعيد، لكنه تودد إليها في الأسبوع الأول الذي بدأت فيه العمل في الشركة، إلا أنها صدته بحزم، وتقبل ذلك بطريقة جيدة. وقد تمكنا من إنشاء علاقة عمل رسمية عبر تلك السنوات. تعرف ليزا أن هنري براون شخص خبيث جداً، ومن المحتمل أنه يشكل قوة عالمية في مجال الأموال، لكنه وبدون أي شك، ليس زوجاً وفياً. مع ذلك، فحياته الشخصية لا تعنيها مطلقاً، فهي ليست الحارسة الأخلاقية لرئيسها.

عاد النادل بالقهوة، فأمسكت ليزا فنجانها، ورشفت القشدة الشهية الرائحة. كادت تشعر بتحديق نظرات نك عليها بعد أن طال الصمت بينهما، لكنها لم تجد سبباً لتستمر في الحديث، فهي ليست مسؤولة عن هذا

الاجتماع معه.

منذ عشرين دقيقة، وبعد أن أوصلت الرزمة، جلست إلى هذه الطاولة لتشرب فنجاناً من القهوة، وقالت لنفسها إنها ستستمتع بهذه الفرصة غير المتوقعة. فمن الرائع أن تتمكن من الجلوس في الخارج في شهر كانون الثاني، حيث الحرارة كالبلسم بعد الشتاء العاصف الذي تركته في إنكلترا. وضعت فنجان القهوة على الصحن بيد أقل ثباتاً، فهي لا تستطيع التصديق أن نك يجلس فعلاً بجانبها. الأسوأ من ذلك هو أنه يؤثر بها، ويبدد تماسكها الجليدي بطريقة لم تحدث معها سابقاً مع أي رجل آخر.

علق نك أخيراً: «سمعت بستابس، إنها شركة ناجحة جداً، على ما أعتقد».

تفاجأت ليزا من فحوى الحديث واحتاجت للحظة كي تتذكر ما كانا يتحدثان عنه.

– لا بد أن أمك فخورة جداً بنجاحك، مع أنني أشعر بالانزعاج من الاعتراف أنني لم أرها كثيراً خلال السنوات الماضية. أعرف أنها ما زالت تقوم بزيارة أمي، ومن المؤسف أنك ما عدت تأتين معها أبداً.

قال ذلك ببساطة. لكنه لمح نظرة الرعب التي ظهرت فجأة في عينيها، وتساءل عن السبب. بدا كلامه عادياً جداً، ولا يحمل أي أذى. ليزا اليوم هي امرأة مترفة، أنيقة، لكن ذلك البريق من الخوف يؤكد ببساطة شكوكه المتزايدة بأنها تخفي شيئاً ما.

ردت باقتضاب: «ربما... في وقت ما».

هي لا تريد أي أثر يذكرها بالأيام التي قضتها في منزله.

سألته: «وما الذي تفعله أنت هنا؟ اعتقدت أنك ما زلت تعيش في إسبانيا».

– أتيت بالطائرة هذا الصباح. لدي ڤيلا هنا، كما أنني أملك منزلاً في مالاغا، بالإضافة إلى منزل العائلة. أعمالي تأخذني إلى كل أرجاء العالم.

تمتمت: «كم هذا رائع! وما هو عملك بالتحديد؟».

سألته ذلك بسخرية وكادت تضيف: بالإضافة إلى التجول في العالم في طائرتك الخاصة، برفقة امرأة فاتنة. لكنها قاومت بشدة تلك الرغبة العنيفة.

إن كان هناك من ولد في هذه الدنيا وفي فمه ملعقة من الفضة فلا بد أنه نيكولاس مانانديز. الطفل الوحيد لأثرى أثرياء العائلات في أوروبا. عاش نيكولاس حياة رائعة، ومارس كل نزوة طرأت على باله، من الطيران في السماء، إلى القفز من الأعالي، أو حتى التزلج في جبال الألب. لطالما اعتقدت ليزا أن مغامراته تدل على شجاعة وجاذبية عندما كانت طفلة. لكن التنقيب في الماضي يحرك الذكريات التي تفضل أن تنساها. رسمت ابتسامة على وجهها، وأجبرت نفسها على النظر إلى عينيه.

للحظة اعتقدت أنها رأت بريقاً من الغضب في أعماق عينيه، لكنه ما لبث أن أظهر لها سروره برؤيتها من خلال ابتسامة مشرقة أنارت وجهه، وجعلتها تشعر بالارتباك و...

قال بنعومة: «في هذه اللحظة بالذات، أنا أتحدث مع امرأة جميلة، بينما من المفترض أن أقوم بمعاينة أرض لإنشاء بناء عليها، تقع في الجهة الأخرى من الجزيرة».

علّقت: «إذاً أنت تقوم بتشييد مبانٍ خاصة. لا بد أن هذا العمل مثير».

شعرت بالرضى لحصولها على فرصة تبدل بها الموضوع. فنيكولاس يقوم بالتودد إليها، ويمازحها، وهذا أمر يثير قلقها.

– أذكر أنك كنت تدرس الفنون. أليس كذلك؟ لكن والدك كان يريدك أن تدرس المحاسبة والأمور المالية، على ما أعتقد.

قالت ذلك وهي ترفع حاجبها الأنيق الرفيع. نك نزل عند رغبة والده ليرث كل شيء، وتزوج من قريبة للعائلة بموافقة أهله: صوفيا. تذكرت ليزا ذلك بانتقاد وسخرية.

– أنت محقة في كل ما قلته، لكن بعد توقف والدي عن العمل، قمنا بالكثير من الأعمال، وإنشاء المباني هو واحد من المشاريع الصغيرة الخاصة

بي وحدي.

صدقته ليزا وهذا ما أدهشها. إذ لم يكن هناك أي شك بالحماس في نبرة صوته والتصميم القوي في عينيه الساحرتين وهو يتحدث عن المشروع.

- هنا في لانزاروت مثلاً، المناظر الطبيعية تأسرني. كما أن العمل مثير للخيال، فتشييد مبنى يسعد الناظر إليه، لا يسبب أي انتقاص من جمال البيئة الفريدة من نوعها. لا تسيئي فهمي. فأنا لست من المتطرفين في الحفاظ على البيئة. لأنني أستمتع جداً بكماليات الحياة.

كادت ليزا تراهن على أنه يفعل ذلك! جالت عيناها الزرقاوان على وجهه الوسيم، وفمه الأنيق، وظهرت ابتسامة خجولة على شفتيها.

تابع نك يقول: «لكن هنا ليس هناك مبانٍ تتجاوز الأربعة طوابق، لا سيّما بعد إنشاء قاعة سيزار مانريك الأكبر، وهو نحات محلي شهير. من المحتمل أنكِ رأيت بعض أعماله في الجزيرة».

- لقد قرأت عنه، لكنني وصلت بالأمس بعد الظهر، ولم أحظَ بفرصة بعد لأتجول في الجزيرة.

قالت ذلك، واتسعت ابتسامتها للحظة عندما لمحت الشاب الذي كانه وهو في الثامنة عشرة من عمره. شاب مليء بالمثل العليا راح يفسرها لطفلة يافعة، قبل أن يحوله النضوج والمال إلى هذا الرجل الذي هو عليه الآن.

أعلن نك: «في هذه الحالة ليزا، يجب أن تسمحي لي بأن أكون دليلك لهذا اليوم».

رماها بابتسامة أخرى من ابتساماته الرائعة. شعرت بقلبها يترنح للحظة، ما جعلها تحدق فيه مذهولة. تابع بنعومة: «هذا إذا كنت بمفردك، بالطبع».

صوته العميق المخملي تلاعب بأعصابها، كأنه شراب من العسل الصافي. فتلعثمت قائلة: «نعم... نعم... أنا بمفردي».

إنه حقاً رجل ملفت للنظر، ولا شك أن السنوات التي مرت منذ أن التقيا آخر مرة كانت لطيفة به. وإن أرادت قول الحق فإنه أكثر جاذبية مما

تتذكره، أعطاه النضوج شخصية أكثر مهابة، وبدا وجهه الوسيم مذهلاً بملامحه التي تبدو كأنها منحوتة بعناية، وكذلك بدا خداه المرتفعان وفمه الملتوي. أما عيناه، فذات لون بني داكن مع رموش سوداء كثيفة. تلك العينان تذيبان قلب أية امرأة، وذلك الشعر الأسود الناعم كالحرير يغري أصابع أية حسناء. وليزا لا تشكل استثناء؛ إنها حتى لم تدرك أنها تحدق به، ولم ترَ مطلقاً وميض النصر في عينيه الساحرتين.

وسامة نك مانديز وقوة حضوره بدوا مسيطرين؛ فهو يتمتع بسحر قوي وهالة من الجاذبية تثير كل إحساس بالأنوثة لدى المرأة. تأوهت ليزا بصوت عالٍ ما إن استيقظت كل أحلام مراهقتها وأوهامها الدفينة وعادت تعذبها.

حرك نك عينيه بمرح وقال: «إنني مندهش، أيمكن أن تكون فتاة رائعة مثلك وحيدة! لكنني أشعر بالامتنان لذلك».

اتسعت عيناها أمام وجهه الجذاب، بسبب إطرائه الساخر.

- ما رأيك بالذهاب معي في الجيب؟ إلا إذا كنت ترغبين بفنجان قهوة جديد.

أشار بيده القوية إلى حيث أوقف الجيب في مكان لا يسمح فيه بوقوف السيارات على الرصيف، وتابع: «عليّ أن أعاين موقع البناء، لكن بعد ذلك أنا تحت تصرفك».

صورة نك قربها وتحت تصرفها ملأت رأسها، وبسرعة شعرت بالخجل من أفكارها، فأجابت بسرعة: «كنت سأعود إلى الفندق لأمضي الوقت قرب بركة السباحة».

ما زالت تشعر بالخجل قليلاً من نك هذا الجديد والساحر. عبر السنين عملت جاهدة على التخلص من أي أثر من العواطف المتعلقة بهذا الرجل، وهي ليست واثقة إن كانت راضية عن طريقة اختراقه لدفاعاتها بسهولة، وذلك بمجرد ابتسامة فقط.

في الماضي، كان قاسياً جداً في انتقادها، ومؤلماً أيضاً. فلماذا هذا

التبدل المطلق، والتعليقات المليئة بالإطراء الآن؟.

نك رجل ديناميكي، ذو سلطة، بالإضافة إلى ثرائه ووسامته. فلا عجب أنه متفاخر وواثق جداً من نفسه. لكن من المؤكد أنه متزوج الآن ولديه عدد من الأطفال، مع أن أمها لم تذكر ذلك مطلقاً.

- ربما... زوجتك صوفيا، ستعترض.

حمقاء، حمقاء! انتقدت نفسها بقسوة ما إن خرجت الكلمات من فمها. ضاقت عيناه الغامضتان بقوة وهو يحدق بوجهها الذي ظهر عليه الاضطراب. فنك رجل متمرس جداً في ما يتعلق بالنساء، وعلى رغم حذرها وتحفظها شعر بالانجذاب الضمني بينهما. إنه يعجبها، وسؤالها عن حياته الزوجية يؤكد ذلك.

- انفصلنا أنا وصوفي منذ سنوات. ليس لدي زوجة، ولا أية روابط. وأنا سعيد بحالتي هذه. والآن، لا مزيد من الجدال.

وقف نك على قدميه ومدّ يده إليها قائلاً: «هيا! أنت تعلمين أنك تريدين ذلك».

قال ذلك بكبرياء واضحة وابتسامة ماكرة، ثم تابع: «قيل لي إنني رفيق ساحر، ومن المؤكد أنك لا تريدين أن تخيبي أملي وتقضي على هالتي الرقيقة».

ابتسمت ليزا له، فهي لم تستطع إلا أن تفعل. قالت ساخرة: «سيكون ذلك استحالة. لكن من المؤكد أن رجلاً في مركزك لديه أشياء أفضل يرغب القيام بها بدلاً من تمضية النهار في التجول معي».

ذكريات الماضي تجعلها شديدة الحذر، فقد أظهر نك كرهه لها بوضوح كلي، وما زالت حتى الآن غير مقتنعة بصدقه.

- أما زلت غاضبة مني؟ بسبب تأنيبك وأنت طفلة؟

عينان قاسيتان حدقتا بها، وقد عرف سبب ترددها... تأنيب؟! أهذا ما يفكر فيه بالنسبة إلى إهانة أنوثتها المتفتحة بسيل من الشتائم وبعناق شرس؟ فكرت أنه ربما على حق، وأنها بالغت كثيراً في تأثرها بما حدث.

أنكرت قائلة: «لا! بالطبع لا».

إن كان قادراً على التصرف بمثل هذه البساطة بشأن شجارهما، فهي تستطيع ذلك أيضاً. وضعت يدها في يده، وسمحت له بأن يشدها لتقف على قدميها. تتمتع ليزا بقامة رشيقة وطويلة، مع ذلك بقي نك يطل عليها كالبرج، فأمالت رأسها لتتمكن من النظر إليه.

سألته: «لماذا عليّ أن أكون غاضبة؟».

فجأة أدركت كم هو قريب منها بجسده القوي، لكنها لم تكن قادرة على الابتعاد عنه.

قال نك بصوته الأجش: «ما من سبب على الإطلاق».

سمّرها بنظرته الملتهبة، وبعد لحظة من الصمت المعبر أضاف: «ليس الآن».

تابع بصوت عميق وهو ينظر إليها بحرارة وشوق واعدين: «ما ليس مقبولاً مطلقاً من فتاة في السادسة عشرة من عمرها، لا ينطبق على المرأة الجميلة التي أصبحت عليها».

تصلبت ليزا قليلاً، فنك متفاخر كما هو عادة. هو لا يتودد لفتاة مراهقة، لكن مع امرأة ناضجة الأمر مختلف كلياً. لِمَ هي متفاجئة؟ بطريقة ما هو محق، وهذا ما جعلها تشعر بالاستياء. لف أصابعه الطويلة حول يدها، ولامس بشرتها بنعومة فائقة بإبهامه، فتوقفت عن التفكير كلياً.

- إذاً، إن لم يكن هناك أي مكان ترغبين في الذهاب إليه...

سار برفقتها بسرعة عبر الرصيف وهو يتابع: «... لشراء أي شيء لك أو القيام بأي عمل لرئيسك...».

توقف عن الكلام وتابع السير.

أنكرت ليزا على الفور: «لا، لا».

لم تكن تعرف تماماً ما الذي تحاول نكرانه، سؤاله بالتحديد أم ردة فعلها المبالغ فيها نحوه.

- انتهى عملي عندما أوصلت رزمة كلفني رئيسي بإيصالها إلى دادولاس

في البلدة هذا الصباح، وقد فعلت ذلك قبل أن ألقاك بقليل.

سأل نك بسرعة: «دادولاس، متجر الأدوات البصرية؟».

- نعم، صحيح. أعتقد أنها تحتوي على قطع من الزجاج...

تابعت مثرثرة، وهي تشعر بكل نبضة من نبضات قلبها: «... ومنذ تلك اللحظة أصبح وقتي ملكي».

رأت عينيه تلمعان بعاطفة لم تدرك معناها، وشعرت بتوتر مفاجىء في جسمه الفارع الطول، فارتجفت يدها في يده.

أكملت تقول: «لذلك أشكرك على دعوتك اللطيفة، نيكولاس».

سمعت نفسها تلفظ اسمه بطريقة رسمية في محاولة لإخفاء العواطف المشوشة تماماً بسبب اقترابه منها. سحبت يدها من يده، وهي تشعر بإحراج كبير.

شهقت ليزا حين أحاطت يدا نك الكبيرتان بقوة بخصرها، حيث أدارها نحوه، وعانقها عناقاً سريعاً، ثم رفعها عن الأرض ووضعها في الجيب.

قال بسخرية: «تتصرفين بكثير من التهذيب، ليزا. نحن صديقان قديمان وأصدقائي ينادونني نك».

ضحك بصوت عالٍ عندما تورد خداها، وبدا الذهول على تعابير وجهها. أضاف بسرعة: «ثبتي حزام الأمان».

دار أمام الجيب وقفز إلى الداخل ليجلس على مقعد القيادة، فيما تمتمت من دون تركيز: «وأصدقائي ينادونني ليزا».

شعرت بالاضطراب بسبب ذلك العناق المفاجىء. أدار نك المحرك، ونظر إليها بلمحة خاطفة، وقد أنارت ابتسامة عريضة وجهه الأسمر، ثم قال: «أعرف ذلك تماماً، ليزا».

السرعة التي قدمت بها المعلومات التي يبحث عنها جعلته يتأكد أن مهمته لن تكون صعبة كما اعتقد.

لوح بالهاتف النقال، وعلق: «عليّ أن أقوم باتصال هاتفي،

والاستقبال سيكون أفضل بعيداً عن ازدحام السير».

قفز ثانية من الجيب وسار بخطى واسعة نحو الشاطىء، فلم يترك أية فرصة لتسمعه ليزا. تباً! لكنها رائعة فعلاً. من خلال تصرفاتها الواضحة جداً، فكر نك أنها إما أن تكون بريئة تماماً ببساطة، أو أنها ممثلة من الطراز الأول.

قد يكون هناك زجاج في الرزمة! لكنه ليس من النوع الذي يستعمله صانع الأدوات البصرية، وهو يراهن على ذلك بكل أمواله. اتصل بكارل بسرعة، وأعطاه المعلومات عن مكان التسليم، ثم أقنع كارل بالتخلي عن فكرة الإمساك بليزا على الفور، إذ من الأفضل لهما أن تبقى برفقة نك، فلربما كان لديها المزيد من المعلومات التي يستطيعان استعمالها.

ما أثار قلقه عندما عاد إلى الجيب، هو أنه بدا مقتنعاً بقوة ببراءتها. إنه رجل ثري، يعتبر مثالاً للشباب العزاب، معتاد على تملق النساء وتزلفهن، وهو يتصرف بحكمة كي لا يقع في أي فخ ينصبنّه له. لكن ليزا تثير ارتباكه، وهذه العاطفة تثير قلقه، ولا تريحه على الإطلاق.

جلست ليزا بارتياح أكثر في مقعدها، في حين قام نك برميها بنظرة خاطفة قبل أن ينطلق مسرعاً.

نظرت إلى يده السمراء الأنيقة التي تلتف حول معدل السرعة، رأت أعصاب ذراعيه القويتين تتصلب وهو يبدل سرعة الجيب، وتأوهت بصمت. لماذا تراودها أفكار كهذه حول نك؟ يجب أن تتذكر أنه يعتقد أنه أفضل منها وقد أوضح ذلك جيداً منذ سنين عديدة. على أي حال، فلتحاول أن تسترخي وتستمتع باليوم كما هو؛ صديقان قديمان يمضيان وقتاً معاً ويتشاركان بالتنزه في الجزيرة. إنها لصدفة محضة أن يلتقيا ثانية. لكن في ذلك هي مخطئة بدون أي شك!

٢ - حماية مقنعة

قالت ليزا بنعومة، وهي تحدق حولها برهبة: «جبل النار! أستطيع أن أفهم لما أطلق عليه هذا الاسم».

بعد زيارة قصيرة إلى المكان الذي سيشيد عليه المبنى، أخذها نك إلى المنتزه الوطني، حيث شاهدا وهما في طريقهما أكثر من خمسين جملاً، وضعت في خدمة السياح لنقلهم إلى المناطق الوعرة. لكن نك أخذها إلى مناطق طبيعية على شكل الهلال. في البداية اعتقدت أن أشعة الشمس تسطع على حمم البراكين فتبدو حمراء اللون، لكن ما إن تقدما أكثر عبر الجبل، حتى أدركت أن الصخور بحد ذاتها ذات لون أحمر.

أوقف نك الجيب وحملها لتنزل إلى الأرض، مبقياً يده حول خصرها، فوقفت في انحناءة ذراعه، وهي تتساءل ما الذي يؤثر بها أكثر، الرجل أم الجبل. لم ترَ ليزا مطلقاً مشهداً مماثلاً، أو تشعر شعوراً مماثلاً في حياتها. فوهات البراكين، بدا بعضها واسعاً وضخماً والبعض الآخر ضيقاً وصغيراً، أما الصخور فهي سوداء وحمراء اللون، وفي بعضها أيضاً أثر للون الأخضر، لكن ليس هناك أي أثر للأعشاب.

علّق نك: «مشهد مؤثر. أليس كذلك؟ بعض الناس يعتقدون أن الآلهة راحت تضحك عندما اندفع أول بركان في قذف الحمم عام ١٧٣٠. وقد عرف طيلة مدة اشتعاله بالبركان الأعظم. اثنان وثلاثون بركاناً تفجرت معاً، وراحت تقذف كميات كبيرة من الصخور الملتهبة».

شدّ بأصابعه الرشيقة على خصرها ليقودها كي ترى منظر خمسة جبال تنساب في سلسلة واحدة.

- هناك براكين فوق قمم تلك الجبال الخمسة، انفجرت الواحد تلو الآخر كأنها مفرقعات صينية. أما البركان الأخير الذي انفجر عام ١٨٥٠، فقضى على معظم المناطق الخضراء هنا.

شعرت ليزا كأنها هي أيضاً ستنفجر؛ لم تشعر يوماً بمثل هذا الاضطراب وهي برفقة رجل، كما هي الآن. بالطبع كان لديها أصدقاء من بينهم واحد اعتقدت أنها تحبه إلى درجة جعلتها تعقد خطوبتها عليه، وبعد الخطوبة اكتشفت أنها لا تكن له عاطفة صادقة، فانتهت علاقتهما. لم يستطع أي رجل التأثير بها كما تفعل لمسة أصابع نك الناعمة. عليها أن تبذل مجهوداً قوياً لتهدىء الأحاسيس القوية التي تجتاحها لمجرد سماع صوته. وبخت نفسها بقسوة لتتخلص من تلك الأفكار، فاستدارت لتنظر إليه، ثم قالت وهي تبتسم: «لم أرَ مطلقاً شيئاً كهذا، إنها مناظر رائعة حقاً».

ظهر بريق قوي في عينيه وهو ينظر إلى وجهها القريب منه، وقال: «وكذلك أنت، ليزا».

فجأة أصبح الجو بينهما مليئاً بالتوتر. شعرت ليزا بيده على خصرها تتحرك بنعومة، وعلمت أنه سيعانقها، لكن، ولدهشتها، تراجع إلى الوراء، وأبعد يده عنها.

قال بطريقة مرحة: «أنت لم تري شيئاً بعد».

تباً! كاد يعانقها. كيف له أن يفكر بالتودد إلى ليزا سومرز قبل أن يعرف تماماً من تكون؟ سيطر على نك إحساس بالضيق، لكنه استدار وتابع: «هيا! لنعد إلى الجيب».

لم تعلم ليزا إن كان عليها أن تشعر بخيبة الأمل أم بالارتياح، لكن بعد ذلك عاد الجو بينهما إلى الصداقة المعهودة بينهما منذ سنوات عدة. تبين لها أن نك دليل ممتاز، إذ ذهبا إلى مكان سياحي آخر يقع في أعالي التلال العجيبة. ما إن وصلا إلى هناك، وضع نك بعض الحصى في يديها، وكانت الحصى ساخنة وحمراء اللون، فزعقت متفاجئة، بعدئذٍ شاهدا أحد العمال هناك وهو يرمي بغصن يابس في حفرة يبلغ عمقها حوالى العشر أقدام،

وراقبا كيف اشتعل الغضن على الفور. من هناك ذهبا سيراً على الأقدام إلى مطعم ڤولكانو، وهو البناء الوحيد في تلك المنطقة الشاسعة.

- لا أصدق ذلك!

هزت ليزا رأسها، وعيناها الزرقاوان تضحكان لنك. فهما يقفان قرب نافورة دائرية ضخمة داخل المطعم، وحرارة الأرض تحتهما مرتفعة لدرجة أنها تشوي قطع الدجاج الموضوعة على شواية من الحديد.

- صدقي ما تراه عيناك.

أمسك نك بذراعها وقادها إلى غرفة الطعام وهو يتابع: «لا يمكنك زيارة لانزاروت بدون أن تأكلي الدجاج المشوي على الحمم البركانية».

إنه على حق، فالغداء كان أكثر من ممتع مع وجود عشرات من السائحين. اندهشت ليزا من قدرة نك على التكيف مع الآخرين، ما كانت لتفكر مطلقاً أنه متعاون ولطيف هكذا. الأثرياء والمغامرون فقط هم أصدقاؤه كما تقول الصحف.

عندما عادا إلى الجيب، كان النهار قد انقضى، والظلام بدأ يرخي سدوله. استدارت ليزا وعيناها تضحكان لنك، وقالت: «أستطيع أن أفهم لماذا تملك ڤيلا هنا، فأنت حقاً تحب هذا المكان».

مرت الساعات بسرعة، وأمضت ليزا يوماً رائعاً. بدت رفقة نك مذهلة، والأفضل من كل هذا أنها لم تكن تتوقع شيئاً من كل ما حدث معها.

- صحيح، فأنا آتي إلى هنا كثيراً. إنه مكان مثالي، طالما أن إحدى هواياتي هي علم الزلازل.

قال ذلك بصدق، فهو يريدها أن تشعر بالأمان معه، وذلك من خلال الافصاح عن نفسه. هكذا سيتمكن من جعلها تثق به، فتفضي له بأدق التفاصيل عن تورطها مع اللصوص، إن كانت فعلاً متورطة. ليزا هي ابنة أعز صديقة لأمه، حباً بالله! وكلما طال الوقت الذي يمضيه برفقتها كلما وجد صعوبة في أن يصدق أنها مذنبة بأي أمر مهين وغير شريف.

الأمر منوط به ليكتشف حقيقة تورطها. لكنه بدأ يفكر أنها غير مطلعة على أعمال رئيسها السيء.

- هذا يفسر سعة معلوماتك، على ما أعتقد.

ابتسمت ليزا، فتأثيره عليها كان بالتأكيد كالزلازل، هذا ما فكرت به في سرها.

- لكن هل علينا أن نرى كل شيء في يوم واحد؟

سألته ذلك متمنية أن يأخذ بالملاحظة، ويدعوها للخروج برفقته ثانية.

نظر نك إلى وجهها الفرح، لكن نظرة عينيه الثاقبة غلفت ملامحه. بدت ملامح وجهها رقيقة ومعبرة، كأنها تدعوه لكي يعانقها، فاحتاج إلى كل ذرة من قوة إرادته ليقاوم ما يشعر به من رغبة في القيام بذلك.

إنه بحاجة ليعلم إن كانت المعلومات التي أعطته إياها صحيحة. على أي حال، سواء كانت تلك المعلومات صحيحة أم لا، فقد اتخذ قراره: سوف يعلم ليزا درساً حول فائدة الحذر من الآخرين. هو يعتقد أنها لا تدرك ما الذي يدور حولها، لكنها من خلال قدومها إلى لانزاروت انغمست بشكل لا مهرب منه مع عدد من المجرمين، وهو سيبذل قصارى جهده ليحميها، إنه يدين بذلك لسنين الصداقة التي جمعتهما، وإلى أمه وأمها.

- لا، بالطبع لا. سأعيدك إلى الفندق الآن، أما أنا فلدي بعض الأعمال التي يتوجب علي القيام بها.

رأى بوضوح خيبة الأمل في لمعان عينيها الزرقاوين الرائعتين، وكاد يبدل رأيه. وشعر بشوق كبير لمعانقتها. في الواقع، هذا ما كان يريده طوال النهار. يا إلهي! إنه بحاجة لأن يسيطر على نفسه، فالعمل يأتي قبل المرح.

سار كل شيء كما خطط له نك. فها هو قد أبقى ليزا بعيدة عن الأنظار طوال النهار. لا بد أن المعلومات التي قدمتها له، والتي أوصلها بدوره إلى كارل عبر الهاتف هذا الصباح، أثمرت شيئاً ما في هذه الأثناء. هو بحاجة للاتصال بكارل دالك ثانية ليعلم ما الذي حدث.

- سأتصل بك ثانية عند الساعة الثامنة، لنخرج معاً إلى العشاء.

ظهرت ابتسامة رضى على شفتيه عندما رأى ملامح السعادة والراحة تعلو وجهها.

* * *

- مرحباً، نك. تبيّن أن معلوماتك صحيحة.

استلقى نك ماننديز على كرسيه المريح في مكتبه، وأصغى إلى صوت كارل الذي ملأ الغرفة بالحماس حتى عبر الهاتف.

- ذهبنا إلى بائع الأدوات البصرية واستجوبنا موظفة الاستقبال، ثم ضبطنا دادولاس في منزله، ووجدنا الماس معه. لقد وقع بين أيدينا كالعصفور. فهو يعمل كصائغ قبل أن يكون بائعاًومصنعاً للأدوات البصرية. هو من يقوم بتقييم البضاعة ويمرر المعلومات إلى الوسيط في المغرب، وهذا يقوم بدوره بالاتصالات مع شركة التأمين ويوقع الاتفاق.

علق نك: «إذاً، لقد تمكنا منهم».

- ليس تماماً. فكما تعلم، هنري براون هو رئيس الشبكة. وهو من ينظم العملية برمتها. استأجرت شركته يختاً، غايته في الظاهر إقامة حفلات مشتركة. لكن في الحقيقة، طلب هنري من القبطان أن يستلم الماس من أماكن مختلفة من الساحل الأفريقي، ثم ينقلها إلى لانزاروت.

كشر نك عن أسنانه، وتمنى بشدة ألاّ تكون ليزا متورطة بهذا العمل، لكن الوقائع ليست لمصلحتها. بمعرفة منها أم لا، قامت بتسليم الماس بنفسها. قال بسرعة: «إذاً، لقد أوقعنا بهنري براون».

- في نهاية الأمر، سنفعل. إحدى نقاط ضعف براون أنه لا يقاوم رؤية الماس بنفسه قبل أن يرسله إلى بائع الأدوات البصرية من أجل معرفة ثمنه. بالإضافة إلى أنه لا يثق بصورة مطلقة بالوسيط الذي يقوم بعملية التبادل، لأنه في كل مناسبة سابقة كان يتواجد في المنطقة التي يتم فيها التبادل، ويكون جاهزاً ليستلم المال بنفسه عندما يتم إجراء الصفقة.

سأل نك: «إذاً، ما هي المشكلة، كارل؟ ضعه تحت حراسة مشددة، وعندما يحين الوقت، اقبض عليه».

علق كارل باستياء: «ليت الأمر بهذه السهولة! لسوء الحظ، لقد فقدنا كل أثر له».

قفز نك عن كرسيه قائلاً: «ما الذي تقوله؟ كيف يحدث ذلك؟ كيف بحق الجحيم؟ اعتقدت أنك طلبت من الشرطة أن تتبعه كظله».

- لا تصرخ في وجهي، شريكي، فهذا ما فعلناه. تأكدت الشرطة أنه استلم الرزمة ليلة البارحة من يخت في البحرية في طوغيز، وهي تعلم أيضاً أنه سلمها إلى المرأة هذا الصباح.

ازداد تجهم وجه نك، إذ لم يعجبه أبداً التحدث عن ليزا بصفة نكرة، لكنه تابع الإصغاء فيما استمر كارل بالتحدث.

- راقبت الشرطة براون عندما غادر على متن اليخت نفسه هذا الصباح، لكن بطريقة ما، تفوق عليهم بدهائه وقدرته على الهرب، فاختفى من شاشة الرادار. لكنني أشك كثيراً في أن يكون ذلك اللعين قد غرق في عرض البحر.

تأوه نك قائلاً: «آه، لقد أضعناه!».

- لا تقلق. أنا والشرطة المحلية لدينا خطة ما. في الحادثتين السابقتين، وبعد مرور أسبوع أو عشرة أيام على الاتصال الفعلي بشركة التأمين، تم تبادل المال والماس. حدث ذلك في المغرب مرة، والمرة الأخرى حصلت في البحر. لكن هذه المرة، وبعد استجواب قاسٍ مع دادولاس، علمنا أن التبادل سيجري في لانزاروت. كما حصلنا منه على اسمي اثنين من البحارة المحليين اللذين عملا مع براون سابقاً، والشرطة تلاحقهما الآن فيما نحن نتحدث. إنها مسألة وقت فقط! بمساعدة دادولاس، ومن خلال وعدنا له بالتساهل في الحكم، نصبنا لبراون فخاً. سنعمل على احتجازه طوال هذا الأسبوع لإعطائه فكرة عما سيحدث له إن لم يفعل ما نطلبه منه بالتحديد، وسنطلق سراحه يوم الإثنين القادم، فيما نبقيه تحت مراقبة مشددة جداً. عندما يحين وقت تنفيذ الاتفاق سيظهر براون ليستلم المال. عندها نأمل أن نتمكن من إلقاء القبض على كل أفراد العصابة.

قال نك بصوت غاضب: «هذا كله لا يبدل حقيقة أنك أضعت الرجل».

- هاي، ليس الأمر بهذا السوء، نك. وطالما أنك تحتفظ بالفتاة، فبإمكان الشرطة أن تستجوبها. لا بد أنها تعرف مكان تواجده.

شعر نك بتصلب في مختلف أنحاء جسمه، فجاءت ردة فعله الفورية بصورة غضب لا يقاوم من مجرد فكرة توقيف ليزا وأخذها إلى مركز الشرطة، حيث يتم تفتيشها قبل استجوابها. ومن المحتمل أن تنتهي في السجن. ما لبث أن تبدد الغضب ليحل مكانه إحساس غريب تماماً عن نك، إنه الخوف، تلته بعد ذلك موجة من الغضب الصارخ والقاسي. أقسم أنه لن يسمح بحدوث ذلك إن استطاع!

أغمض عينيه وعدّ إلى العشرة، محاولاً أن يهدأ، قبل أن يجيب بطريقة عادية: «يمكنك أن تترك أمر الفتاة لي، كارل. إن كانت تعرف أي شيء عن العملية سأعلمك، فأنا سألقاها على العشاء بعد قليل».

ارتفع صوت كارل بصورة ملحوظة: «أنت... ماذا؟ هل جننت؟ هل تركتها بمفردها؟ قد تكون على بعد أميال الآن، ومن الممكن أن تحذّر براون، وهكذا يذهب كل ما بذلناه من جهد أدراج الرياح».

- هيا، كارل. يمكنني أن أؤكد لك أن ليزا ستكون جاهزة وبانتظاري لأذهب وأصطحبها إلى العشاء. هل سمعت يوماً أن سحر مانتديز قد فشل؟

تابع بسخرية: «لم تهرب امرأة مني مرة في حياتي، ويمكنني أن أؤكد لك مرة ثانية، وبعد قضاء النهار برفقة ليزا، أنها ليست شاذة عن القاعدة».

صلى نك في قرارة نفسه أن يصدقه كارل. لم يسأل نفسه عن السبب. كل ما يعرفه، هو أنه لا يريد أن تقع ليزا بين أيدي الشرطة أو يدي كارل.

ضحكة عميقة ردت على تعليق نك.

- أنت محق. لكن هذه مسألة مهمة جداً، نك. احرص جيداً على المرأة. فنحن بحاجة لنعرف إلى أين ذهب براون، ومتى سيعود.

- لا تقلق.

مرّر نك يده التي لا تحمل سماعة الهاتف بشعره الأسود. تابع: «سأفعل كل ما بوسعي لأحصل على أية معلومة، وسأتصل بك لاحقاً لأزودك بالمعلومات التي تريدها».

- أرى أنك أصبحت متفانياً...

وتابع مردداً كلام نك بسخرية لا تخلو من المرح: «سأفعل كل ما بوسعي! هي جميلة، أليس كذلك؟».

رد نك عليه بمرح مماثل: «بالطبع! لن تكون هناك أية مشقة في ذلك، سأتحدث إليك في ما بعد».

أنهى الاتصال، وقد أصبح وجهه أسود كالليل.

سار نحو غرفة الجلوس، وسكب لنفسه كوباً من العصير البارد، رفعه إلى فمه، ورشف رشفة كبيرة. مع ذلك ظل نك يشعر بعقدة مؤلمة في معدته. ليزا سومرز... إنه ليس متأكداً إن كانت مذنبة أم لا. فالطفلة التي عرفها جيداً في السابق كانت صادقة إلى حد مريك، أما المرأة الجميلة الأنيقة التي أصبحت الآن عليها وهي في الخامسة والعشرين من عمرها، فهو لا يعرفها حق المعرفة. من المحتمل جداً أنها تعتاش من خلال دهائها وجمالها، وعملها مجرد غطاء للسرقة.

من ناحية أخرى، قد تكون بريئة تماماً، وهي كما قالت له، تنفذ أوامر رئيسها بكل بساطة.

علم أن عليه أن يسألها الليلة عن هنري براون، وعلم أيضاً أن عليه أن يطلب من موظفيه التحري عن وضعها المالي، لكن بطريقة ما، شعر أنه لا يستطيع أن يقوم بذلك. ربما لأنه لا يزال يحمل في أعماقه ذكريات غالية للطفلة التي كانتها.

زفر نك باستياء مجادلاً نفسه. من تراه يخدع بحق السماء؟ ما إن نظر نظرة واحدة إلى ليزا اليوم، حتى شعر كأنه مراهق يقابل فتاة للمرة الأولى. أبقاها بعيدة عن المشاكل طوال النهار لمصلحتها الشخصية... ولمصلحته أيضاً إن أراد الصدق. كارل كان سيسعد حقاً لو تم القبض عليها هذا

الصباح. ليزا جميلة جداً، ولا أحد ينكر ذلك، لكن كل النساء اللواتي يعرفهن نك جميلات، وهو لم يشعر للحظة واحدة أنه بحاجة ليحميهنّ ويدافع عنهن. إذاً، لمَ يشعر بذلك تجاه ليزا سومرز؟

بإمكانه القول إنه يفعل ذلك إكراماً لأمها، ليجنبها الإحراج الذي ستعانيه من خلال إقحام اسم ابنتها في قضية كهذه، لكن هذا هو جزء صغير من الموضوع، فلا داعي للتظاهر. مما لا شك فيه أن كل رجل في هذا العالم يرغب بليزا، لكن نك يريدها لنفسه. لقد أمضى النهار برفقتها وهو يشعر بشوق غريب لها، وما زال ذاك الإحساس يرافقه. والآن، في هذه اللحظة، هو لا يهتم مطلقاً إن كانت ليزا أكبر محتالة على وجه الأرض، إن كان يستطيع الحصول عليها.

أخيراً، اعترف بالأمر. وقال لنفسه: الآن، توقف عن التفكير بها! وسار خارجاً من المنزل. بدت ملامحه الأرستقراطية قاسية كأنها نحتت من صخر الغرانيت، وبدا جفناه كأنهما صنعا من صخر أيضاً فوق عينيه الغاضبتين، وهو يصعد إلى السيارة التي كانت بانتظاره.

بعد مرور ثلاث ساعات، ارتاحت خلالها واستحمت، عادت ليزا إلى غرفة نومها لتتفحص الثياب التي أحضرتها معها. بدا لها أن الحماس والترقب يجتاحانها. حاولت أن تسيطر على عواطفها، لكن بدا لها ذلك أمراً صعباً جداً. لأول مرة منذ سنوات، ها هي تتطلع فعلاً بفرح لخروجها مع رجل ما. أخذت تتخيل في رأسها كيف ستمضي السهرة؛ عشاء رومنسي على ضوء الشموع، مع حديث عميق يصل إلى الأمور الحميمة والشخصية، مع قليل من المغازلة وربما عند انتهاء الأمسية... عناق... وربما أكثر.

ارتجفت من البهجة، وهي تخرج الثوب الرابع من الخزانة. نك منجذب إليها، وهي تعرف ذلك. إنها المرة الأولى التي تسمح ليزا فيها لنفسها بالتفكير بعلاقة مع رجل، وليس مجرد رجل، بل نك مانتديز.

شرح لها لماذا صرخ بها عندما كانت في السادسة عشرة من عمرها. فعل ذلك ببساطة لأنها صغيرة، وبإمكانها تفهم ذلك الآن، مع أنها لا توافق

على وجهة نظره المتزمتة. غير أنه الآن يراها امرأة ناضجة، أنيقة وصاحبة كفاءة وقدرة، وهو مهتم بها كثيراً. رأت ذلك في عينيه، وفي لمسته. هذه المرة سوف تقوم بالمخاطرة، فمن يدري إلى أين يمكن أن تتطور صداقتهما؟

استقر رأيها أخيراً على ارتداء فستان أسود ضيق، بدون أكمام، ومصنوع من الحرير الجُرسيه. فيه شريطان من الساتان يتقاطعان فوق صدرها، وينعقدان حول خصرها النحيل. بعد أن فكرت قليلاً، قررت أن الليل قد يكون بارداً هنا، وهكذا ألقت وشاحاً فضياً فوق كتفيها. تركت شعرها الطويل منسدلاً على كتفيها، وأضافت بعض الطلاء اللامع على شفتيها، وهكذا أصبحت جاهزة. تراجعت قليلاً عن المرآة، ورأت أن صورتها فيها لا تبدو سيئة. انتعلت حذاءها ذا الكعبين العاليين، ومدت يدها لتأخذ حقيبتها، وعندها سمعت جرس الهاتف.

إنها موظفة الاستقبال، وهي تعلمها أن نيكولاس مانتديز قد وصل. شعرت بقلبها يضطرب في صدرها، أخذت نفسها عميقاً، وأغلقت الباب وراءها، ثم سارت نحو المصعد، وعيناها الزرقاوان تشعان من الحماس.

خرجت ليزا من المصعد، ورأته على الفور. كان نك منحنياً فوق مكتب الاستقبال، يضحك على شيء ما قالته له موظفة الاستقبال.

بدهشة لا تصدق، شعرت بطعنة غيرة سريعة في أعماقها، وبالسرعة ذاتها تقريباً شعرت بسعادة لا توصف عندما استدار نك ورآها.

انفتحت شفتاه لتظهرا أسنانه البيضاء في ابتسامة مثيرة. اعتقدت ليزا أنه يبدو رائعاً وهو يرتدي بنطلون جينز، لكن رؤيته مرتدياً ثياباً رسمية، هي عبارة عن بذلة سوداء وقميص بيضاء وربطة عنق سوداء أيضاً هي أمر آخر. يملك هذا الرجل هالة لا تقاوم!.

لم تستطع أن تمنع نفسها من مراقبته بافتتان، وهو يتحرك نحوها بجسمه القوي المليء بالعضلات برشاقة وكبرياء جعلت نبضها يتسارع.

توقف على مسافة ذراع منها، فابتلعت ليزا غصة بصعوبة. من المؤكد أن هذا الرجل وسيم بشكل لا يصدق وهو فاتن أيضاً. شعرت كأنها

تذوب أمام سحره، فقالت لنفسها إن كل ما تشعر به هو ردة فعل لانجذابها إليه. هذه هي الحقيقة ببساطة ووضوح. هي لم تعد تلك الطفلة التي تتعلق بكل كلمة يقولها، إنها الآن امرأة ناضجة ولديها عمل ناجح وهام. لا شعورياً، رفعت ليزا كتفيها، فبدت أطول قليلاً. بإمكانها التعامل بخفة مع هذا الموعد مع نك، من دون أن تسمح للأوهام بالسيطرة عليها.

- نك، يؤسفني أنني جعلتك تنتظر.

عبر عن رأيه بصوت عميق: «تستحقين كل الانتظار، ليزا».

جالت عيناه السوداوان عليها متأملاً شعرها، وجهها، وجسمها الرشيق وقد انساب ثوبها حوله بأناقة، ثم عاد بنظره إلى وجهها. لمعت عيناه بكل الاعجاب والاستحسان، وحدق بها قائلاً: «تبدين مذهلة!».

تمتمت: «شكراً لك».

حبست أنفاسها في حلقها وهي تبعد نظراتها عنه، في محاولة يائسة لتتخلص من الإحساس الطاغي الذي خلفه فيها. حاولت أن تكون ليزا الهادئة والواثقة دائماً، فقالت: «لا أعرف ما هي خطتك بالنسبة إلى العشاء، لكنني فكرت، طالما أنك اصطحبتني طوال النهار في جولة على الجزيرة، أنك ربما ترغب في أن تكون ضيفي على العشاء، هنا في الفندق».

التوت شفتاه عن ابتسامة ماكرة، وعلق: «يمكنك اعتباري قديم الطراز».

مدّ يده وأمسك بمرفقها وهو يتابع: «لكن عندما أسأل امرأة مرافقتي إلى العشاء، فأنا من يحدد المكان. كما أنني متأكد أن أملك لن يخيب».

قال ذلك بمرح، وأسقط يده عن مرفقها لتحيط بخصرها، فضمها إليه قليلاً واستدار نحو باب الخروج في سيطرة كاملة على الموقف.

شعر بجسمها النحيل يرتجف ويتصلب، فنظر إليها وابتسم قائلاً: «فكرت في أن نتناول العشاء في الڤيلا، إن لم يكن لديك أي اعتراض. كما أنك ستقومين بخدمة كبرى بموافقتك، لأن مديرة منزلي تحب الطهو، لكن من النادر جداً أن أدعو أحداً إلى العشاء عندما أكون هنا».

ابتسمت ليزا وهي تنظر إليه بابتسامة مشرقة، مع أنها ما تزال متوترة.

قالت موافقة: «لا بأس بالذهاب إلى منزلك، طالما أن الطعام لن يكون مطهواً على نار البركان مثل طعام الغداء...».

حاولت أن تمازحه وهي تتابع: «... فقد يصبح الأمر خطيراً».

- جيد!

أبعد نك يده، وتراجع إلى الوراء لتتمكن من المرور عبر باب المدخل. ما من شيء أكثر خطورة من مشاركة جناح في الفندق مع رئيسها. فكر بذلك منتقداً وهو يتبعها إلى الخارج. لقد أعطته موظفة الاستقبال اللطيفة تلك المعلومة ببساطة وفرح. وضع ذراعه حول كتفي ليزا، وقادها إلى حيث تنتظرهما سيارة في الموقف، وإن كانت قبضته على كتفها قاسية، فلديه الأسباب الكافية ليفعل.

شعرت ليزا بلمسة أصابعه، وعملت جاهدة كي لا تضطرب. نك رجل لبق جداً، وهذا ما يزيد من تأثرها به. شعرت بموجة من الحرارة تجتاح وجهها. فكرت أنها لا تشعر بأية عاطفة صادقة نحوه، إنه مجرد تأثر فقط من جهتها. هذا كل ما في الأمر...

علقت قائلة، تحاول أن تبدو مرتاحة وهما يجتازان الرصيف: «ألم تحضر الجيب الليلة؟».

قال باقتضاب: «لا!».

عندئذٍ لاحظت خروج رجل من السيارة، ليبتسم لهما معاً وهو يفتح الباب الخلفي للسيارة. رمت ليزا نك بنظرة متفاجئة وقالت: «هل أحضرت سائقاً؟».

- نعم. الليلة أريد أن أرتاح، وأستمتع بعشاء مميز مع امرأة جميلة.

لم يكن هناك من داع للقول كم هو بحاجة إلى الراحة بسبب المأزق الذي وضعته فيه، وأحدثته في حياته العادية المنظمة بشكل جيد.

- لا تقلقي! أعتقد أنك ستستمتعين بالسهرة، فغريتا هي أفضل طاهية في الجزيرة.

ابتسم ورفع يده ببساطة ليبعد خصلة من شعرها عن كتفها، وعيناه الثاقبتان تحاصرانها.

ابتلعت ليزا غصة بقوة، وشعرت بصعوبة في التكلم. أخيراً تمكنت من القول: «إنني متأكدة من صحة ما تقوله».

أبعدت نظراتها عنه، وسارت إلى الأمام نحو السيارة.

انزلقت بسرعة داخل السيارة، بحركة لا تنم عن أناقة. غرقت في المقعد الذي بدا لها أكثر رفاهية من جيب نك. لكن عندما أصبح نك بجانبها أدركت أنه أيضاً أكثر حميمية.

قالت متلعثمة: «إنها سيارة جميلة».

شعرت بقوة سحره وجاذبيته، وتساءلت في الوقت الحالي ما الذي تفعله. أهي تلعب بالنار؟

رأت ليزا أن الڤيلا هي عبارة عن مبنى رائع، ينضح بالغنى والأناقة. قدمها نك إلى زوجين في منتصف العمر كانا بانتظارهما عند المدخل، غريتا وبول. من ورائهما رأت جداراً زجاجياً مفتوحاً على باحة مضاءة فيها بركة للسباحة. لمحت طاولات ومقاعد، وتساءلت إن كانا سيتناولان العشاء في الخارج، إذ لم يكن الطقس دافئاً إلى هذه الدرجة.

رفعت نظرتها الحائرة إلى نك وقالت: «هل سنأكل في الخارج؟».

- يا إلهي! لا!

رفع حاجبيه السوداوين متعجباً، وتابع: «ما تعتقدونه أنتم البريطانيون دافئاً، نعتبره نحن فصل الشتاء».

أمسك بذراعها وقادها عبر غرفة ضخمة جداً، ثم قال بنعومة: «هذه هي غرفة الجلوس الرئيسية، لكن غرفة الطعام أكثر دفئاً».

نظرت ليزا حولها في الغرفة الواسعة وهو يدفعها لتدخل إليها بسرعة. رأت مقاعد وثيرة، ومفروشات نادرة، كما رأت لوحات رائعة على الجدران، وأزهاراً ونباتات نابضة بالحياة... المكان بأكمله يصرخ بالثراء الفاحش.

فتح نك باباً آخر، فتوقفت ليزا عن الحركة تماماً ما إن تقدمت خطوة واحدة إلى داخل الغرفة. هناك رأت طاولة رائعة، أعدت لشخصين فقط، ورأت غريتا وبول يقفان بجانب الطاولة، وهما يبتسمان.

قالت وهي تضحك بتوتر: «من الصعوبة أن أصف كل هذا بالمريح والعادي. يمكنك أن تقدم العشاء الأخير هنا على هذه الطاولة، وسيبقى متسع للكثيرين».

ارتفعت زاويتي شفتي نك عن ابتسامة مقتضبة بسبب تعابير وجه ليزا المندهشة. وضع ذراعه حول خصرها، وقادها إلى الأمام وهو يقول: «أعتقد أنها مهيبة قليلاً. لم ألاحظ حقاً أنها كذلك لأنني أتناول الطعام عادة في المطبخ».

لاحظ أنها تحبس أنفاسها، ورأى كيف التمعت عيناها الرائعتان بقوة، فظهرت ابتسامة واثقة على وجهه قبل أن يضيف: «لكنني من النادر أن أدعو أحداً إلى العشاء هنا، وأرى أن غريتا تبالغ في إظهار جمال هذا المكان، كما تقولين».

انحنى نك قليلاً ليقول شيئاً ما للعاملين لديه، ومع أن ليزا تتكلم الإسبانية بطلاقة، لكنها لم تفهم ما قاله. راقبتهما وهما يغادران الغرفة، وما لبث نك أن وقف مستقيماً بقامته الطويلة، واستدار لمواجهتها ثانية، وهو يبعد كرسياً لها.

- من فضلك، ليزا. اجلسي. ما من داع لكل هذا القلق. أؤكد لك أن بول وغريتا لن يسمما لك الطعام.

لم يكن الطعام ما يشغل بال ليزا، فالمكان حار جداً، هذا ما قالته لنفسها، ولا علاقة مطلقاً لنك بما تشعر به. مدّت يديها إلى طرفي وشاحها، وعلى الفور أمسك نك به ونزعه عن كتفيها.

سألها وهو يرفع حاجبه: «هل المكان حارّ قليلاً عليك، ليزا؟».

قالت: «نعم».

وجدت من الصعب عليها أن تتنفس بسهولة ما إن لامست أصابعه

كتفيها وهو ينزع الوشاح، لكنها لم تسمح لذلك بأن يظهر عليها ولو لرمشة عين. بدلاً عن ذلك جلست على الكرسي الذي أبعده لها، ووضعت يديها فوق بعضهما بأناقة في حضنها، فيما ضغطت بشدة بأظافرها على راحتيها.

علق نك، وهو يبعد كرسياً له ليجلس عليه: «والآن، أليس هذا جميلاً، وأكثر ألفة من الجلوس في المطعم؟».

نظر إلى الإناء الكبير المليء بالأزهار الرائعة، ثم التقط منديل المائدة من أمامها ونفضه بطريقة ناعمة.

مدّت ليزا يدها لتمسك بالمنديل، وقالت: «يمكنني القيام بذلك».

أجاب نك بنعومة: «لكنني أريد أن أفعل ذلك من أجلك».

مال إلى الأمام، فيما استمرت عيناه الداكنتان بالنظر إلى عينيها الزرقاوين المتفاجئتين. وضع المنديل في حضنها.

- ستقدم غريتا الطعام في غضون دقائق.

جالت نظرته على وجهها وجسمها باستحسان واضح. لو فعل ذلك أي رجل آخر لشعرت بالغضب والحنق، لكن عوضاً عن ذلك، فإن حركته تلك جعلت كل ما فيها يشعر بوخز خفيف من الحماس.

تابع نك بصوته الناعم الأجش: «إنني جائع، ومتأكد من أنك جائعة أيضاً».

ارتجفت من قوة نظرته الكاسحة المسيطرة. شعرت كأن ألف فراشة تتطاير في معدتها، فأبعدت عينيها عنه ونظرت برعب حولها في الغرفة.

ما هي الخيارات المطروحة أمامها؟ هل تنهض وتخرج من الغرفة؟ لكنها بذلك ستبدو كطفلة... أم تبقى وتتناول الطعام كامرأة متحضرة؟ فجأة، لم تعد تشعر بأنها مليئة بالثقة بالنفس كعادتها. أخيراً اتخذت قرارها ما إن ظهرت غريتا وهي تحمل صينية كبيرة من الفضة، يتبعها بول حاملاً صينية أخرى، وكلاهما يتسمان لها.

٣ - رحلة إلى إسبانيا

ابتسمت ليزا، إذ بدا كل شيء مثالياً حولها. جلس نك على رأس الطاولة بينما كان بول يسكب السلطة والخضار، وغريتا تقدم حساء السمك الشهي في أوعية من الخزف الصيني الرائع.

عندما غادرا رفع نك كوبه وقال: «دعينا نتمنى تمضية سهرة رائعة معاً».

تمكنت من السيطرة على التوتر الخفيف الذي سيطر عليها لأنهما بمفردهما، فرفعت كوبها بيد ثابتة، وقالت بصوت هادىء: «هذا ما أتمناه».

ابتسم نك ونظر إليها بفرح، ثم رشف رشفة من كوبه قبل أن يضعه على الطاولة. تابعت ليزا حركته. لم تستطع أن تفعل شيئاً حيال موجة الحرارة التي اجتاحتها. أدركت أنها تحدق به، فأسرعت ترتشف رشفة من كوبها وهي تقول بحماس: «شراب شهي!».

أومأ نك موافقاً، فيما نظر نحوها، والتقت عيناه بعينيها.

قال: «يسعدني أنك وافقت على تناول العشاء هنا، ليزا. المطاعم لا توفر هذا الجو الهادىء والمريح في بعض الأحيان، وأنا أريد حقاً أن أتحدث معك، وأن أستعيد ذكريات الماضي. ربما سأكتشف ما الذي حوّلك إلى المرأة الجميلة الرائعة التي أنت عليها اليوم».

جالت عيناه على وجهها وشعرها وثوبها الجميل وهو يتابع: «كما أنني أرغب في معرفة ليزا الحقيقية ثانية».

كلماته هذه، بالإضافة إلى نظراته المتفحصة، جعلتها تشعر بالحرارة

التي اجتاحت كل خلية من خلايا جسمها.

- هذا الأمر لا يبدو مطمئناً.

قالت ذلك وهي تخفض نظرها إلى الطاولة، متمنية ألاّ يلاحظ مدى تأثرها به.

أضافت: «فهي قد لا تعجبك».

وبسرعة، التقطت الملعقة وبدأت بتناول الحساء. عندما تجرأت أن ترفع نظرها ثانية، لم تكن بحاجة لتشعر بأي قلق.

- هذا مستحيل. فأنا معجب بك كثيراً، كما تعلمين، منذ كنت طفلة.

تابع بنعومة وهو يبتسم ابتسامة لا تقاوم، وقد بدت تعابير وجهه مرحة: «لنستمتع بطعامنا الآن، ويمكنك أن تخبريني ماذا كنت تفعلين في السنين القليلة الماضية».

شعرت ليزا بالإطراء، فابتسمت له وقالت: «ليس الكثير، ومن المؤكد أن ليس هناك من أمر يحتاج التحدث عنه إلى جو من الخصوصية».

أكملت تعطيه معلومات محددة عن حياتها بعد سنوات المراهقة: «أمضيت ثلاث سنوات في الجامعة، أدرس التاريخ وأعمل في عمل أستمتع به. وكما أخبرتك سابقاً، لدي شقة صغيرة في لندن، وأزور أمي مرة كل عدة أسابيع. لقد تزوجت ثانية منذ ثلاث سنوات، وهي تعيش في بريفتون، وتدير متجراً للتحف القديمة مع جف، زوجها. من الصعب اعتبار هذه الأمور سرية».

لمعت عينا نك بمكر كجواب عما قالته.

- آه! لا أعلم... كان بإمكانك أن تصبحي نجمة سينمائية أو راقصة شهيرة، فمن المؤكد أنك تحظين بالجسم والوجه المناسبين لذلك. من جهة أخرى... لا بد أن لديك عشاقاً، فعملك هام وأنت تتمتعين بالسلطة، وهكذا قد يكون لديك حبيب ذو منصب هام أيضاً؟

لوّن كلامه الصريح خديها من الإحراج. هل يقصد بكلامه المتملق أن هذا ما هي عليه، كما فعل منذ عدة سنين؟ لكنها رفضت أن تتجاوب مع

الطعم الذي رماه. نظرت إلى عينيه وردت بكبرياء: «أنت تعلم ما هو عملي، أما بالنسبة لما تبقى، فتلك معلومات خاصة».

راهن نك على ذلك. فهي إما ذكية جداً أو هي ساذجة جداً، لكن ليزا تبدو أنيقة جداً لتكون ساذجة.

لم يستطع أن يتأكد إن كانت على معرفة بالعمل البديل لرئيسها كسارق للماس، لكن لمصلحة كارل لن يقوم بأية مخاطرة.

رفع حاجباً مستوضحاً، وقال: «بالطبع، لم أتوقع شيئاً أقل من ذلك، ليزا».

النظرة التهكمية التي رماها بها بدت غاضبة بشكل مثير للانتباه. تابع يقول: «مع أنني سمعت أن هنري براون ليس متحفظاً في علاقاته الغرامية، رغم أنه متزوج كما أعلم».

للحظة، لمع في ذهنها شيء مقلق من تعليقه المربك والمزعج، لكنها أبعدت عنها تلك الأفكار الخاطئة، وأجابت باستياء: «هنري هو قانون بحد ذاته عندما يتعلق الأمر بالنساء. ومع أنني لا أؤيد عدم الوفاء بعهود الزواج، لكن أعترف أن تصرفاته لم تعد تفاجئني بعد أن قابلت زوجته».

فمارغوت براون هي امرأة متفاخرة، متكبرة، وسخيفة؛ وفي المرات القليلة التي زارت فيها المكتب أو تحدثت إلى ليزا عبر الهاتف أو إلى أي موظف لدى زوجها، كانت تعامل الجميع بتعالٍ، وكأنهم مخلوقات من فصيلة أدنى من مستواها.

علق نك بسخرية: «أصدقك. ففي النهاية، إنه لأمر رائع أن يحجز الرئيس جناحاً في فندق من فئة خمس نجوم لحضور مؤتمر، ثم يغادر فجأة، تاركاً مساعدته تنعم بعطلة مدفوعة التكاليف. يجب أن أعترف أنني لا أتصرف مطلقاً بمثل هذا الكرم مع من يعملون لدي».

رفعت ليزا نظرها إليه بغضب صارخ. ما الذي يقصده بكلامه؟ هي ليست غبية، وبإمكانها أن تعلم إذا ما وجّهت لها إهانة ما. عادت تلك الإهانة القديمة إلى الظهور، مسببة لها طعنة من الألم في قلبها. من الواضح

www.elromancia.com

أنه لا يزال يعتقد أنها تلك المراهقة المستهترة. ولمعت عيناها الزرقاوان بغضب صارخ.

- إنه جناح بغرفتي نوم منفصلتين.

حاولت أن تحافظ على هدوء أعصابها كي لا تنفجر به.

جلست مستقيمة على كرسيها، وأضافت بطريقة متعمدة: «. . . كما أنه تم استدعاء رئيسي لأمر غير متوقع. فما هي مكانتي لأجادله في ذلك؟ وأنت تعلم ما يقال: «لا يرفس النعمة إلا الأغبياء»».

- هذا صحيح!

صحيح أنه قال ذلك، لكن مجرد ذكر الجناح الخاص في الفندق أثار لدى نك خيالات عديدة تتعلق به وليزا. تخيل نفسه معها في جناح فخم وهو يعانقها. . . يا إلهي! عليه أن يتوقف عن تلك الأفكار، فهو لم يمزج مرة العمل بالمتعة.

أخفض نظره إلى الطاولة، وتابع بصوت ناعم: «أعتقد أنك محقة، ليزا. لكن أليس من المستغرب أنه لم يطلب منك حضور المؤتمر؟».

- أنا. . . حسناً. . . !

ترددت ليزا بالإجابة. فسؤاله المنطقي جعلها تفكر وتتخلص من غضبها. فكرت أن ذلك أمر غير طبيعي. سرعان ما لجأت إلى الحقيقة، فقالت: «أنا حقاً لا أعلم. فأنا أعمل مساعدة شخصية له من عدة شهور فقط. تركته مساعدته السابقة لتتزوج، كما أن رئيسي تقاعد في الوقت نفسه. وبطريقة ما، بدا كأن هنري ورثني منه».

تابعت تفسر له وهي لا تعلم تماماً لما تفعل ذلك: «هذه هي المرة الأولى التي أسافر فيها معه. كما أنه سيعود نهار الجمعة من الأسبوع التالي لحضور اليوم الأخير من المؤتمر وحفلة العشاء التي تقام في الليلة ذاتها، لذلك ربما لن يكون الأمر مجرد مضيعة للوقت».

- هذا ما أتمناه.

حصل نك على المعلومات التي يسعى وراءها، فلمعت عيناه السوداوان

بالنصر؛ الرجل سيعود إلى الجزيرة بعد مرور ثلاثة عشر يوماً، وهو الوقت الكافي لتتم فيه المفاوضات. من الواضح أن براون سيعود ليقبض المال، وبالتالي سيتم القبض عليه. سوف يتصل بكارل لنقل هذه المعلومات له، ولا بد أن الشرطة الإسبانية والإنتربول يقومون بملاحقة المجرمين الآخرين. هكذا سيكون إلقاء القبض على براون نتيجة حتمية.

أضافت ليزا: «بالطبع. وسنعود إلى لندن معاً في اليوم التالي، كما هو مقرر».

لا، لن يحدث ذلك إن تمكن من منعه. هذا ما فكر به نك على الفور.

قالت ليزا إنها تعمل مساعدة شخصية لبراون منذ أشهر قليلة فقط. ويمكن التأكد من ذلك بسهولة، وإن تبين أن ذلك الأمر صحيح فهذا سيكون لمصلحتها الشخصية بدون أدنى شك. فهي قد تكون بريئة. ضاقت عيناه الداكنتان على وجهها البريء بنظرة تقييمية. بإمكان المرأة أن تبدو جميلة وبريئة، ومع ذلك قد تكون مجرمة. هو ليس بأحمق ليفكر بنقيض ذلك، لكنه يعلم جيداً أنه لا يريد أن تكون ليزا في أي مكان قريب من هنري براون عندما يتم القبض عليه.

بدهشة بالغة اكتشف نك أنه غير مستعد للابتعاد عن ليزا الآن بعد أن التقى بها ثانية. في عمره هذا، ومن خلال تجاربه مع النساء، هو يعلم حقاً ما يشعر به نحوها، إنه الانجذاب الحسي بكل ما في الكلمة من معنى.

كانت ليزا بالنسبة له رغبة لم يستطع تحقيقها عندما كانت شابة، لكن الوضع تغير الآن.

عاد ينظر إليها بإعجاب وتقدير واضحين. أعلن بصوت أجش، وهو يبتسم: «رئيسك رجل محظوظ جداً، للحصول عليك كمساعدة شخصية له».

قالت ببساطة: «شكراً».

لكنها شعرت بالاحمرار يلون خديها ما إن التقت عيناها بعينيه، فهي تشعر بقوة بسحره وجاذبيته، كما أن هناك شيئاً ما في تعابيره يجعل دقات

www.elromancia.com

قلبها تتزايد بشكل دراماتيكي. انشغلت ليزا بإنهاء الحساء لتخفي ارتباكها، وشعرت بالامتنان عندما ظهرت غريتا ثانية وهي تحمل طبقاً جديداً من الطعام.

كان الطعام شهياً ومميزاً، وفيما هما يأكلان استلم نك الحديث، وبدت ليزا سعيدة جداً بمجاراته. تحدثا بسهولة وارتياح، وناقشا مواضيع عن الأفلام والكتب والموسيقى، وتجارب نك المتعلقة بالكثير من الأعمال والمشاريع المختلفة. ذهلت ليزا بما سمعته، وسألته عشرات الأسئلة. أخبرها كيف وسع شركته ليصبح لديها فروع في العالم كله، كان وتحدث بمرح عن تجارب العمل المتنوعة في مناطق مختلفة.

تبين لها أن نك ليس ذلك الثري الكسول المعتمد على أموال عائلته، كما كانت تظنه. من الواضح أنه يعمل بجهد كبير، لكن مهارته، وسحره وشخصيته المميزة تجعل كل شيء يبدو سهلاً. راح يخبرها قصصاً مسلية، فيسخر من نفسه أحياناً لأنه تصرف بغباء في أمر ما. لكنها أدركت، وبشكل واضح، أنه مهما كانت الظروف، فنك دائماً هو الرابح.

تناولت القضمة الأخيرة من الحلوى، ونظرت إليه من خلال رموش عينيها الكثيفة.

- بطريقة ما، أنا وأنت متشابهان؛ أنت درست الفنون ولم تمارسها، وأنا درست التاريخ في الجامعة وفكرت أنني سأزور كل الأماكن التاريخية في العالم، لكن عوضاً عن ذلك ها أنا أعمل في الأمور المالية، وهذا أمر مؤسف.

- الحياة الجامعية هي تجربة فريدة وغاية بحد ذاتها.

تابع يجادلها: «أنا حقاً استفدت من دراستي؛ فأنا أقدر كل شيء جميل، سواء كان موقعاً جميلاً أو امرأة جميلة. كما أعرف أي مكان أختاره لتشييد مبنى، وهذا عمل جمالي. ومع تطور السياحة في هذا المكان في السنوات الأخيرة، بات كل شيء هنا يمثل الجمال والفن».

ضحكت ليزا وعلقت: «لم أفكر في ذلك مطلقاً».

- هل فكرت مرة بالتغيير، ليزا؟ فأنت شابة، ولديك الكثير من الوقت لتبدأي بعمل جديد.

سألها ذلك بجدية، بعد أن اقتنع أنه اكتشف كل ما يريد معرفته. هنري براون سيعود إلى لانزاروت، أما بالنسبة لليزا، فيكاد يكون متأكداً أنها بريئة من أية جريمة. حتى لو كانت مذنبة، فما إن تتخلص من الإغراءات المادية وتنخرط في الحياة الأكاديمية، من المحتمل أن تتغير.

قال مقترحاً: «يمكنك الابتعاد عن مجال عملك هذا والعودة إلى ما كنت تريدين القيام به فعلاً. لم تتأخري مطلقاً ليزا، صدقيني. وقد أتمكن من مساعدتك».

ابتسمت ليزا وقالت: «أعتقد أنك على حق، لكن لا تأخذ الأمر على محمل الجد نك، فأنا سأبقى في عملي ما دمت مرتاحة فيه».

جلست بارتياح على كرسيها، وتنهدت باطمئنان، ثم تابعت: «الطعام كان رائعاً، وغريتا حقاً طباخة ماهرة».

علق نك على نحو مقتضب: «يمكنك إخبارها بذلك بنفسك في غضون دقيقة».

لم يعلم لماذا أغضبته ردة فعلها العادية. أتراها لا تدرك مطلقاً مدى الخطر الذي يحدق بها؟ أبعد كرسيه إلى الوراء، ووقف.

- ستقدم غريتا القهوة في غرفة الجلوس.

إن ما يزعجه حقاً هو أن ذكاءه المتفوق قد هجره كما يبدو. فها هو قد تخلى عن نصف احتفال العائلة في إسبانيا، وإن لم يعد إلى المنزل من أجل الاحتفال الأخير فلن تسامحه أمه مطلقاً. لكن ما الذي سيفعله بليزا؟ هو لا يجرؤ على تركها بمفردها في الجزيرة من دون أن يخبر كارل بما يعرفه، لأنه لن يسامحه على أمر كهذا.

راح يحث دماغه على التفكير بأمر ما لإقناع ليزا بالذهاب معه إلى إسبانيا، فهكذا سيتمكن من إبعادها عن أي خطر. لكنه لا يعلم مطلقاً كيف سيتمكن من القيام بذلك... هل يسألها باختصار: «هل تأتين معي

www.elromancia.com

إلى إسبانيا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع؟».

هو يعلم أن سؤاله هذا سيقع عليها كبالون من الرصاص، فهو يعلم أنها تتجنب زيارة منزل عائلة مانتديز منذ سنوات.

لا! عليه أن يفكر بشيء آخر. على الرغم من الثقة التي يملكها بقدراته في إغراء أية امرأة، فهو يشك بنجاح كل خطط الإغراء في العالم أجمع في إقناع ليزا بالسفر معه إلى إسبانيا، بعد يوم واحد من لقائهما ثانية.

وقفت ليزا على قدميها، وتبعته إلى غرفة الجلوس الأنيقة، متسائلة ما الذي حدث، وما سبب هذه البرودة المفاجئة بينهما. جلست على أحد المقاعد الناعمة الواسعة، ورأت على الطاولة في وسط الغرفة صينية القهوة. بعد مرور لحظة، دخلت غريتا وهي تحمل وعاء القهوة، ووضعته على الصينية.

ابتسمت ليزا للمرأة الأخرى وشكرتها على الوجبة الرائعة، وسرعان ما تصلب جسمها عندما اختار نك أن يجلس قربها بدلاً من أن يجلس على المقعد المواجه. أثناء تناول الطعام بقيت هناك مسافة بينهما، وكان الجو جيداً معظم الوقت، أما الآن فشعرت بالتوتر يسود المكان حولهما، كما شعرت كأنها باتت محشورة في زاوية ضيقة، مع أن ذلك ليس صحيحاً، إذ ما زال هناك متسع بينهما.

سألها نك بنبرة رقيقة: «هل تفكرين بأن تصبحي أماً؟».

علقت الكلمات في الهواء، بينما تخيلت ليزا نفسها أماً لطفل نك؛ ملاك صغير أسود الشعر. تحول لون خديها إلى الأحمر القاني من تلك الفكرة المثيرة، وبسرعة انحنت إلى الأمام وملأت فنجانين صغيرين بالقهوة الشهية الرائحة. سألته، من دون أن تنظر إليه: «أتريد سكراً أم حليباً مع القهوة؟».

- أنا أشربها بدون أية إضافة.

رفعت أحد الفنجانين، واستدارت نحوه قليلاً، فجمدت يدها في الهواء. رأت نك مستلقياً إلى الوراء على الوسائد، وقد وضع ذراعه على

ظهر المقعد. وقد انفتحت سترته وبدت قميصه مشدودة على صدره العريض... وابتلعت ليزا ريقها بصعوبة.

نظر إليها نظرة طويلة فيها شيء من التهكم، وقال: «هل ستقدمين فنجان القهوة لي، أم أنك ستستمرين في حلمه؟».

احمر وجهها خجلاً من تصرفها الأحمق، فهي راحت تنظر إلى الرجل كما كانت تفعل وهي فتاة مراهقة. دفعت الفنجان نحوه، فانسكب قليل من السائل على جانبه، فيما التفت أصابع نك الطويلة حول يدها.

سرت موجة من الحرارة في جسمها بسبب لمسة يده، وبسرعة أبعدت يدها، وأمسكت فنجانها بقوة، وأجبرت نفسها على الجلوس بارتياح على المقعد، وهي تشرب قهوتها.

رشفت رشفة من القهوة، وكادت تحرق لسانها، فشدت على شفتيها بقوة كي تمنع نفسها من الصراخ.

عليها أن تتخلص من الإحساس بالخوف؛ فنك هو رجل مثل باقي الرجال. لكن هذه هي المشكلة، فهو لا يشبه مطلقاً أي رجل آخر تعرفه. فكرت بذلك بحزن، وهي تنظر إليه نظرة طويلة من تحت رموشها الكثيفة. تساءلت كيف تمكنت، وهي فتاة يافعة مولعة به، أن تشفى من تلك الأوهام حوله. ألم تفعل ذلك بسبب القسوة والوحشية اللتين صدرتا منه بالذات؟ لسنوات كثيرة اعتقدت أنها تكرهه، والآن بعد قضاء يوم واحد برفقته كل ما تراه هو أنه رجل جذاب مسيطر، وقد حول عظامها إلى هلام.

الاحساس بالضعف في حضور رجل أمر لم تشعر به ليزا من قبل، وهي ليست متأكدة إن كانت تستطيع الوثوق بعواطفها، فالمنطق يدعوها لتشكر نك على الطعام وترحل. أكملت فنجانها وهي تفكر بذلك. وضعته على الطاولة، واستدارت ببطء، لتنظر إلى وجهه. كان ينظر إليها، وقد بدت القسوة على وجهه. للحظة، شعرت ليزا بالخوف. هل سبب ذلك شدة الإحساس بوجوده؟ لم تكن متأكدة مما تشعر به، وبسرعة ركزت نظرها

www.elromancia.com

على مكان ما فوق رأسه قبل أن تشعر بمزيد من الضعف.

– شكراً لك على هذه الأمسية الرائعة، نك. لكن أعتقد أن الوقت حان لأعود إلى الفندق.

همت بالوقوف، لتجد يداً كبيرة تمسك بذراعها وتمنعها من ذلك. قال نك بنعومة: «من فضلك، تناولي معي شراباً بعد».

وضع فنجانه على الطاولة، وهو يحدق بعينيها، فيما راح يحرك إبهامه على بشرة ذراعها في حركة ذات تأثير مدمر لها. راحت فكرتان تتصارعان في رأسها عندما دخل بول ليحل تلك المشكلة. قال محدثاً نك: «أمك على الهاتف».

وسلمه سماعة الهاتف التي كان يحملها بيده.

جاءه الإنقاذ في اللحظة المناسبة! هذا ما فكر به نك، وقد أضاءت ابتسامة كبيرة ملامح وجهه الوسيم. أمسك بسماعة الهاتف، وقال: «مرحباً، أمي».

أصغى بفرح بينما كانت أمه تؤنبه لأنه ترك لها ملاحظة قبل أن يسافر إلى لانزاروت، بينما كانت تتوقع وجوده في المنزل بقربها.

– من المفترض أن تنضم إلى خالك وأفراد العائلة على العشاء الليلة، ومن الأفضل لك أن تحضر بسرعة إلى الغداء الاحتفالي والحفلة مساء الغد.

– نعم، سأكون هناك. أعدك بذلك. في الواقع سأسافر الليلة لأكون غداً هناك بدون أدنى شك، فلا تقلقي.

أصغت ليزا إلى الحديث الجاري من قبل نك فقط، ووبخت نفسها على مخاوفها الحمقاء قبل خمس دقائق، ومحاولتها الخرقاء بالمغادرة. لدى نك خطط لما تبقى من عطلة الأسبوع، والعشاء هو تماماً كما وصفه: صديقان قديمان التقيا مع بعضهما البعض فجأة. عادت لتسمع ما الذي يقوله الآن.

– لكنك لن تحزري من التقيت اليوم.

رمى نك ليزا بابتسامة مقتضبة وأضاف: «ليزا، ليزا سومرز... إنها في عطلة هنا، وها نحن قد انتهينا من تناول العشاء معاً».

أدرك نك تماماً ما الذي ستقوله أمه، ولم يخب أمله مطلقاً لأنها قالت: «آه! لم أرَ ليزا منذ سنوات. ربما يمكنك إحضارها معك إلى الحفلة، فأنا أحب كثيراً أن ألقاها من جديد».

– حسناً! لم لا تسألينها عن ذلك بنفسك، أمي؟

تراجع نك إلى الوراء ليرتاح على الوسائد، متجاهلاً هز ليزا لرأسها برعب. مدّ يده بالسماعة إليها، بينما ضغط بقوة على ذراعها باليد الأخرى، قائلاً: «تحب أمي أن تتحدث إليك، ليزا».

أمسكت ليزا بسماعة الهاتف على مضض. آنا ماننديز امرأة ذات تأثير بالغ على الآخرين، وهذا ما يعرفه ابنها جيداً.

– حسناً! بالطبع، أحب كثيراً أن أراك ثانية. لطف منك أن تدعيني، لكنني لا أستطيع أن أكبد نك مشقة سفري إلى إسبانيا ثم العودة ثانية إلى لانزاروت.

بعد مرور خمس دقائق، أعادت ليزا سماعة الهاتف إلى نك وقد ارتبطت بالذهاب معه إلى إسبانيا.

قفزت على قدميها، وهي تقول: «لا أصدق ما حدث. لماذا بحق السماء أخبرت أمك أنني هنا؟».

نظرت إليه وهو يضع السماعة على الطاولة.

قال وهو يرفع كتفيه بلا مبالاة، ويبتسم ابتسامة ماكرة: «لأنك هنا».

الشكر لأمه لأنها حلت له هذه المشكلة. خرج نك من منزله هذا الصباح وفي نيته إغواء ليزا لتعطيه المعلومات التي يريدها، لكن مع مرور ساعات النهار هو من تم إغواؤه بجمال ليزا، وبدفئها وبحماسها الكبير للحياة. بإمكانه أن يسألها بصراحة عن الماس، إذا ما كان لديها المزيد من المعلومات، لكنه لا يهتم مطلقاً إن كانت مذنبة أم لا، فهو سيبقيها بقربه لعدة أيام قادمة، وهذا كل ما يهتم له.

– كنت تعلم أنها ستشعر بأنها مجبرة على دعوتي إلى حفلتها.

نهض نك واقفاً على قدميه، ونظر إليها متفحصاً من تحت جفونه

www.elromancia.com

المنخفضة. بدا له أنها في هذه اللحظة تكاد تنفجر من الغضب والاستياء.

– لم أفكر بذلك مطلقاً، لكنها فكرة جيدة.

مدّ يديه وأمسك بكتفيها، ثم ضغط عليهما برفق، وتابع: «أمي لم تعد شابة، وهي كانت متعبة جداً في الفترة الأخيرة؛ رؤيتك من جديد ستعطيها الفرح الذي تحتاجه، فهي تكن لك عاطفة مميزة كما تعلمين».

لم يكن يكذب، فقد كانت أمه مريضة، لكن علاجاً من المضادات الحيوية عالج ذلك الألم في صدرها وأعادها إلى سابق عهدها، إلا أنه لا يعتقد أن هناك حاجة لإخبار ليزا بذلك.

– كما أنني لا أرغب في الانفصال عنك سريعاً بعد أن التقينا ثانية، ليزا.

ضغط قليلاً بأصابعه على كتفيها، فشعرت برجفة تسري في عمودها الفقري. تابع يقول: «هل قضاء عدة أيام في إسبانيا أمر صعب عليك؟ إنك بذلك ستدخلين السعادة إلى قلب امرأة مسنة».

أمر صعب؟ لا! لكنه سيسبب لها ألماً عظيماً، وسيعيد إليها كل ذكريات الماضي. شعرت كأنها أسيرة الصدق الواضح في عيني نك السوداوين، كما شعرت باستيائه من ضعفه الوحيد الشديد. فهو يحب أمه كثيراً، وليس لديها أي شك بذلك.

– لا أعتقد أن ذلك صعب جداً.

من الطريقة التي سرد بها الأمور، لا بد أنه محق. تصلبت وهي تشعر بيديه حولها، وبدت خائفة من ردة فعلها المبالغ فيها بسبب لمسته فقط. عليها أن تعترف بالأمر حتى لو كان ذلك يزعجها. لقد تبين لها الكثير من الأمور من خلال لقائها بنك وقضاء النهار معه. إنها تشعر بالإذلال إذ تدرك أنه لم يتأثر مطلقاً لا بجمالها ولا بشخصيتها؛ في الواقع، من المحتمل أنه لا يزال يفكر أنها الفتاة السيئة التي كانت عليها في عينيه منذ سنوات.

راقب نك التعابير المتعددة التي تظهر على ملامح وجهها الرائع، وعلم أنها لا تزال غير مقتنعة كلياً، فأحنى رأسه ولامس شفتيها بإصبعه بنعومة.

– أنت تفكرين كثيراً، ليزا.

ردت ليزا بسخرية: «هذا أفضل من عدم التفكير على الإطلاق».

لكن قلبها لم يكن موافقاً على ما قالته. قالت لنفسها: ها قد وقعت بغرام نك مرة ثانية، تماماً كما كانت وهي طفلة حمقاء. كان عليها أن تتذكر كم هو متفاخر ومتكبر، ومصمم على الحصول على ما يريده مهما كلفه ذلك.

– خففي عنك، ليزا، ستستمتعين بزيارتك. تعالي واجلسي، لنأخذ شراباً ما.

– أعتقد أنني بحاجة إلى شراب بارد.

تمتمت ليزا بذلك وسارت معه لتعود وتجلس على المقعد. لم تبد أي اعتراض، عندما جلس بقربها وأبقى ذراعه حول خصرها، ليمسك بها قريبة منه.

علق وقد ظهرت على وجهه ابتسامة ملتوية: «أنت تعرفين أمي جيداً، تضع فكرة في رأسها ولا تحيد عنها. هي ما زالت تعتقد أنها أساءت إليك، ولهذا السبب لم تأتي لزيارتها منذ سنين. طائرتي في المطار، ليزا، وأنت حرة لمدة أسبوع وأكثر، فلن يكون هناك وقت أفضل مطلقاً».

علمت ليزا من خلال فكرة لمعت في خاطرها أنها ستترك هذا الرجل يأخذها إلى أي مكان يريده؛ فبعد سنوات من الإحباط ها هي قد التقت أخيراً وللمرة الثانية بالرجل الذي تستطيع لمسة خفيفة منه أن تجعلها تشعر بالفرح حتى أعماق قلبها.

قالت باستياء: «لا خيار لدي. لقد قلت لأمك إنني سأذهب».

قالت لنفسها في وقت سابق إنها تريد أن تعرف إلى أين ستقودها العلاقة مع نك، وهي لن تحصل مطلقاً على فرصة أفضل من هذه.

همس نك بصوت عميق وهو ينظر إلى أعماق عينيها: «لا تهتمي لأمي، أنا أريدك أن تأتي معي».

شعرت ليزا كأنه ينظر إلى روحها، ذلك الانجذاب الذي ظنت أنه مجرد

تفاعل كيميائي بسيط بينهما، أخذ فجأة اتجاهاً مخيفاً. لاحظت بعضاً من الشرارات الذهبية في أعماق عينيه، وغزا التوتر جسمها بأكمله عندما نسيت أمر أمه... نسيت كل شيء ما عدا إحساسها بهذا الرجل الذي يملأ أفكارها إلى حد إبعاد كل شيء آخر.

أحنى نك رأسه وعانقها. علمت ليزا، أن ليس هناك أي عقلانية في ما يحدث، لكن عناقه رائع، وهو يملؤها بإحساس يمنعها من التفكير. وجوده يسيطر عليها، ويجعل دماءها تتدفق بسرعة في عروقها. شعرت بنفسها ضائعة في عناقه، عندما رفع رأسه بعد قليل وتمتم بصوت ناعم: «فكري بنا، ليزا».

شعرت بارتباك كلي، وقالت: «بنا؟».

قال نك وهو يمسك بذقنها بنعومة: «نعم، عليّ أن أغادر الليلة، وأريدك معي بشكل يائس».

لفظ الكلام وهو يحدق في عينيها، وتابع: «ألا تشعرين بما تفعلينه بي؟».

قد لا تحظى بفرصة ثانية لتكون معه، وهذا ما تريده أكثر من أي شيء آخر في حياتها. فقد لاحق نك أحلامها وسيطر عليها لسنوات.

لفت ذراعيها حول عنقه، واستسلمت لعناقه من جديد بقوة لم تتخيل يوماً أنها موجودة في داخلها.

بعد قليل، قال نك بصوت أجش: «أنت رائعة! سنحظى بوقت رائع معاً، صدقيني».

شعر على الفور بوخز من الإحساس بالذنب، وهذا إحساس غريب بالنسبة له. لقد استغل انجذابها الواضح إليه ليحصل على النتيجة التي يريدها، لكن لم يتوقع مطلقاً أنه قد يرغب بالحصول على ليزا بهذه القوة.

تمتمت ليزا بصوت أجش: «سأطالبك بما قلته».

ورفعت عينيها الزرقاوين إليه، فلمحت الشوق في أعماق عينيه. وللحظة تصلب حلقها من الألم. نك رجل واثق من نفسه، وهي عديمة

التجربة. رأى نك لمعان الشك في عينيها الرائعتين، فلم يعطها الوقت الكافي لتبدل رأيها. نهض على قدميه، وأمسك بها لتقف معه.

قال لها وهو يضمها بقوة إليه: «عليك الاتصال بالفندق لحزم حقيبتك».

رمشت ليزا بعينيها، وتساءلت في لحظة غريبة ما الذي وافقت عليه. بينما وقف نك أمامها، والغموض والخطر واضحان في عينيه. شعرت فجأة بأنها مهددة، ولم تفهم ما سرّ هذا الإحساس.

طلبه واضح جداً، وبعد مرور لحظات قليلة من التوتر، قالت بنعومة: «أنت وأمك رتبتما كل شيء، لكن رؤية أنا مرة ثانية أمر رائع، ومن الصعب عليّ أن أخيب آمالكما».

يمكنها أن تقوم بدور المرأة المثقفة والمترفة مثل أية امرأة أخرى.

قال نك بصوت عميق: «لا يمكن أن تخيبي آمالي، ليزا».

وبابتسامة باهتة مرر إصبعه على وجهها المتقد كالنار في محاولة منه للتودد إليها.

- لكن إن لم نغادر الآن، فلن نتمكن من القيام بذلك أبداً.

من دون إرادة منها نظرت إليه بشوق وافتتان، فابتسم وقال: «هيا، أعتقد أننا بحاجة لشراب بارد الآن قبل رحيلنا».

www.elromancia.com

٤ - بريئة أم مذنبة؟

- والآن. لم يكن الأمر متعباً جداً، ليزا. أليس كذلك؟

سألها نك وهو ينزع عنه حزام الأمان، ثم استدار لينتزع حزام الأمان الذي كان يقيدها إلى مقعد الطائرة بجانبه بأصابع رشيقة. لكن قبل أن يفعل ذلك عانقها عناقاً سريعاً. رأى عينيها وقد أصبحتا داكنتي اللون، تذكر أن الساعة قد تجاوزت العاشرة وأن هناك غرفة نوم في الطائرة. سوف تستغرق الرحلة ساعتين، وهو سيعرض عليها أن تأخذ قسطاً من النوم.

علقت ليزا: «لا، لم يكن متعباً لكنه سريع بطريقة جنونية».

حاولت أن تتصرف بهدوء وبساطة، حتى وهي تشعر بدوار في رأسها بسبب عناقه.

- لا شك أنك تدرك أننا سنصل إلى إسبانيا في منتصف الليل، ومن الصعب أن توافق أمك على هذا التصرف.

نظر نك إليها مفكراً، إنها قلقة وتحاول جاهدة أن تخفي قلقها. من جهة أخرى أحب أن يعتقد أن جاذبيته الواضحة هي التي تثير قلقها، لكنه لم يتمكن من استبعاد شكوكه بأن ما يقلقها فعلاً هو تبدل خطتها، لكنه يعرف من خلال تجاربه، أن المجرم الحقيقي لا يبدل جدول أعماله بسبب تأثيرات خارجية.

قال لها مشجعاً وهو يبتسم ابتسامة كسولة: «دعيني أنا أقلق بشأن أمي، وارتاحي أنت، ليزا».

من السهل عليه قول ذلك، لكن ليزا في طريقها مرة ثانية إلى البيت الذي عانت فيه أكبر إذلال تعرضت له في حياتها، وهي تشعر بالخوف. سألته:

«هل سيكون هناك عدد كبير من الناس في الحفلة؟».

- عدد لا بأس به. أنت تعرفين أمي جيداً؛ وهذا هو اليوبيل الذهبي لزواج أخيها وزوجته.

لاحظ نك أنها تحدق به بقوة وهو ينظر إليها ملياً، وفي لحظة اختفى المرح من وجهه ليحل مكانه الشوق، وتجدد التوتر بينهما بقوة خارقة.

كيف يمكنها أن تفعل ذلك؟ إنها تسبب له الإرباك حقاً! نظرة واحدة من عينيها الزرقاوين تجعله يشعر بالذنب لأنه يخفي عنها الحقيقة، وفي ذات الوقت تسيطر عليه وتؤثر عليه بقوة.

قال بإصرار، وبصوت جاء حاداً بسبب التوتر: «أنت شديدة القلق».

لقد عاش يوماً طويلاً رهيباً؛ فالغضب الذي سيطر عليه عند الصباح خف قليلاً بعد لقائه بليزا، وحصوله على المعلومات التي يريدها. لكنه شعر كأنه يسير على البيض طوال الساعات القليلة الماضية. لم ينسَ مطلقاً أن هدفه الأساسي هو مساعدة كارل ليتمكن من إلقاء القبض على المجرمين، لكنه في الوقت ذاته يسعى لحماية ليزا من نتائج أعمالها؛ سواء كانت لديها نية جرمية أم لا. ما الذي سيفعله بها؟ إنه حتى الآن ليس متأكداً مما سيحصل... فهي تجعله يشعر وكأنه مراهق مشتاق يعيش أول مغامرة عاطفية له.

مرر نك يداً مرتجفة في شعره. لقد أصبحا في الجو الآن، ولا يمكنها أن تبدل رأيها، كما أن إبعادها عن لانزاروت لمصلحتها الشخصية. قال لنفسه، إنه يدين بعمله هذا للطفلة المرحة التي يعرفها، والتي يرغب بحمايتها. لا يمكنه أن يدعها تذهب إلى السجن. توقع أن تجعله هذه الفكرة يشعر أنه بحالة أفضل، لكن هذا لم يحدث. فقد كان يصارع بقوة ليتمكن من السيطرة على عواطف غير مرحب بها وغير مألوفة لديه من قبل.

هل فقد رشده؟ كيف بحق السماء سيشرح لكارل أنه سافر مع إحدى المشبوهات؟ لا بد أن صديقه سيعتقد أنه مجنون. ربما هو فعلاً كذلك... أدرك نك أنه مستعد ليفعل أي شيء، وليدفع أي مبلغ من المال لإبقاء ليزا

بعيدة عن المشاكل مع القانون، وإن كان هذا سيجعل منه أحمق، فليكن.

قفز على قدميه، وسار نحو أريكة من الجلد القشدي اللون. نزع عنه سترته وحلّ ربطة عنقه، ثم رماهما على ظهر الأريكة وارتمى هو عليها، فيما التمعت عيناه بالغضب.

ليزا هي آية من الجمال، سواء ارتدت بنطلوناً وقميصاً عاديين وعقدت شعرها الرائع إلى الوراء، كما رآها هذا الصباح، أو تركت شعرها ينسدل بكثافة فوق كتفيها وارتدت ثوباً أسود أنيقاً كالذي ترتديه الآن. سواء كانت سارقة أم لا، إنها تؤثر به حتى من دون أن تحاول القيام بذلك.

لقد كبرت وأصبحت امرأة رائعة الجمال ومثقفة، وها هو يتصرف كالأحمق. لطالما افتخر نك بنفسه لأنه يستطيع السيطرة على الغضب الذي يغلي في داخله مظهراً ابتسامة ناعمة، وهذا ما فعله وهو يشير إلى الأريكة المقابلة.

- اجلسي هناك، وستشعرين بارتياح أكبر.

قال ذلك وهو يراقبها تنهض عن مقعد الطائرة. كم تبدو خجولة، وبريئة، وهذا كله جزء من سحرها... أو ربما هذا كله مجرد تمثيل! ذكر نفسه بسخرية. وقف بعد قليل ليتقدم نحوها، ثم قال مقترحاً وهو يضع يده على كتفها: «ربما من الأفضل أن أقودك في جولة بالطائرة. فهي تقسم إلى ثلاثة أقسام مستقلة. هذا جناح المقاعد، وهناك غرفة نوم وغرفة للجلوس».

لم ترَ ليزا يوماً في حياتها مكاناً كهذا. فكرت بجفاء أن هذا ما هي عليه حياة الأغنياء من الناس. فكل ما حولها يصرخ بالثراء والرفاهية بصوت عالٍ. القسم الذي جلسا فيه يحتوي على مقاعد من الجلد الناعم، طاولة في الوسط، مع ثلاجة في إحدى الزوايا. في الجهة المقابلة المؤدية إلى مؤخرة الطائرة رأت ممراً مع زوج من الأبواب. هي تعرف عدداً لا بأس به من الأشخاص الذين يعيشون في شقق مساحتها أصغر من مساحة هذه الطائرة.

رفعت عينين تضجان بالحماس وقالت: «كل شيء يبدو جميلاً جداً،

وباهظ الثمن. لا بد أنه أمر رائع أن تكون ثرياً هكذا، لدرجة أنك تملك طائرة خاصة بك».

حبس أنفاسه ما إن رأى ابتسامة عينيها. لكن ما قالته جعله يتساءل إن كانت جشعة تسعى وراء المال، ما جعلها تصبح سارقة، أو باحثة عن الذهب، لكنه لا يهتم لذلك مطلقاً.

- للمال فوائد كثيرة.

أصبح صوته أكثر خشونة وهو يديرها بين ذراعيه. وأخيراً قام بما كان يرغب بالقيام به منذ أن غادرا الڤيلا، مرر يديه على خصرها وضمها بقوة إلى جسده القوي.

إنها رائعة... رائعة جداً...! ازداد عناقه عمقاً وشغفاً مع مرور الوقت، ثم شعر بيديها تطوقان عنقه، فرفع رأسه وقد لمعت ابتسامته بالنصر، تنفس بارتياح وقال: «دعيني أريك الأقسام الأخرى من الطائرة».

أمسك بيدها وقادها إلى غرفة النوم، فرأت سريراً ضخماً أثار في ذهنها مختلف أنواع التخيلات. أما غرفة الجلوس فكانت مليئة بالمقاعد الوثيرة بالإضافة إلى طاولة في الوسط. ما إن وصلا إلى هذه الغرفة حتى عاد نك يضمها إلى ذراعيه ويعانقها عناقاً خطف أنفاسها.

لم تدرِ ليزا ما الذي أصابها، ففي دقيقة واحدة تحولت من التحدث إليه برصانة، إلى الوقوف بين ذراعيه. وعندما عانقها تعلقت به، وجعلتها ابتسامته تنظر إليه بافتتان.

إحساس قوي سيطر عليها، جعلها تذوب من الشوق إليه. تلاعبت أصابعها النحيلة بشعره الأسود الناعم كالحرير، فيما غدا عناقه أكثر عمقاً.

قادها إلى أحد المقاعد الوثيرة وجلس إلى جانبها، فيما علت وجهه ابتسامة تنم عن الارتياح. وما هي إلا لحظات حتى جاء المضيف ليسألهما إن كانا يريدان شراباً ما، فصرفه نك على الفور قائلاً إنه سيهتم بالضيافة بنفسه.

علق نك بتفاخر: «لسنا بحاجة إليه. يمكننا الاهتمام بنفسينا».

اللون الخفيف الذي ظهر أعلى خديه أعلمها أنه واقع تحت سيطرة تلك المشاعر القوية مثلها تماماً.

شعرت ليزا بعواطف وأحاسيس لا تصدق تخترق جسمها، وهي التي اعتقدت لفترة أنها لا تتأثر مطلقاً بأي رجل. عناق نك جعلها تغيب في عالم خاص من الشوق والعاطفة لم تشعر به مطلقاً من قبل.

لم تكن أبداً مستعدة لكل هذه الأحاسيس التي أوجدها لديها. ولم تدرك مطلقاً، حتى إنها لم تفكر يوماً أن عمق المشاعر بين شخصين قد يصل إلى هذا المستوى. أخيراً أدركت ما الذي يعنيه اهتمام رجل ملأ أفكارها منذ بلوغها. إن جمال وسحر هذا الانجذاب المتبادل بينهما لا يمكن وصفه بالكلام. كيف تخيلت يوماً أنها تكرهه؟

إنه هو نيكولاس مانينديز، وهو معجب بها هي، ليزا سومرز، لقد حدث ذلك أخيراً! التوت شفتاها عن ابتسامة كبيرة.

استدار نك نحوها، فرأى ابتسامتها. بادلها الابتسام وراح ينظر إليها ملياً.

رأت لمعان الرضى في عينيه، وشعرت أنها مليئة بالفرح. عندما كانت مراهقة دارت أحلامها حول نك وتخيلته حبيباً لها فهل يقود هذا الإعجاب بينهما إلى تحقيق أغلى أحلامها؟

ضحك نك وقال: «يسعدني أن تعجبك رفقتي، لطالما فكرت أن تلك المراهقة النحيلة المرحة ستكبر وتصبح رائعة لدرجة أنها تستطيع إغواء قديس».

رمشت ليزا بعينيها ونظرت إليه ثانية؛ الحقيقة والواقع يحدقان بها. أدركت أن كلماته موجهة إلى جمالها لا إلى روحها وعقلها، واللحظات القليلة التي عاشتها وهي مفعمة بالأمل والفرح قد تبددت كانفجار بالون في الفضاء. كان نك ينظر إليها بإمعان كأنه فنان يعاين تمثالاً يعمل عليه. لكن لماذا لا يفعل ذلك؟ ذكرت نفسها. إنه خبير في العلاقات الغرامية، والنساء

يحمن حوله وينسجن عنه الأساطير، ومن المؤكد أنه ليس قديساً.

شعرت باللون الأحمر يصبغ خديها، وأخفضت رموشها لتخفي الألم الواضح في عينيها.

أمسك نك بخصلة من الشعر وأبعدها عن وجهها، وهو ينظر إليها بقلق ويقول: «أأنت بخير؟ هل أنت متأكدة؟».

بدت له ليزا تلك المرأة الشغوفة التي كان يتخيلها وأكثر. فهو لم يعرف يوماً امرأة مليئة بالعاطفة مثلها. ربما هي ليست امرأة مستهترة كما كان يعتقدها. وإن لم يكن مخطئاً فهي لم تكن على علاقة حميمة مع رجل.

شعرت ليزا بالإحراج من تحديقه، وقالت بهدوء: «إنني بألف خير».

ثم أردفت: «حان الوقت لنغادر. أليس كذلك؟».

أدركت فجأة أنها بحاجة إلى وضع مسافة بينهما، وإلا ستبوح لنك بمشاعرها الحقيقية معترفة أن عناقه ولمساته ليسا مجرد تسلية عابرة بل هي أكثر من ذلك بكثير بالنسبة لها. فهي لم تحلم يوماً بأن تشعر بهذا الفيض من العواطف، ولم تكن تصدق أن هذه الأحاسيس موجودة فعلاً.

نظر نك إلى ساعة يده وقال: «أنت محقة، ليزا».

استدار لينظر إليها وهو يبتسم، فلاحظ أن حمرة الخجل قد فارقت خديها، وأن عينيها مشرقتان، لكن هناك مرارة ما في ابتسامتها.

أحنى رأسه ليعانقها عناقاً سريعاً وهو يقول: «تبدين متعبة. ستهبط الطائرة في غضون عشرين دقيقة. ويجب أن نكون مستعدين».

راقبته ليزا بعينين منذهلتين وهو يقف ويسير نحو باب الغرفة ليتحدث إلى طاقم طائرته قبل البدء بالهبوط. وبسرعة حاولت أن تهدىء من اضطرابها. تمتمت مراراً وتكراراً أن ليس هناك أي مستقبل لهما معاً. إنها مجرد عطلة قصيرة لحضور حفلة تقيمها أمه، وكل ارتباط مع نك يجب ألاّ يتعدى المرح والصداقة، فهذا ما تستطيع التعامل معه.

٥ - ملاك في السرير

أنارت أضواء السيارة الإسطبل، فكبتت ليزا رجفة صغيرة اجتاحتها من الاشمئزاز. طرقت ذهنها ذكريات قديمة لكنها تمكنت من إبعادها عن تفكيرها، وبدلاً من ذلك تذكرت جمال الإحساس الذي شعرت به بين ذراعي نك. تمنت أن تستعيد تلك التجربة بشوق شديد. لو أنها أغمضت عينيها لاستطاعت أن تتخيل انسجامهما معاً.

هزت رأسها لتبعد عنه الأفكار المضطربة. مرت السيارة تحت قنطرة حجرية ضخمة لتصل إلى الباحة الخلفية لقصر مانديز هاكينيدا، وأوقف نك السيارة أمام باب واسع من خشب السنديان.

تعثرت ليزا وهي تخرج من السيارة، ثم وقفت مستقيمة، وأرجعت كتفيها إلى الوراء. كانت تشعر بالتصلب والتعب، وفجأة أصبحت تشعر بالتوتر بشكل لا يصدق. زيارتها الأخيرة لهذا المنزل كانت أشبه بالكارثة. ما الذي تملكها لتعود إلى هنا بحق السماء؟ نظرة واحدة إلى نك وهو يستدير أمام السيارة متجهاً نحوها، جعلتها تدرك الجواب فوراً.

- هل أنت متأكد أن هناك من يتوقع وصولنا في ساعة متأخرة؟

سألته ذلك وعيناها تجولان على المبنى الكبير أمامهما. بدا لها أن هناك خيطاً من نور يتسلل من تحت باب حجرة الانتظار التي توصل مباشرة إلى المطبخ الواسع في الجناح الغربي للقصر.

قالت بمرح وسخرية: «لماذا جئت بي من مدخل المطبخ؟ هل تحاول أن تهربني مثل اللصوص في الليل؟».

استدارت لتنظر إلى نك الذي كان يمشي بخطى واسعة، وما لبث أن

وقف أمامها برشاقة. توقفت عن السير، وشعرت بالتوتر يتصاعد منه من خلال التصلب الذي ظهر على خطوط فكيه، كما التمع شيء ما لم تميزه في أعماق عينيه الغامضتين. كانا يقفان تحت ضوء القمر الفضي، وشعرت بقوة شخصيته وسحره عندما لمس برؤوس أصابعه ذقنها.

تباً لها! إنها ليست مخطئة. فكر نك بحزن. لا شك أن لديه دافعاً خفياً... على الرغم من المساعدة غير المتوقعة التي جاءته من أمه، أدرك أن ليزا لن تحتاج إلى وقت طويل كي يساورها الشك بدوافعه. ذكره ذلك أيضاً أنه استسلم لسحرها، ونسي تماماً أن يمرر المعلومات التي حصل عليها منها إلى كارل بشأن عودة براون. رد عليها بسرعة وبصوت لاذع كالسوط: «وهل أنت لصة؟».

ما إن تلفظ بتلك الكلمات بفظاظة، حتى تمنى على الفور لو أنه لم يفعل. إذ سرعان ما رأى المرح يغيب من وجهها ومن عينيها المعبرتين، ليحل مكانه القلق والحيرة. أجاب نفسه بنفسه: «لا، بالطبع لا».

التوى فمه، وكأن تعليقها قد أضحكه. لا يريدها مطلقاً أن تشعر بالشك في دوافعه، ليس الآن على الأقل.

تابع يقول بطريقة مسرحية: «... ما عدا سرقة القلوب، بالطبع».

رفع ذقنها بإصبعه إلى الأعلى ممازحاً قبل أن يمسك يدها ويقودها باتجاه الباب.

- طلبت أمي من مانويل أن ينتظرنا هنا، عند الباب الخلفي. لا بد أنك تذكرينه، وتتذكرين كم يحب أن يجلس في المطبخ ليشاهد التلفزيون.

بالطبع ليزا تذكره. تقبلت ذلك التفسير، لكنها لم تستطع أن تتخلص من الحيرة بشأن الملاحظة المقلقة التي قالها. لم يكن يمزح عندما سألها إن كانت لصة... لا بد أنها سخيفة... لقد تجاوز الوقت منتصف الليل، ولا بد أنها تعاني من بلبلة في أفكارها...

شلال من النور أضاء الباحة فجأة ما إن ظهر مانويل. وعندما ابتسم وتلفظ باسمها بفرح واضح شعرت ليزا بالتأثر لأنه ما زال يذكرها. في

الدقيقة التالية سمعت نك يطلب من مانويل أن يأخذ حقيبتها إلى الغرفة الزرقاء.

أمسكت ليزا نك، وشدته إلى الوراء بينما كان يسير بخطى واسعة عبر الممر وراء مانويل، قالت: «لم أسمع من قبل بالغرفة الزرقاء».

توقف نك عن السير وقال بصوت عميق: «لا داعي للتحدث بصوت هامس، ليزا. فليس هناك أحد في هذا الجناح من المنزل كي يسمعك، هناك فقط مانويل وزوجته مارتا، ولا بد أن مارتا ذهبت إلى الفراش منذ وقت بعيد».

ضاقت عيناه وأصبحتا أكثر سواداً، وهما تتأملانها. وسمح لنظراته أن تتجول على قامتها الرائعة المثالية، تأمل فستانها الأسود الذي تجعد قليلاً بسبب الجلوس في الطائرة، ثم أعاد نظراته إلى وجهها.

إنها فائقة الجمال، ذات بشرة شاحبة، وشعر أشقر طويل، وعينان زرقاوان رائعتان. صرّ على أسنانه وعلم أن عليه أن يستعمل كل ما لديه من سيطرة على نفسه ليمنع نفسه من حملها بين ذراعيه ومعانقتها في هذه اللحظة بالذات. لسخرية الظروف، هو يعلم أن بإمكانهما تمضية ما تبقى من الليل معاً، لأن أمه تمضي الليلة في منزل خاله وزوجته في غرانادا، من أجل التحضير للاحتفال باليوبيل الذهبي في منزلهما، والإعداد لسهرة الليلة، كما أنهم سيذهبون إلى الكنيسة صباح نهار الأحد، ويعودون جميعاً إلى هنا للغداء ولحضور الحفلة الكبيرة والأخيرة في هذا المساء.

تجاهل الشوق الذي يشعر به نحوها، والذي يدفعه للاقتراب منها. وضع يديه في جيبي بنطلونه، واستدار ليتابع السير بسرعة خلف مانويل الذي يسير أمامه.

الغرفة الزرقاء! لم تسمع ليزا يوماً بها، لكنها لم تأت إلى هنا منذ سنوات، وهي لا تعلم إن كانت ستشعر بالراحة أو بالندم لأنها ستبتعد عن نك. نظرت إلى قامته الفارعة الطول، وكادت تبدل رأيها.

ارفعي رأسك عالياً، ليزا! رفعت رأسها بكبرياء وهي تشعر بموجة من

الاحمرار تغزو خديها. منذ متى أصبحت تختلس النظر إلى الرجال؟ تنهدت في سرها؛ ليس الرجال، فقط هذا الرجل.

تلعثمت قائلة: «الغرفة الزرقاء؛ لا أعتقد أنني رأيتها من قبل».

- ربما لا، لقد حدث الكثير من التغييرات والإضافات منذ أن كنت هنا آخر مرة.

رماها بنظرة حادة وتابع بسخرية: «لكنها ليست غرفتي، أؤكد لك. وهكذا آمل سيدتي أن تكوني راضية».

قالت بسرعة: «نعم، شكراً لك».

ورمته بنظرة، تمنت أن تكون نظرة باردة. كان بإمكانه أن يضيف أي تعليق أكثر سخرية، من خلال النظرة الغامضة الذي يرمقها بها، هذا ما فكرت به. رفعت كتفيها، وسارت بخطى واسعة وراء مانويل، لكن بخطوة واحدة كان نك قربها.

قال يمازحها بنعومة: «هل أنت على عجلة من أمرك لتذهبي إلى السرير؟».

أحنى رأسه ليتمكن من لفظ تلك الكلمات في أذنها، فيما ضحكته العميقة أفسدت كل محاولة لها لتبقى هادئة.

لم تزعج نفسها بالإجابة بينما كانت ساعة الحائط القديمة تدق معلنة الواحدة، مبددة الصمت. سارت ليزا عبر الممر بينما استمر نك ملتصقاً بها. توقف مانويل عن السير وفتح أحد الأبواب. وضع حقيبة ليزا في الداخل، ثم ابتسم لها واستدار عائداً من الطريق التي ساروا فيها.

كادت ليزا ترمي بنفسها في الغرفة، فقد كانت تزيد من سرعتها لتبتعد عن حضور نك القوي.

تمتمت: «عمت مساءً».

كانت ترغب في إغلاق الباب بوجهه، لكنها كانت بطيئة جداً بحركتها. أمسك نك بها وشدها إليه بذراعيه القويتين، وعانقها بقوة. وسرعان ما انطفأ كل احتجاج على شفتيها.

شعرت بحرارة قوية تسري في جسدها، فرفعت ذراعيها لتضمه إليها لكن نك ابتعد عنها فجأة. قال بصوت أجش ساخراً: «والآن، هذا عناق المساء لأتمنى لك ليلة سعيدة».

تفحص وجهها بعينين سوداوين تتراقصان من المكر، وتابع: «غرفة الحمام إلى اليسار. أراك لاحقاً».

ورحل بعد أن أغلق الباب بهدوء وراءه.

حدقت ليزا بالباب المغلق، وبعد لحظات قليلة تمكنت من التنفس تقريباً بطريقة عادية، ثم استدارت لتنظر حولها. في الغرفة سرير كبير ذو أعمدة، تحيط به ستائر من الحرير الأزرق، ومغطى بغطاء طرز بأجمل الأشكال وبلون أزرق داكن، وهو يحتل معظم الغرفة. أما نوافذ الغرفة فواسعة تعلوها أقواس، وتغطيها ستائر زرقاء اللون مشابهة لغطاء السرير. سارت نحو السرير وجلست على حافته ثم خلعت حذاءها. نظرت إلى الجدار المواجه حيث وضعت طاولة للزينة مع كرسي ناعم مطلي باللون الذهبي، رأت حقيبتها وقد وضعت على سطح ما يبدو صندوقاً قديماً في الزاوية.

تنهدت وهي تشعر بالإرهاق ونهضت، ثم سارت نحو حقيبتها. فتحتها بسرعة ورتبت ثيابها القليلة في الخزانة المزخرفة، وأخيراً توجهت نحو غرفة الحمام.

بدا الحمام فخماً مثل الغرفة، كله مصنوع من الرخام والمرايا الكبيرة، أما حوض الاستحمام فهو واسع جداً. خلعت ثيابها واستحمت بسرعة، ثم خرجت من حوض الاستحمام وسارت إلى حيث وضعت كومة من المناشف الناعمة المرتبة.

بسرعة أمسكت منشفة كبيرة من الكومة، ولفت جسمها النحيل بها وعقدتها عند صدرها. خرجت من غرفة الحمام، فارتدت قميص نومها بسرعة، وأطفأت النور الأساسي في الغرفة، ثم صعدت إلى السرير لتندس تحت الأغطية الناعمة مستنيرة بالضوء الخافت للمصباح الموضوع على الطاولة، قرب السرير.

استرجعت ثانية في خيالها كل همسة وكل لمسة تشاركا بها.

ابتلعت غصة بصعوبة، وحاولت أن تتخلص من تلك الأفكار. إن تقاربهما لا يعني شيئاً. عليها ألاّ تنسى ذلك مطلقاً. حسها العقلاني أعلمها أن الأمر برمته هو تسلية عابرة بالنسبة لنك ماننديز الشهير. لكن قلبها قال لها إنها ستتعرض إلى خطر كبير من الوقوع بيأس مطلق في حبه... هذا الحب الذي لن يبادلها إياه. فالحب الذي اعتقدت أنها تشعر به نحوه عندما كانت مراهقة لا يمكن مقارنته مطلقاً بما تشعر به الآن من أحاسيس قوية نحوه.

لم تكن تعلم مطلقاً أن الحب ينغرس بمثل تلك القوة في أعماق المرء. إلا أنها بدت مقتنعة وبشكل كامل أنها إذا استسلمت لعاطفتها وانجرفت بحبه، فسينتهي بها الأمر ممزقة إلى أشلاء. هناك أمر واحد تعرفه بشكل أكيد، وهو أن نك ماننديز لا ينظر إليها إلا لمجرد تحقيق تسلية عابرة في حياته الحقيقية.

إنها هنا لتلبية دعوة أمه إلى الاحتفال، حتى لو حصل ذلك بسبب تحريض نك لها، وهذا ما لا تشك به مطلقاً. من الواضح أنه يهتم لأمه كثيراً، ولم يضيع وقته للاستفادة من وجود ليزا لقضاء القليل من الوقت الممتع، وهي وافقت على ذلك بملء إرادتها.

تنهدت بمرارة واستدارت لتطفىء النور الخافت بجانبها. لاحظت عبر عينيها المثقلتين بالنعاس باباً آخر عبر الجدار المواجه، قد تكون هذه غرفة لتبديل الملابس. كانت متعبة جداً لتفكر بالأمر، اختبأت تحت غطاء السرير، وما هي إلا لحظات حتى استسلمت للنوم.

من جهته اتصل نك بكارل، ومرر له المعلومات المتعلقة ببراون. أخبره أنه سيعود إلى لانزاروت لينهي الاتفاق بنفسه، ويستلم المال. لكنه تجنب أن يقول إنه يفترض بليزا أن تلقاه في ذلك اليوم هناك. لقد تعمد أن يخفي هذه الحقيقة عن صديقه، وهذا أمر لم يفعله مطلقاً في السابق. عندما سأله كارل عن ليزا، أكد له أنها تحت مراقبة شديدة معه في إسبانيا، لكنه متأكد

www.elromancia.com

وبصورة مطلقة أنها ليست متورطة بعملية السرقة عن قصد منها أو معرفة، وهو يتحمل المسؤولية الشخصية عنها. لم يكن كارل سعيداً بما سمعه، وذكره أن ليزا سوف تكون الشاهدة الأساسية عندما تصل القضية إلى المحاكم. احتاج الأمر إلى نقاش طويل وحاد كي يتمكن نك من إقناع كارل بألا يقوم بأي شيء يتعلق بليزا في الوقت الراهن.

بعد ذلك راح يذرع غرفته ذهاباً وإياباً لمدة ساعة، مصمماً على عدم الاستسلام لإغراء الباب المشترك الذي يفصل بين غرفتيهما. فحتى لو تبين أن ليزا بريئة تماماً، فهو يعلم أن أية علاقة معها هنا ستسبب له المشاكل، لا سيما أن أمه وأمها صديقتان مقربتان جداً. ذكر نفسه على الفور، أن عليه ألاّ يتورط في أي علاقة حميمة معها. لكن لأول مرة في حياته يتغلب حماسه على حذره. هذا الحذر الذي اعتمد عليه نك طيلة حياته ليحميه من الوقوع في المشاكل في حياته العاطفية. لا أحد سوى هذه المرأة الساحرة جعله يشعر بالضعف من قبل. سار عبر الباب المشترك لغرفتيهما مدفوعاً برغبة قوية لمعانقتها وتأمل وجهها الملائكي وهي تغفو في سريرها. لكن، رؤيتها مستلقية هناك، وقد ظهر تجهم خفيف على وجهها الجميل، جعلته يتردد في إيقاظها، فاكتفى بلمس جبينها ليبعد القلق عن وجهها.

سمعها تتنهد، وتستسلم إلى النوم العميق بارتياح، فشعر بالرضى وبعدم الرغبة في القيام بأي أمر آخر. وسرعان ما استدار، وغادر الغرفة.

٦ - بذور الشك

ارتجفت ليزا بعد أن شعرت ببرودة الهواء، وتحركت رموشها الطويلة فوق عينيها نصف المفتوحتين. لاحظت أن أشعة الشمس قد تسللت من بين الغيوم لتنير الغرفة بضوء أزرق باهت. شدت الغطاء حتى عنقها، وتحركت في السرير وهي ما تزال شبه نائمة. للحظة لم تعرف أين هي، لكن ما لبثت أن عادت ذاكرتها إليها. بالطبع، هي في إسبانيا، والطقس ليس حاراً هنا كما هو في لانزاروت.

آه يا إلهي! نك!

استدارت ليزا وشعرت بثقل في قدميها، وتذكرت أنها أمضت يوم أمس وهي تتجول من مكان إلى آخر برفقة نك. تذكرت أنها رافقته برحلة في طائرته الخاصة إلى إسبانيا. سيطرت عليها ذكريات الليلة الماضية، واختفت من رأسها أية أفكار أخرى.

إذاً هي الآن في منزله في إسبانيا، وهي عضو في نادي النساء اللواتي يعشقن نك. هذا أمر لم تتمناه يوماً، لكن، إذا أرادت أن تكون صادقة، فهي ليست نادمة. مدّت ذراعيها وشبكتهما فوق رأسها، وتمددت بتراخٍ، وهي تستمتع بالإحساس الجديد الذي عاشته مع نك.

صوت عميق أجش بدد صمت الغرفة: «يا لها من صورة تستحق أن يحتفظ بها المرء!».

تجمدت ليزا في مكانها، وطارت نظراتها إلى الرجل الطويل الذي دخل إلى الغرفة وهو يحمل صينية في يده. تمعنت في النظر إليه بتقدير ويأس معاً وهو يقترب من السرير. من الواضح أنه استحم قبل قليل، فشعره الأسود

ما زال رطباً، وقد مشطه بعيداً عن جبهته، كما أن وجهه الجذاب يشع بالنشاط والحيوية. ارتدى نك رداء من قماش المناشف أبيض اللون يصل حتى ركبتيه، لكنه مفتوح عند الصدر قليلاً، بحيث ظهر أعلى صدره المكسو بالشعر. شعرت ليزا بدقات قلبها تضرب بعنف لمجرد رؤيته.

تمتم نك: «ليتني أحضرت معي آلة تصوير».

ونظر بإمعان إلى مظهرها الناعس.. بشعرها الأشقر الطويل المتساقط حول كتفيها وذراعيها المدفوعتين فوق رأسها، وبشرتها الناعمة... ذلك كله جعله يشعر بالشوق إليها من جديد.

أدركت ليزا فجأة أن الغطاء منحسر عنها، فأسرعت بالإمساك به وشدته إلى عنقها، وهي تشعر بوجهها يتقد ناراً.

شعرت بمعدتها تتقلص من التوتر لكن قبل أن تتمكن من التفكير بإجابة ذكية ترميه بها، أضاف قائلاً: «إنك تستحقين أن تكوني نجمة غلاف لإحدى المجلات التي تهتم بالجمال».

كلماته جددت مخاوفها الدفينة، نك لا يريد منها إلا شيئاً واحداً: الحصول على التسلية والمغامرة.

آلمتها معرفتها بالحقيقة، لكن هذه المعرفة سوف تقوي تماسكها وثقتها بنفسها. إن كان نك يريد امرأة قوية وذات خبرة، إذاً هذا ما ستكونه بالتحديد. استجمعت كل ما تعلمته في حياتها من التصرف بقوة وكياسة، وقالت: «صباح سعيد، نك».

توقف نك إلى جانب السرير، وعقد حاجبيه في تجهم واضح. إنه معتاد على استقبال أكثر حماسة من النساء في حياته. لماذا تحاول ليزا أن تظهر بمظهر هادىء، بينما الاحمرار على خديها يثبت العكس؟ رفع حاجبيه بمرح ساخر، وقال: «صباح سعيد، أليس كذلك؟ وأنا الذي توقعت منك عناقاً سريعاً على الأقل».

جالت عيناه بتقدير واضح على وجهها الجميل، ثم وضع الصينية على الطاولة قرب المقعد من الجهة الأخرى للغرفة.

أما ليزا فلبست رداء فوق قميص نومها وأنزلت قدميها إلى جانب السرير وجلست عند حافته. وركزت انتباهها على الصينية، غير قادرة على النظر إلى عينيه اللتين تظهران شوقه إليها. رأت إبريق شاي من الفضة، ووعاء من القشدة، بالإضافة إلى وعاء من السكر وفنجانين، مع صحن كبير من المعجنات.

بدون وعي منها عادت نظراتها إليه، وقالت بتهذيب: «ستشاركني الفطور... هذا لطف منك».

- هذا ما فكرت به، ولا أعتقد أنك تمانعين.

لاحظ كيف سحبت يدها الصغيرة بسرعة من يده، فأدرك أنها متوترة.

وهي ليست متأكدة إن كان عليه أن يكون هنا في غرفتها: «ماذا عن مانويل؟ وعن أمك؟».

ضحك نك وقال: «خففي عنك، ليزا. يذهب مانويل برفقة مارتا صباح كل أحد إلى أقاربهما. أما بالنسبة إلى أمي، فهي في غرانادا، ولن تعود قبل الظهر. كما أنها لا تحتاج مطلقاً لأن تعلم أنك تشاركينني شرب القهوة في غرفتك».

ولمعت عيناه بالمكر وهو يضحك.

أدهشتها ابتسامته، فنك يستطيع أن يجعلها تشعر بالمرح، وبأنها فاتنة ومحبوبة في الوقت نفسه. إنه أمر مخيف يجعلها أكثر قلقاً واستياء. قالت بسرعة: «آه! اصمت، واسكب القهوة».

رفع حاجبه الأسود بسخرية وتهكم قائلاً: «أنا أعشق المرأة التي تتولى إصدار الأوامر في بعض المناسبات، لا سيما في غرفة النوم».

كررت قولها وقد بدأت تشعر بالغضب: «فقط اسكب القهوة. يمكنني أن أكون أكثر ارتياحاً من دون تعليقاتك المحرجة عند الصباح».

علّق قائلاً: «أمر مؤسف».

لكنه انحنى إلى الأمام وسكب فنجانين من القهوة، ثم قدم لها واحداً.

- أعتقد أنك تنهضين بمزاج سيء عند الصباح.

www.elromancia.com

أمسكت ليزا فنجانها وشربته حتى آخر رشفة من دون عجلة، ثم وضعت الفنجان على الصينية ويدها ترتجف قليلاً. قالت: «حسناً! أنت مخطىء. إنني أنهض بمزاج جيد جداً ما إن أتناول فنجان القهوة».

ضحك نك بصوت عميق، ومدّ يده الأنيقة ليبعد شعرها الكثيف عن وجهها، ثم قال: «برهني ذلك، ليزا».

أصبح وجهه الوسيم الرائع قريباً منها، فرأت بوضوح كبير رموشه الطويلة التي تكاد تلامس أعالي خديه، وجفنيه المفتوحين عن عينين تلمعان بالمرح، وفمه القوي الملتوي عند زاويتيه عن ابتسامة ماكرة.

حدقت به وهي تشعر بمزيج من الخوف والتوقع، وقالت: «أبرهن... ماذا؟».

- هذا!

اقترب منها يعانقها.

صرختها المباغتة تلاشت في حلقها. وشعرت بعاطفة قوية نحوه، حتى إنها كادت تخبره أنها لا تريد الابتعاد عنه أبداً... من المؤكد أن بإمكانه أن يرى ذلك بنفسه.

إنها تريد استعادة الصديق الذي تفتقده كثيراً، والحبيب الذي اكتشفته للتو، والقوة العاطفية والعقلية التي قدمها بكرم لا مثيل له لفتاة يافعة قبل تلك الحادثة التي حولته إلى عدو لها.

حاولت أن تعترض ولو بصورة ضعيفة: «أمك...».

لكن قلبها لم يكن موافقاً على ما قالته، بل تلفظت بتلك الكلمة من شفتيها فقط.

رفع نك رأسه وحدق في عينيها بقوة وصدق، ثم قال: «ألم يخبرك أحد أن تذكير الرجل بأمه فيما هو يعانقك ليس فكرة جيدة؟».

لم تجبه ليزا بل مررت أصابعها في شعره الداكن وضمته إليها.

قال نك: «يا إلهي! أنت رائعة... ولا أصدق ما أشعر به نحوك».

قالت ليزا: «وأنت أيضاً».

عناقه أعطاها من الفرح أكثر مما تستطيع أن تتخيل، ومع ذلك شعرت بإحساس بارد من الخوف يتسلل إلى فكرها المتعب. ليس على نك إلا الظهور حتى ترتمي بين ذراعيه!! كيف بحق السماء ستتمكن من إخفاء ردة فعلها القوية نحوه؟ نك متكبر ومغرور بما فيه الكفاية في علاقاته مع النساء، وإذا صدقت ما تقوله عنه الإشاعات في الصحف، فهو ليس بحاجة إليها ليضيفها إلى مجموعته.

شعرت بالغضب يغلي في صدرها، وغمرها الإحراج لأنه تمكن بسهولة من التغلب على تحفظها.

- ماذا سيفكر مانويل أو أمك إن عادا وأنت ما زلت في غرفتي؟ قد يعودان في أية لحظة.

تملكها غضب شديد فتابعت: «آه! أعتقد أن نك ماناديز الشهير لا يهتم مطلقاً لمشاعر الآخرين... أيها المتكبر المتفاخر!».

راحت ليزا تبالغ بردة فعلها، لكن مع تلك العواطف القوية التي تمزق قلبها، لم تكن قادرة على السيطرة على نفسها. مع ذلك كانت تعلم أن إحساسها بعدم الأمان هو الذي يجعلها تتصرف بعصبية.

جلس نك باستقامة على مقعده، وبدا وجهه النحيل قوياً ومتوتراً. للحظة قصيرة رأت ليزا التماعة من الغضب الصارخ في عينيه السوداوين، ثم التوى فمه بابتسامة باهتة، وقال بسخرية: «هل أنت متمسكة بالأصول والتقاليد، ليزا؟ أستغرب هذا من فتاة لم يكن لديها أي حرج من التسكع مع أحد عمال الإسطبل في هذا المنزل».

ثقة ليزا بنفسها وكل محاولاتها لتبدو امرأة متحضرة وأنيقة انهارت دفعة واحدة. شعرت كأنه طعنها بالسكين في معدتها، شعرت بالألم قوياً جداً لدرجة أنها لم تستطع النظر إليه. لم يغير نك رأيه بها مطلقاً، ولن يفعل ذلك.

من الواضح أن البقاء معها هو مجرد لعبة بالنسبة له. إنها لعبة يريد أن يربحها، تماماً كما يربح أي شيء آخر يرغب به.

رأى نك الألم في عينيها، قبل أن تبعد رأسها. وعلى الفور تمنى لو أن تلك الكلمات الساخرة لم تخرج من فمه. تذكر غضبه عندما رأى ليزا بين ذراعي ذلك الشاب. لا يحق له أن يذكرها بذلك، لا سيما الآن وهي معه. كم هو شديد البلاهة! في الواقع، هذا أمر مختلف جداً عن شخصيته.

هل أصيب بالجنون؟ لا، إنها ليزا! التي تقوده إلى الجنون. يهجره هدوؤه العادي وسيطرته على نفسه ما إن يقترب منها. لم يعانِ يوماً من العواطف المتقلبة كما يحصل معه عندما يكون بقربها.

أعطاها الغضب والكبرياء القوة، ما جعلها تنظر إليه قائلة بغضب: «كنت في السادسة عشرة من عمري، وكنت حمقاء».

للحظة اعتقدت أنه أجفل. لا! ليس نك الجبار. ذكرت نفسها بذلك بمرارة قبل أن تتابع: «لكنني أصبحت أكثر نضجاً، وتعلمت الكثير عبر السنين».

رفعت رأسها عالياً، والتمعت عيناها من الغضب وهي تتابع: «من الواضح أن ذلك لم يحدث معك. فما زلت ذلك المتكبر المتفاخر الشرير. وما زلت تعامل أية امرأة بخشونة إذا ناسبك ذلك».

قالت ذلك وابتعدت عنه، لكن نك لم يفسح لها المجال لترحل، فهو يشعر بغضب شديد. أمسك بها من كتفيها وأدارها إليه، وهو يقول: «تباً، ليزا!».

اقترب منها بينما راحت ليزا تضربه بيديها الاثنتين، قال بينما راحت يداها تمزقان عنقه: «توقفي عن ذلك، يا امرأة».

وأمسك خصلة من شعرها وشدها إليه ليعانقها، فهو لن يدعها ترحل قبل أن تهدأ. سيبقيها في المكان الذي يريده. وعندما شعر بأن الإحساس بالشجار قد فارقها، عندها فقط ابتعد عنها وهو يقول بخشونة: «ناديني بكل الأسماء التي تريدين، ليزا. لكنك مخطئة بشأن معاملتي للنساء بخشونة، بل العكس صحيح».

عانقها ثانية وغابا معاً في لحظات من الشوق والجنون.

لا تستطيع ليزا القيام بشيء حين تكون بالقرب من نك إلا التعلق به. فهو يعلم تماماً كم يستطيع التأثير بها.

– ليس هناك من داع للعجلة، ليزا. فالغداء سيقدم عند الساعة الواحدة، وسألقاك في الطابق الأرضي. لا تشعري بالإحراج. فأنت ضيفة مرحب بها جداً في هذا المنزل، كما أنك صديقة للعائلة، وأعدك أنك ستستمتعين بإقامتك هنا.

عناقه وكلامه اللطيف ومحاولته لتطمينها جعلت قلب ليزا يرقص من الدفء، وما إن شعرت بالارتياح قليلاً، حتى تكورت شفتاها عن ابتسامة وهي تقول: «من الأفضل أن يحدث ذلك وإلا فإنني قد أطلب تعويضاً».

بعد مرور نصف ساعة وقفت ليزا أمام المرآة وتأملت انعكاس صورتها... عقدت شعرها إلى الوراء بوشاح من الحرير الأبيض، ووضعت لمسة من أحمر الشفاه وعطراً على بشرتها. هذا كل ما تحتاجه. اختارت أن ترتدي قميصاً بيضاء اللون وبنطلوناً أزرق، مع حزام مناسب من الجلد شدته على خصرها النحيف، وانتعلت خفاً ناعماً. نعم، إنها جميلة جداً. لقد انتهت في وقت قصير لكنها لا تستطيع الانتظار لترى نك ثانية. وهي تريد أن تقرص نفسها لتتأكد أنها لا تحلم. نيكولاس مانانديز حبيبها، وهي تشعر برغبة في الصراخ معلنة ذلك ليصل صوتها إلى السماء.

بدلاً عن ذلك سارت عبر القاعة التي تؤدي إلى المطبخ. من عادة آنا مانانديز أن تجعل الغداء عملاً مشوقاً ورائعاً. بعد مرور خمس دقائق أوصلها مانويل إلى غرفة الطعام. ولدهشتها رأت أن هناك عدداً من الضيوف غيرها.

ترددت قليلاً عند الباب، وفجأة شعرت بالتوتر، فهي لم تستطع أن ترى نك في أي مكان. جالت بعينيها على الغرفة مرة ثانية وكادت تستدير وتركض هاربة عندما أدركت أنه ليس هناك، بينما جميع الضيوف الآخرون يرتدون ملابس فاخرة، فالرجال في بذلات رسمية والنساء في أبهى حلل وأفخر ملابس.

في تلك اللحظة لمحت السنيورة مانانديز، وعندما تمكنت من التخلص من ترددها بشكل كافٍ سارت نحوها. ففي النهاية، هي هنا بناء على دعوة السيدة، وهي صديقة للعائلة كما قال نك.

لطالما أحبت ليزا أم نك، فهي امرأة صغيرة القامة، سوداء الشعر، وجميلة جداً، وتشبه أودري هيبورن كما كانت تراها دائماً. اليوم آنا مانانديز ترتدي بذلة من صنع شانيل، أما الضيوف الباقون فهم أربعة أزواج يافعين.

شعرت كأنها ترتدي ثياباً قديمة ولا تناسب الغداء. فكرت أن نك يستحق القتل لأنه لم يخبرها بما عليها أن تتوقعه، وتركها بمفردها لتواجه الغرباء. رفعت ليزا كتفيها وتحلت بأقصى ما يمكنها أن تظهره من الشجاعة، وقالت: «مرحباً، آنا».

- ليزا! كم هو رائع أن أراك ثانية. لقد مضى وقت طويل لم أرك فيه.

وبسرعة ضمت آنا ليزا بين ذراعيها وقبلتها على خديها، فشعرت ليزا بالعطر الفرنسي الفاخر. ولمدة عشر دقائق انهمرت الأسئلة عليها؛ عن أمها وعن عملها، وأخيراً تلقت دعوة جديدة.

- ستأتي أمك في أواخر شهر آذار لقضاء عطلة الفصح هنا. نحن لم نرَ بعضنا منذ أن تزوجت للمرة الثانية، لكن كما هو واضح، وافق جف على الاهتمام بالعمل بنفسه، لذا أنا سعيدة وأنتظر لقاءها بشوق.

تابعت آنا بحماس: «يمكنك أن تأتي معها... يمكننا أن نأخذ إجازة نحن النساء... يمكننا الذهاب للتسوق والجلوس معاً للثرثرة. لا أريدك أن تشعري بأنك غريبة هنا مرة ثانية. كنت غاضبة حقاً من نيكولاس لأنه سافر إلى لانزاروت البارحة في حين أنه وعدني أنه سيأتي إلى غرانادا لحضور احتفال خاله طوماس، لكنني سامحته كلياً لأنه أحضرك معه».

ثم رفعت يداً صغيرة أنيقة وربتت على خد ليزا.

- إنني سعيدة جداً لأنني هنا. كما أنني آسفة لأنك لم تكوني بخير.

نظرت إلى وجه المرأة بإمعان، وتفاجأت ليزا من حقيقة أن آنا تبدو أكثر

من مشرقة، وعيناها السوداوان اللتان تشبهان تماماً عيني ابنها، صافيتين وتلمعان بالمرح والسعادة.

رمتها آنا بنظرة غريبة وقالت: «هل أخبرك نك بذلك؟».

- حسناً! ليس بالتحديد. قال إنك كنت مريضة، لكنك تبدين مشرقة ورائعة.

- آه! من المحتمل أنه قصد الالتهاب البسيط في الصدر الذي تعرضت له منذ عدة أسابيع. أنا بخير الآن، ولم أكن يوماً بحال أفضل. لكنك تعرفين كيف هم الرجال، إنهم دائماً يبالغون. البارحة ترك لي ملاحظة أن لديه اجتماعاً عاجلاً مع كارل دالك، وغادر في الطائرة إلى لانزاروت، مع أنني أشك أن الأمر كان هاماً جداً كما قال. توقعت منه أن يحضر كارل معه إلى هنا، لكنه عوضاً عن ذلك أحضرك أنت عزيزتي، لهذا أنا سعيدة جداً. لا أعتقد أنك قابلت كارل، أليس كذلك؟».

هزت ليزا رأسها وقالت: «لا».

وعقدت حاجبيها الناعمين بتجهم بسبب ما باحت به آنا.

- ربما ذلك أفضل. إنه رجل وسيم جداً وثري أيضاً، لكن لا أحد يعلم ما الذي يجمعهما معاً. كل ما أعرفه هو أن كارل ما زال يشجع نك على القيام بالرياضات الخطرة، مع أنه كان عليهما التخلي عن تلك المبالغات منذ وقت بعيد.

هزت رأسها وتابعت: «لكن مع ذلك، أشعر بالفرح لأنك هنا، كما أنك ستعودين مع أمك. أليس كذلك؟».

ابتسمت ليزا لآنا، وهي تشعر ببعض التحسن، وأجابت: «تسعدني رؤيتك آنا، أما بالنسبة لشهر آذار، فسأحاول جهدي».

لكن ما إن قالت ذلك حتى علمت أنها لن تفعل. فعلاقتها مع نك - إن كانت علاقة حقاً - ستكون قد انتهت، ومن المحتمل أنها لن ترى آنا بعد ذلك مطلقاً.

في الواقع، كلما فكرت بلقائها الغريب بنك، كلما زادت شكوكها.

بدأت تتساءل لماذا كان نك متحمساً جداً لإحضارها معه إلى إسبانيا لحضور حفلة المساء. أبسبب جاذبيتها، كما قال لها؟ فكرت بحزن أن من الصعب تصديق ذلك، لأنها لم تفكر يوماً أنها تملك هذا النوع من الجاذبية التي لا تقاوم. بالإضافة إلى أن القصة التي أخبرتها بها آنا عن ذلك اللقاء الطارىء في لانزاروت مع كارل تبدو لها صحيحة. فقد أمضى نك طوال النهار تقريباً معها، وكذلك فترة المساء. من الصعب أن يكون الهدف من رحلته تلك الزيارة التي لم تدم أكثر من دقيقتين إلى مكان المبنى... لكن هل...؟

سألت ليزا آنا: «هل يعمل كارل دالك في البناء؟».

ابتسمت آنا وقالت: «لا».

مدّت ذراعها لتعرض أمام ليزا سواراً من الماس رائع الصنع، وتابعت: «هذا هو عمل كارل.. الماس. لكن لدي انطباع من نك أن الأمور ليست...».

أصبح نك وراء ليزا تماماً في الوقت الذي سمع فيه اسم كارل.

قاطعها بسرعة، ليمنعها من تكملة ما كانت تهم بقوله: «آه، أمي! لقد قابلت ليزا. والآن، أريد أن آخذها منك للحظة لأعرفها على خالي طوماس».

توترت ليزا ما إن أحاطت يده الضخمة بالقسم الأعلى من ذراعها بقبضة حديدية. جميل منه أنه وصل أخيراً، لكن ما الذي حصل له ليقطع حديثهما هكذا؟ رمته بنظرة حائرة، وقد زاد استياؤها عندما أدركت أنه يرتدي بذلة رسمية أنيقة ذات لون رمادي ممتزج بالفضي، وقميصاً بيضاء، وربطة عنق من الحرير. بدا وسيماً جداً، وجعلتها شخصيته القوية تحبس أنفاسها. لكن عندما وصلت عيناها إلى وجهه الوسيم الغامض رأت أنه يبتسم، لكن المرح لم يصل إلى عينيه.

لم تكن آنا مانانديز، وهي في الستين من عمرها، حمقاء يمكن لأي شخص أن يستغفلها. قالت: «بإمكانك القيام بذلك».

دار رأسها الصغير بين الفتاة الجميلة الطويلة القامة وابنها الضخم.

شعرت بوضوح بالتوتر الدائر بينهما، وهي تعرف ابنها الوحيد جيداً لتدرك أن هناك ما يقلقه. إذا كان الأمر كما تظن فهي لن تكون أبداً أكثر سروراً، لكن نيكولاس أصبح في الخامسة والثلاثين من عمره وما زال يتعاطى بغرابة مع هذه الأمور. إنه يملك السحر والجاذبية اللتين كانتا لزوجها، إن لم يكن أكثر في الواقع. لكن لديه تفاخر وسخرية عندما يتعلق الأمر بالنساء، وهذا ما لم يعانِ منه مطلقاً والده، لأنه كان رجلاً متزوجاً عندما كان في مثل سنه. تابعت بنبرة صوت حاسمة: «لكنني أريد التحدث إليك في ما بعد، نيكولاس».

التقت عيونهما المتشابهة بشراسة، وأبعد نك نظره أولاً. رأت ليزا النظرة بين الأم وابنها، فعلمت أن هناك شيئاً ما يحدث هنا وهي لا تفهمه.

بدأت بالقول وهي تنظر إلى نك بتجهم: «انتظر لحظة، أنا...».

قال نك بنعومة، وهو يضغط بقبضته على ذراع ليزا: «في ما بعد. يكاد خالي يموت شوقاً ليلقاك».

ودفعها عبر القاعة أمامه. إنها تبدو رائعة الجمال، حتى بهذه الثياب العادية. لا يستطيع نك تصديق ذلك! هو لم يعرف مطلقاً امرأة لا يلزمها سوى هذا الوقت القليل لترتدي ثيابها، مع أنه عرف الكثيرات! لم يفكر أبداً أنها ستصل إلى أمه قبله. الله وحده يعلم ما الذي قالته أمه. لكنه مصمم، على أن يعرف، ليس فقط من ليزا، بل من أمه أيضاً. وهذا أمر لا يتطلع إليه بفرح. فهو يشك بأن يستطيع شخص وجد على سطح الأرض أن يخفي بنجاح أي شيء عن أمه.

وقفت ليزا صامتة بجانب نك، وهي تشعر بالغضب يغلي في داخلها. خاله يكاد يموت شوقاً ليلقاها؟! منذ متى؟ تساءلت بضيق. لم تصدق ذلك للحظة واحدة. استعادت الحديث الذي دار بينها وبين آنا، وشعرت فجأة بالتصلب. رمت نك بنظرة غاضبة، ثم حاولت أن تسحب ذراعها من قبضته عندما قدمها نك إلى الرجل القصير القامة أمامهما: «خالي طوماس، أريدك أن تقابل ليزا. إنها ابنة باميلا سومرز، صديقة أمي الإنكليزية».

في خضم التعارف التقت ليزا بزوجة طوماس، ألين، وشقيقها باولو وزوجته، وحفظت اسم ماركو، وبدا لها أنه مألوف لديها ولو بشكل غامض، لكنها لم تتذكر أي اسم آخر.

ومن خلال الحديث العام الذي جرى أدركت ليزا أن طوماس وألين يحتفلان باليوبيل الذهبي لزواجهما. وأن ليلة البارحة كان هناك عشاء في منزلهما في غرانادا. إنه العشاء الذي لم يحضره نك... واليوم هذا الغداء العائلي مع آنا، التي ستقيم حفلة يحضرها أصدقاؤهم وأقاربهم.

تمتمت ليزا محدثة نك بسرعة: «أريد التحدث معك».

إلا أنه وضع يده على ظهرها وقادها إلى مقعدها حول طاولة الطعام المعدة بشكل أنيق جداً. تابعت بتوتر: «هذا غداء عائلي، وأنا أشعر كأنني متطفلة».

انزلقت اليد التي كانت على ظهرها لتحيط بخصرها النحيف، ليسيرا معاً بسرعة. حدق بوجهها بعينين تشعان بالحيلة والذكاء، وقال: «أنت لست متطفلة. قلت لك من قبل، أنت ضيفة مرحب بك دائماً».

قالت من بين أسنانها: «هذا ما تقوله، لكن كان بإمكانك إخباري، فأنا لا أرتدي ثياباً لائقة».

رفع كتفه العريضة وقال بسخرية: «تبدين جميلة جداً بالنسبة لي».

ردت بغضب: «المسألة ليست هنا».

لكن، وقبل أن تتمكن من لفظ كلمة جديدة، سحب نك كرسياً، ودفعها لتجلس عليه من خلال وضع يده على كتفها.

أحنى رأسه المغطى بالشعر الأسود نحوها، وقال بنعومة هامساً: «احسني التصرف، ليزا... لا شيء يجب أن يفسد احتفال طوماس».

- ماذا عن...؟

ضغطت أصابعه الطويلة على كتفها في تهديد واضح.

لمعت نظرته بتحذير لا يمكن لها ألاّ أن تلاحظه. قال بنبرة آمرة: «ليس الآن، ليزا. في وقت لاحق».

جلس على الكرسي المجاور لها، وأسقط يده عن كتفها، ليمسك بها يدها تحت غطاء الطاولة.

توترت ليزا، وشعرت بالصدمة من وقاحته ومن ردة فعلها للمسته. أبعدت يدها بسرعة، ونظرت حولها باستياء. وعندها فقط أدركت أن جميع الموجودين في الغرفة يحدقون بها وبنك بصمت، مع درجات متفاوتة من الاهتمام. تمنت لو أنها تختفي تحت الطاولة لشدة الإحراج الذي شعرت به.

لدهشتها، لم يكن الغداء سيئاً كما خشيت. فالطعام بدا أكثر من شهي، كما أنها استمتعت جداً بالنقاش المليء بالفرح الذي دار أثناء الغداء. فقط... لو أنها استطاعت إبعاد الشك المتزايد عن فكرها، بأن سبب إحضار نك لها إلى إسبانيا لا علاقة له بأمه ولا بالانجذاب الفوري بينهما، كما اعتقدت سابقاً. حتى لو سلّمت بأن اتصال آنا بنك ليلة البارحة هو مجرد صدفة، فذلك لا ينفي أن نك ذكر اسمها متعمداً، متوقعاً أن تقوم أمه بدعوتها للمجيء إلى منزلها.

راود ليزا شعور مزعج أنها بطريقة ما كانت الخيار الثاني لنك. اعتقدت أمه أنه سيلتقي بكارل دالك وأنه سيعود برفقته إلى الحفلة، لكن ليزا لا تستطيع أن ترى متى حظي نك بالوقت للقاء الرجل. أخبرها نك أنه وصل للتو من المطار، ثم أمضى النهار كله معها فعلياً. من المؤكد أنه كان بإمكانه أن يذكر شيئاً من لقائه العاجل خلال حديثهما، وبدلاً عن ذلك زارا مركز البناء لعدة دقائق فقط. ربما كان الرجلان ينويان القيام بمغامرة خطرة كالقفز داخل فوهة البركان في المنتزه الوطني في طيمنغيا. وفق ما قالته آنا، هما شريكان في مثل هذه النشاطات الطائشة، وربما لم يتمكن كارل دالك من القدوم.

- أتريدين المزيد من الشراب، ليزا؟

رفعت ليزا نظرها مندهشة، وعيناها الزرقاوان تبحثان في وجهه الوسيم، لكن بدت تعابير وجهه غامضة، وعيناه الداكنتان لم تبوحا بشيء.

قالت بحزم: «لا، شكراً لك».

أدركت أن نك ماهر جداً في إخفاء عواطفه. هي بحاجة لتتحدث معه، وبحاجة لتحصل على بعض الأجوبة؛ فهي تشعر بأن هناك شيء ما مريب. لكن قبل أن تتمكن من متابعة الموضوع سألها الخال طوماس لماذا فتاة رائعة مثلها لم تتزوج بعد. وهذا ما دعا إلى عاصفة من الضحك وإلى نظرة ساخرة من نك.

قالت وهي تبتسم: «لأنني لم أقابل مطلقاً رجلاً يناسبني، حتى التقيت بك، طوماس. لكن لسوء الحظ أنت متزوج».

أبعدت كل شكوكها إلى مؤخرة رأسها أثناء الضحك الذي تبع تعليقها. استمر الغداء على هذا المنوال من الضحك، وعندما بدأ الأشخاص المتقدمون في العمر يستعيدون ذكريات الماضي البعيد، اقترحت آنا على نك أن يأخذ ليزا والشابين الآخرين إلى الخارج ليشاهدوا القسم الذي أضيف مؤخراً إلى الإسطبل، والذي هو بالتحديد مكان لسباق الخيل.

* * *

وقف نك ويده على رسن حصان أسود رائع. ابتسم بفخر وكبرياء لامتلاكه هذا الحصان، وهو يداعب العنق الأملس اللماع، وقد أبدى الجميع إعجابهم وحماسهم للحصان.

اعترفت ليزا، أن نك والحصان، كليهما رائعين. كل منهما هو الأفضل في نوعه. فقد بدا نك وسيماً بشكل يقطع الأنفاس، ومدمراً بهدوئه وسيطرته على الحيوان. كبتت العاطفة المفاجئة التي شعرت بها من خلال مراقبته، وأبعدت نظرها عنه. فجأة، انتابها الخوف من أن يسيطر عليها تماماً كما يسيطر على الحصان.

نظرت حولها، وبعد مرور لحظة غاب اللون من وجهها، وبصورة لا شعورية ارتجفت ما إن أدركت أين هي بالتحديد. فالحصان في الإسطبل، وهو المكان الوحيد الذي لم تكن تريد أن تراه ثانية.

رفعت ليزا عينين مرتعبتين في اللحظة التي نظر نك باتجاهها، فاختفت الابتسامة المشرقة من وجهه القوي النحيل. ما إن التقت عيناه بعينيها حتى أصبحت ملامح وجهه قاسية فجأة، فعادت إليها شكوكها بقوة وعنف.

استدارت ليزا بسرعة، وخرجت من الإسطبل. اتكأت للحظة على الجدار، لتأخذ نفساً عميقاً، وشعرت بالكره لنفسها لأنها أصيبت بالرعب أمام الجميع. يبدو أنها عندما تكون قريبة من نك، لا يمكنها إلا أن تعود تلك الطفلة المسلوبة العقل التي كانتها في السابق، ويجب على ذلك أن يتوقف. وقفت مستقيمة، وسارت عبر الباحة المرصوفة بالحصى نحو المنزل. ليذهب نك إلى الجحيم هو وخيوله!

سلم نك الرسن إلى ماركو، وقال قبل أن يتبع ليزا إلى الخارج: «يمكنكم أنتم الأربعة أن تتجولوا كيفما تشاؤون. أحتاج إلى معاينة شيء ما».

كانت ليزا قد ابتعدت مسافة قصيرة عندما لفت ذراع قوية خصرها وضمتها إلى جسد قوي.

سأل نك بخشونة: «إلى أين تعتقدين أنك ذاهبة؟».

ردت بتحدٍ: «إلى أي مكان بعيد عنك».

لقد اقترفت خطأ كبيراً. لم يكن نك بحاجة لقول أي شيء، رأت كل شيء على وجهه ما إن نظر إليها. فهو لا يزال يعتقد أنها تلك المستهترة التي قام بوصفها منذ سنوات عديدة، وأضافت هي على تصرفها الأحمق السابق قدومها معه إلى إسبانيا، واستسلامها لإغرائه. مهما كان السبب الذي دفعه للقدوم بها إلى هنا، فهي متأكدة أن لا علاقة له مطلقاً بمشاعره نحوها. ففي النهاية، يستطيع نك الحصول على أية امرأة يريدها.

رفعها نك عن الأرض بذراع واحدة، وسار نحو الجهة الخلفية من المنزل من دون أن يتفوه بكلمة واحدة. صرخت ليزا، وهي تحاول أن تحرر نفسها: «دعني، أيها المتوحش».

- لا!

للحظة نظر بعينيه العميقتين إلى وجهها المتقد احمراراً، وتابع: «أعلم

أنني أتصرف بقسوة، لكن احتفظي باتهاماتك المضادة حتى نعود إلى المنزل».

- ولماذا علي الانتظار، بحق السماء؟

شعرت ليزا بالألم الممتزج بالشك والغضب من نفسها لأنها عاجزة عن مقاومة إغوائه.

رفع حاجباً بسخرية وقال: «لأننا في احتفال، أتذكرين؟ خمسون عاماً من الزواج... وأنت لن تقومي بإثارة المشاكل. مع أنني لا أعلم كيف يستطيع رجل احتمال امرأة لمدة خمسين عاماً».

تورد خداها، وقالت: «أنا أثير المشاكل...؟ أمك المسكينة...».

قال بغضب: «هذا يكفي».

لم يكن نك معتاداً أن يُسأل عن تصرفاته وأعماله، لا سيما من قبل فتاة نحيلة وصغيرة السن. تصرف باندفاع، فرفعها عن الأرض وحملها عبر المطبخ، تحت نظرات مانويل والعمال المندهشين. لم يتوقف حتى وصل إلى غرفتها، ورماها على السرير.

قال بخشونة: «والآن ليزا، دعينا ننهي الأمر».

للحظة شحب وجه ليزا، وما لبث أن عاد اللون الأحمر القاني إلى خديها.

- لماذا؟ أنت...

أمسك برسغها في قبضة حديدية فجمدت الإهانة في حلقها.

- لا أحد يتكلم معي بهذا الشكل!

أطبق على فكيه بقوة، ولمعت عيناه السوداوان وهما تتفحصان بدقة وجهها الغاضب.

قال لها ببرودة شديدة: «لا سيما امرأة من نوعك».

كررت ليزا: «من نوعي؟».

شعرت ببرودة مخيفة تحل مكان غضبها، لأن بإمكانه أن يكون بمثل هذه القسوة.

- أنت تدركين ما أقصده، ليزا، أنا لست حبيبك الأول ولن أكون الأخير، فأنت ترغبين بي تماماً كما أرغب بك. لِمَ كل هذا الغضب الآن؟

تابع كلامه بقسوة لم تتصور أبداً أنه قادر عليها: «كل ذلك ببساطة لأنك وجدت نفسك في الإسطبل الذي يحمل ذكرى لعمل طائش قمت به في الماضي؟».

مسحة من الاحمرار لونت خديها؛ فهي ليست بحاجة ليذكرها بمدى تأثرها به، وبردة فعلها نحوه منذ سنوات بعيدة عندما كانت مراهقة.

- هذا كلام بذيء، لكن ما الذي يمكن أن أتوقعه من رجل بأخلاقك.

لمع الشرر في عينيها الزرقاوين، وحدقت بغضب متقد بوجه نك. تابعت وهي تحاول أن تسيطر على غضبها: «هناك أمر ما يجري هنا، لا أفهمه. من هو كارل دالك بحق السماء؟ اعتقدت أمك أن لديك اجتماعاً طارئاً معه البارحة. ولا أستطيع أن أصدق أنك تكذب على أمك، لكنك قلت لي إنك وصلت للتو من المطار عندما قابلتني، وقد أمضيت النهار كله برفقتي. أنا لست مغرورة بنفسي لأصدق أن رجلاً مثلك سيتخلى عن اجتماع طارىء لأجلي».

ما إن بدأت ليزا بذكر شكوكها حتى لم تعد قادرة على التوقف.

- اعتقدت أمك أن ذلك الرجل كارل سيعود معك إلى هنا.

ركزت عينيها الغاضبتين على وجهه القاسي، وتابعت: «كما أن هناك أمراً آخر، ليلة البارحة جعلتني أعتقد أن أمك مريضة، لكن عندما قابلت أمك قالت لي إنها لم تكن يوماً أفضل حالاً في حياتها كلها. لا تعتقد أنني غبية، نك».

تقبل نك غضبها وتوترها بتفاخر واضح. كان يعلم أن هذا الأمر سيحدث، لكنه أمل أن يتمكن من إلهائها وإبعادها عن التفكير بذلك. إن إشارة ليزا إلى كارل دالك جعلته يشعر بعدم الارتياح. ضاقت عيناه وهما تلتقيان بعينيها المشعتين، وشعر بالتأثر فعلاً... قلة من الناس تستطيع الوقوف بوجهه، أو حتى تحاول أن تقف بوجهه.

- انتبهي، ليزا، إحساسك بالاضطهاد يكاد يظهر عليك.

حاول أن يسخر منها، لكنها قابلت محاولته بالمرح برفع حاجبها الأنيق بتحدٍ. فهي امرأة ذكية وتريد أجوبة عن أسئلتها.

سألته ليزا: «فقط، أجب عن سؤالي».

- كارل دالك صديق قديم لي، وعلى عكس ما افترضت، لقد تحدثت معه البارحة بعد الظهر، بعد أن تركتك في الفندق.

- آه!

افترضت ليزا أن ذلك محتمل، لكنها لم تصدق أن الأمر مستعجل جداً، إن كان يستطيع الانتظار طوال النهار لكي يقابل الرجل.

علقت مدافعة عن نفسها: «لم يكن الأمر مستعجلاً، إذاً».

وبدأت تتساءل إن كان محقاً بشأن عقدة الاضطهاد.

- يا إلهي، ليزا! لديك حقاً عقل مشكك في هذا الجسم الرائع. أما بالنسبة لأمي، قلت لك إنها كانت مريضة...

رفع كتفه قبل أن يتابع: «... وأنت قمت بالاستنتاج على هواك».

أعلنت بقوة، وهي تشعر بالتعجب من وقاحة الرجل: «وأنت تركتني أعتقد كما أشاء، كما جررتني آلاف الأميال... إلى إسبانيا...».

حدقت به متفحصة بدقة ملامح وجهه القاسية... ذلك الوجه القوي المدمر، باحثة عن أي ملامح بالذنب، ولم تجد شيئاً. وبدلاً من الإحساس بالخجل، شعرت بغضبها يذوب تحت تأثير حضوره القوي.

- لماذا؟

- أولاً، لا أتذكر أنني مارست أي نوع من الضغط عليك. وافقت على دعوة أمي، قبل أن أخبرك أنها كانت مريضة. لقد ساعدت فقط في دعم قرارك عندما بدوت كأنك ستبدلين رأيك.

وبيدين قويتين أحاط بكتفيها وتابع: «أما لماذا، فلأنني أريدك بقربي. الأمر بمنتهى البساطة».

أحنى رأسه ذا الشعر الأسود، وعانقها عناقاً لطيفاً. جعلها ترتجف.

قالت منكرة عليه العناق: «لا!».

لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الإحساس بالرضى لقربه منها. لا يستطيع أن يخبرها بالحقيقة كلها، هذا إذا كان يريد سلامتها وإبقاءها بقربه. فجأة اكتشف أن بقاءها بقربه أمر حيوي ومهم بالنسبة إليه... فداحة الفكرة ذاتها صدمته. ابتعد عنها بهدوء وقال: «حسناً! كوني صادقة، ليزا. أنت تعلمين أن الانجذاب بيننا قوي جداً، ولا يمكننا نكرانه».

لا يمكنها أن تنكر ذلك، ولم تحاول حتى. سألته بتردد: «لكن لماذا أردتني أن أتحدث مع أمك منذ البداية؟».

شعرت كأنها تسير في حقل ألغام. قال إنه يريدها بقربه، وهذا يشعرها بالإطراء، لكن هناك شيئاً ما ما زال يدور في رأسها ويقلقها.

- كان بإمكاننا البقاء في لانزاروت.

بدون وجود العائلة والأصدقاء ليزعجوهما... لكنها لم تقل له ذلك.

وضع نك يده على مؤخرة عنقها، وما إن شعرت بأصابعه تمر بين خصلات شعرها حتى حاولت أن تتجاهل دقات قلبها المتسارعة والحرارة التي غمرتها بسبب اقترابه منها. كررت قائلة: «لماذا؟».

حدق بعينيها من خلال نظرة ضيقة مزقت سيطرتها الهشة على نفسها.

- الأمر بمنتهى البساطة، ليزا. كان عليّ العودة إلى إسبانيا، لأنني أنا وأمي راعيا هذه الحفلة الليلة.

تمتمت ليزا: «آه! هذا صحيح».

لقد نسيت ذلك تماماً، وها هي تشعر بأنها حمقاء.

- صحيح، ليزا.

أمال رأسها نحوه وقال: «وبما أنني كنت قد وجدتك للتو، فلم أستطع التفكير بالابتعاد عنك».

بدا كلامه رائعاً، وأرادت ليزا أن تصدقه، فهي تريد أن يشعر نك ولو بجزء قليل جداً مما تشعر به نحوه. قالت لنفسها إن ما قاله لها منطقي جداً.

www.elromancia.com

لكن ما إن ضمها إلى جسده القوي محيطاً خصرها بذراعه بينما يده الثانية ما زالت في شعرها، راودتها فكرة أن بإمكانه أن يقول لها إن الأسود أبيض وإن العكس صحيح، وهي ستصدقه. فجاذبيته المطلقة تسيطر عليها بقوة فتنسيها أي شيء آخر. لكن ليس كل شيء.

قالت ما هو واضح كالشمس: «كان بإمكانك أن تسألني بكل بساطة».

– وهل كنت ستوافقين على القدوم إلى قارة ثانية معي لحضور الحفلة، بمثل هذه البساطة؟

تابع وهو يرفع حاجبه بسخرية: «لا تنسي أنني أعرفك سابقاً، ليزا. ولا أرغب في أن أتلقى صفعة ثانية».

اعترفت قائلة: «لا! من المحتمل أنني ما كنت لأوافق».

صرح بصوت مرح وعميق: «إذاً، لقد سامحتني. وهذا أول شجار لنا، وقد انتهى ونسيناه معاً، وهكذا يمكننا العودة إلى متابعة أمور أكثر أهمية وحماساً».

لم يطلب السماح منها أو حتى الاعتذار، فقط أعلن ذلك ببساطة. هذا ما هو عليه نك! فكرت بانبهار: هو يمارس قوته عليها بدون أن يتفوه بأية كلمة، بل من مجرد نظرة مزق كل دفاعاتها.

قالت وهي تبتسم باستياء: «أنت شخص لا يطاق، وغرورك الواضح لا ينفك يثير استغرابي».

لكن التوهج الناعم في ملامحها خفف من مرارة كلماتها.

نظر نك إليها بعينين مليئتين بالشوق والحرارة، وتمتم بصوت أجش: «أعتقد أنني أحرجتك بما فيه الكفاية اليوم بجملك عبر القصر إلى هنا».

نظر إلى وجهها الجميل المتورد خجلاً، وتابع يقول: «وإن تأخرنا على حفلة أمي سنذكي الثرثرة إلى درجة لا تحتمل».

تنهدت ليزا موافقة: «أنت على حق».

علق نك بتفاخر لا يطاق: «أنا دائماً على حق».

وعانقها مرة ثانية. جاء عناقه قوياً لدرجة أنها لم تستطع أن تبتعد عنه

على الفور.

قال وهو يتراجع مبتعداً: «وقبل أن تسألي، السهرة رسمية جداً، وسأعود لاصطحابك عند الساعة السابعة».

علقت: «عليّ أن أجد ما أرتديه».

وشعرت بالامتنان لأنها وجدت شيئاً عادياً تستطيع التركيز عليه بينما حوّل نك كل قوتها إلى غبار.

– افعلي ما تشائين، فأنا أجدك رائعة في أي ثوب ترتدينه.

وغادر الغرفة.

www.elromancia.com

٧ - حفلة ودموع

وقفت ليزا تحت المياه المنعشة في الحمام، وحاولت أن تحلل ما جرى معها خلال اليومين الماضيين. استيقظت في الفندق صباح البارحة متوقعة أن تحضر مؤتمراً لمدة أسبوعين مع رئيسها. والآن ها هي في إسبانيا مع نك مانانديز، وإن لم تكن حذرة جداً فهي في خطر أن تقع في غرامه من جديد.

بعد مرور عشر دقائق، وقفت أمام مرآة طاولة الزينة في غرفة نومها تجفف شعرها. فجأة أدركت ما الذي يزعجها ويضايقها باستمرار، منذ ليلة البارحة. عندما التقت نك صباح البارحة أبدى اهتماماً كبيراً بعملها. قالت له إنها تعمل في شركة ستابس وشركاه، وإنها في لانزاروت مع رئيسها لحضور مؤتمر، وأخبرته عن الإجازة غير المتوقعة التي حصلت عليها. لكنها متأكدة تماماً أنها لم تذكر مطلقاً اسم هنري براون.

ليلة البارحة، وأثناء العشاء عندما كان نك يمازحها ويقول لها إن بإمكانها أن تكون راقصة شهيرة، أو أن يكون لديها حبيب ذو مستوى راقٍ جداً، تقبلت الأمر وكأنه مجاملة. لكن بعد ذلك، قال نك إنه سمع أن رئيسها هنري براون ليس في أي مكان قريب وهو ليس مهتماً حتى بحب حياته، وهو يعلم أن براون متزوج.

مجرد التفكير بالأمر الآن، جعلها تتذكر أنها للحظة قصيرة شعرت بغرابة الأمر، لكنها كانت منشغلة جداً بالتصرف كامرأة مثقفة خبيرة فلم تظهر وجهة نظرها في الموضوع، وتخلت عن التفكير به. كلما ازدادت تفكيراً بالأمر الآن، كلما أصبحت أكثر اقتناعاً أنها لم تذكر اسم براون مطلقاً طوال النهار. بالإضافة إلى ذلك، كيف تمكن نك من معرفة أنها

تتشارك مع رئيسها في جناح واحد في الفندق؟

في وقت لاحق، بعد أن ارتدت الفستان الذي أحضرته معها لترتديه في حفلة نهاية المؤتمر، وقفت تنظر بإمعان إلى صورتها في المرآة الطويلة. صففت شعرها إلى الوراء، مع خصل تتهادى من أعلى رأسها. وضعت ظلاً للعيون بعناية واهتمام، كما وضعت أحمر الشفاه بلون الورد الداكن، وبدت رائعة ومتزنة. لكنها لم تكن كذلك أبداً من الداخل.

تنهدت، وسارت مبتعدة عن المرآة، انتعلت حذاء فضياً مرتفع الكعبين ملائماً للفستان الفضي الذي ترتديه. ربما نك على حق... أتراها تعاني من شعور بالاضطهاد؟ وقفت مستقيمة، وعدلت وضعية السلسلة في العقد الذي يحيط بعنقها. إنها تبدو جميلة وجذابة جداً، فلماذا إذاً تعاني من الإحساس بعدم الأمان؟ ربما هذا ما يفعله الحب بالناس.

قالت ليزا لنفسها، إنها ليست مغرمة. إنها فقط بحاجة إلى استعادة السيطرة على نفسها. حتى الآن سمحت لنك بالقيام بكل الخطوات، وهذا ما عليها أن توقفه على الفور. فهي تريد بعض الأجوبة المباشرة عن أسئلتها المباشرة له. وإن لم تكن أجوبته صادقة فهذا يعني أن عليها المغادرة غداً.

فجأة فتح الباب، وسار نك إلى داخل الغرفة.

- يا إلهي! ليزا تبدين فاتنة.

ذكرته بإحدى آلهات الجمال الخيالية، وشعر بألم في صدره لا مبرر له.

- ألم تسمع يوماً بعادة الطرق على الباب قبل الدخول؟

ابتسمت ليزا لكنها تراجعت إلى الوراء ما إن تابع السير نحوها، وعيناه تلمعان بقوة.

- ظننت أننا تخطينا تلك المرحلة.

ونظر إليها بلمحة سريعة ذات معنى.

أكدت له ليزا بحزم: «ربما حصل ذلك من قبلك، لكن أنا لم أفعل».

سألها نك باستياء: «هل هناك شيء ما لا أفهمه؟».

أمسك بيدها، ورفعها نحو صدره وهو يتابع: «اعتقدت أننا تخطينا

مرحلة القيام بالألاعيب أمام بعضنا، لكن إن كنت تصرين على التصرف بشكل رسمي...».

أحنى رأسه وقبل يدها.

ضغطت على أصابعها بقوة محاربة الإحساس القوي الذي شعرت به، والذي امتد حتى ذراعها. علقت بثبات: «أنا لا أتحدث عن التصرف بشكل رسمي، لكن العادات الحميدة لا يمكن اعتبارها أموراً خاطئة. قلت لك ليلة البارحة إنني لن أسمح لك بمعانقتي أو بالدخول إلى غرفتي هنا في منزل أمك، وهذه المرة أنا أقصد ذلك تماماً».

تصادمت عيناها بعينيه. ما الذي تفعله بحق السماء؟ أتحاضر بالعادات الحميدة لنك مانديز؟ خافت ليزا من الفكرة بحد ذاتها، واختارت أن تمازحه فتابعت: «سأسامحك هذه المرة، نك. والآن، أين هي الحفلة؟».

قال بصوت أجش وبسخرية: «كنت أفضل لو أنها في مكان آخر».

توقف قليلاً عن الكلام ثم تابع: «لكن كما يبدو، هذا ليس خيارك».

شدّ قبضته على يدها وأضاف: «على أي حال، الآن الواجب يناديانا. لكنني أحذرك، سنغادر في نزهة عند منتصف الليل إذا كانت هذه هي الوسيلة الوحيدة للبقاء بمفردنا».

حدق بعينيها الرائعتين. إنها تتمتع بجمال مذهل، كما أنها مليئة بالحيوية، لكنه أصبح أكثر نضجاً وأكثر ذكاءً عما كان عليه منذ سنوات عديدة. علمته الحياة أن النساء مخلوقات ماكرة، وهذه المرأة ربما هي أكثر مكراً من معظمهن. لماذا بحق السماء يحاول أن يحميها؟ هذا ما لا يعرف له جواباً مطلقاً.

قال بصراحة: «هيا! ستتأخر على الحفلة».

بقي ممسكاً بيدها وهو يشدها إلى خارج غرفة النوم.

أمضى نك نصف ساعة مؤلمة، يستمع إلى محاضرة عن علاقاته مع النساء من قبل أمه؛ وهو ليس بحاجة لمزيد من المشاحنة مع الجنس اللطيف.

قالت له أمه بصراحة مطلقة إنها تعلم تماماً أنه يستغل النساء لمصلحته

الشخصية، وأن لا رغبة لديه مطلقاً بالارتباط. لكن إن كان لديه أي ميل لمعاملة ليزا الرائعة بذلك الأسلوب فعليه أن ينسى الأمر.

لو أن شخص آخر تحدث إليه كما فعلت أمه لأقدم على قتله. لكنها أمه! تمكن نك من السيطرة على أعصابه، مع أنها اقتربت جداً من الحقيقة عندما أخبرته أنها متأكدة بشأن السبب الذي جعل ليزا تبقى بعيدة عن منزلها منذ أن كانت في السادسة عشرة من عمرها، فلا بد أن نك قام بإزعاجها وإخافتها. حذّرته بألا يكرر تلك الغلطة، لأن ليزا فتاة صالحة جداً.

عند هذه النقطة كاد يفقد أعصابه، ويخبر أمه الحقيقة كلها...

الظلم الذي لحقه بسببها ما زال يشعره بغضب قاتل. ضغط بقبضته على ذراع ليزا، وبعينين سوداوين قاسيتين، نظر إلى جانب وجهها الرائع؛ إنه يحاول بقوة أن ينقذها من السجن، لكن أن يسمع من أمه أنه مجرد رجل مهووس، فهذا لا يحتمل. والأسوأ من كل ذلك، أنه لطالما افتخر بنفسه كونه رجلاً دائم السيطرة على نفسه وعلى الأوضاع التي يمر بها، لكنه الآن يسير على أرض متزعزعة جداً.

ما هذه المعضلة؟! شعر نك أنه يدور في دوامة، وهذا لا يعجبه أبداً.

إنقاذ النساء أثناء المحن أمر مضى وانقضى في القرن الماضي، مع تقدم الحركة النسائية في أرجاء الأرض كافة. إذاً، ما الذي تملكه ليتصرف كفارس، ويعمل على إنقاذ ليزا؟ لم يجد نك جواباً سؤاله، أو ربما هو غير مستعد للاعتراف بالجواب.

شعرت ليزا أنها تغلي من الغضب، صرخت به: «انتظر لحظة، نك».

لقد جرها عبر المنزل من دون أن يعطيها الوقت الكافي لتلتقط أنفاسها، وأصبح الآن بإمكانهما سماع صوت الموسيقى بوضوح، بعد أن كادا يصلان إلى مدخل القاعة الكبرى.

توقفت ليزا بغتة قائلة: «قبل أن ندخل...».

نظر إليها بعينين غاضبتين وقد ظهر فقدان الصبر على ملامح وجهه، بينما تابعت هي: «أريد أن أعرف كيف عرفت اسم رئيسي في العمل هنري

براون، فأنا لم أذكره أمامك، وأنت تحدثت عنه ليلة أمس أثناء العشاء. كما أنني أريد أن أعرف كيف علمت أنني أتشارك معه في جناح واحد في الفندق؟».

إذاً أخيراً لاحظت الخطأ الوحيد الذي اقترفه! لم يتفاجأ نك من ذلك، فهي فتاة ذكية جداً.

قال لها بفظاظة: «لا بد أنك تعانين من مشكلة عدم الثقة بجاذبيتك ما دمت مستمرة في البحث عن سبب يدفعني للبقاء معك، غير إعجابي المطلق بك، كما أن لديك خيالاً جامحاً، ليزا، هل فكرت بنوع من التجسس الصناعي مثلاً؟».

ضغط بشدة على رسغها وأضاف: «في العادة أنا لا أفسر تصرفاتي لأي كان، لكنني سأخرق هذه القاعدة من أجلك. الأمر بمنتهى البساطة، عندما وصلت إلى الفندق ليلة أمس سألت عنك في مكتب الاستقبال، والفتاة التي تعمل هناك تثرثر كثيراً، وهي التي قالت لي إنك تشاركين هنري براون بجناح واحد».

- سيدي!

ظهر مانويل فجأة أمام نك، وهمس شيئاً ما بنعومة باللغة الإسبانية.

وضع نك يده على ظهر ليزا، وقال: «ادخلي إلى الحفلة، عليّ أن أرد على اتصال هاتفي».

وغادر قبل أن تتمكن من الاعتراض، مختفياً وراء أبواب المكتب.

وقفت ليزا مكانها للحظة، تحدق في الباب المغلق. على مضض، توقفت ليزا عن محاولة فهم نك، وسارت عبر الصالون الكبير. رأت أن الحفلة قد بدأت وأن هناك أكثر من مئة شخص مدعو إليها.

وضعت حلبة رقص صغيرة في نهاية القاعة، وقف قربها ثلاثة رجال يعزفون موسيقى لاتينية رائعة. نظرت ليزا حولها وعلمت أن من الصعب جداً أن تعرف أحداً من الحاضرين.

قدمها نك إلى عائلته كصديقة، وهكذا يجب أن تبقى. المراوغة ليست

جزءاً من طبيعتها، لكن نك هو سيد بذلك. لقد صرف النظر عن الإجابة عن سؤالها وكأنه ليس بذي أهمية. فكرت بحزن أنه كذلك لأنها هي بالذات ليست بذات أهمية له.

لا تستطيع ليزا تحمل الخداع من أي نوع كان.

من الأفضل لها أن تقطع علاقتها بنك الآن وهي ما زالت برعماً، قبل أن يقدم نك على تحطيم قلبها. اتخذت قرارها بأن تغادر عند الصباح. عليها أن تجتاز هذه الليلة فقط.

ثم رفعت كتفيها ورأسها بكبرياء ونظرت حولها.

* * *

اتكأ نك على طاولة مكتبه وأصغى إلى كارل والغضب يتصاعد في داخله، وهو يخبره عن التطورات.

انعطفت القضية إلى وضع حرج جداً، إذ قام اثنان من الرجال بتهديد موظفة الاستقبال في متجر دادولاس، ومن المحتمل أن يكون هذان الرجلان البحارين اللذين تحاول الشرطة إلقاء القبض عليهما. هما يعلمان أن هناك من أوصل الماس ويريدان أن يعرفا مكان دادولاس، فهو يدين لهما بالمال، وهما يريدان استعادة مالهما أو أنهما سيستوليان على الماس. موظفة الاستقبال المرتعبة أوضحت لهما أن فتاة إنكليزية قد أوصلت الرزمة لكنها لا تعرف شيئاً عنها، أو عن مكان رئيسها. ذهبت الشرطة إلى الفندق الذي تنزل فيه ليزا لتتحرى الأمر... وعندما سمع ما هو أسوأ؛ اتصل شخص ما وطلب التحدث إلى المساعدة الشخصية للسيد براون، فردت عليه فتاة ثرثارة من مكتب الاستقبال من المحتمل أن تكون الفتاة نفسها التي تحدثت مع نك ليلة البارحة. وقد أفضت بسعادة له أن ليزا غادرت مع السيد ماننديز، كما أن حقائب سفر ليزا قد أُرسلت إليها بعد عدة ساعات. لعن نك تلك الناحية السلبية لكونه رجل أعمال معروف جداً. أخبره كارل أن من المحتمل جداً أن الرجلين يعلمان أن ليزا معه في إسبانيا،

www.elromancia.com

فكل شخص في لانزاروت سمع برجل الأعمال الشهير والوسيم مانتديز.

قام نك بإجراء عدة اتصالات لاحقة قبل أن يغادر المكتب. بدا وجهه الوسيم قاسياً وقد تلونت سمرته بلون رمادي باهت. أمّن حراسة مشددة على مدار الساعة حول منزله من قبل رجاله والشرطة المحلية. لكنه مع ذلك لا يشعر بالرضى. إنها حفلة كبيرة، وهناك أكثر من مئة مدعو، فبإمكان أي شخص أن يندس بين الحضور. وهو يريد إبعاد ليزا كلياً من هنا.

وضعت ليزا كوبها على حافة النافذة، ونظرت حولها إلى الناس المحتشدين. لم يكن هناك أي أثر لنك لحسن الحظ. وفي تلك اللحظة، ظهر إلى جانبها ماركو، ابن طوماس.

سألها: «ليزا الفاتنة تقف بمفردها! هل توافقين على الرقص معي؟».

شعرت بالارتياح لرؤيتها وجهاً مألوفاً، فقد تعرفت عليه أثناء الغداء. ماركو شاب في أوائل العشرينات من عمره، جذاب جداً وهو يعلم ذلك، ولديها حدس أنه يتودد إليها، لكنها بحاجة إلى من تتحدث معه.

- نعم. شكراً لك، ماركو.

عندما وضع يده حول خصرها وقادها عبر الحشد إلى حلبة الرقص، لم تشعر بأي إحساس أو توتر مما تشعر به من لمسة نك.

- أنت لا تذكريني، أليس كذلك؟

- وهل يجب أن أذكرك.

- أمضيت عطلة الصيف هنا مرة، وكنت أنت هنا. كنت في الثامنة عشرة من عمري وأنت في السادسة عشرة. يومها عانيت من أكبر ولع وافتتان بك في حياتي، لكن لم تكن عيناك تريان إلا شخصاً واحداً فقط.

ضحكت بصوت عالٍ، وقالت: «آه، لا! هل كان ذلك بمنتهى الوضوح؟».

- ربما فقط بالنسبة لي.

ابتسم ماركو ودار بها في حلبة الرقص.

استمتعت ليزا كثيراً بالرقص معه، فهو راقص ماهر، وعندما انتهت

الموسيقى وجدت نفسها بين مجموعة من أصدقائه. ما إن انتهت من الرقص مع أحد أصدقاء ماركو بعد مرور أكثر من ساعة حتى ارتطمت بجسد قوي.

قال نك بصوته العميق ساخراً منها: «هل تستمتعين بوقتك، ليزا؟ أنت تراقصين الشبان وكأنك مراهقة، كما أرى».

تخلصت من قبضة ذراعه، وتراجعت إلى الوراء. رفعت نظرها إليه وسرعان ما جمدت مكانها من الاستياء الواضح في عينيه السوداوين. لكن كبرياءها زودها بالقوة الكافية، فرمته بابتسامة مشرقة وقالت: «ماذا تتوقع، نك؟ أن أقف جانباً كزهرة الجدار حتى تقرر أن تعود؟».

تابعت بسخرية: «حسناً! آسفة، لكنني في حفلة، وأرغب حقاً أن أستمتع بها».

قال باستياء وهو يحرك شفتيه بغضب: «آه! يمكنني رؤية ذلك. فالشاب الذي كان يراقصك كان يضمك إليه وكأنه يعانقك. وهذا لا يفاجئني أبداً؛ فقد كنت تشاركين هنري براون جناحه عندما التقيت بك».

توقفت الموسيقى فسقطت الجملة الأخيرة كالصخرة عليها.

ابتسمت ليزا بمرارة واستدارت، سارت مندفعة عبر حشد من الناس، وهي تشعر بوخز الدموع في عينيها. ما إن مرت تلك اللحظات التي شعرت فيها بالمهانة، حتى أتت لحظة الفصل؛ عليها أن تخرج من هنا...

- انتظري، ليزا.

يد ضخمة أمسكت بكتفها وأدارتها، فيما تابع نك: «أنا آسف... أنا...».

تجاهلت ليزا ما تسمعه، فرفعت كتفيها بعنف وقوة لتتخلص من قبضته وفجأة شعرت بغضب صارخ لا يوصف منه بسبب وقاحته وإذلاله لها.

لِمَ عليها أن تهرب مبتعدة؟ فهو الوغد هنا.

ردت عليه بمرارة: «لماذا؟ لتتمكن من إهانتي مجدداً؟ لا أعتقد ذلك. أنت شخص ذو وجهين، تأخذ ما تريده عندما تريد، وليذهب إلى الجحيم كل شخص آخر».

رفعت نظرها إليه، ووجهها الجميل ينضح بالتوتر والغضب! اصطدمت عيناها بعينين سوداوين من الغضب الصارخ، فارتجفت وشعرت بجفاف في فمها. فلقد تمادت كثيراً.

قال من بين أسنانه: «هل انتهيت؟ أتحاولين إحراجي أمام عائلتي كلها؟».

جمعت كل إرادة بقيت لديها، ووضعت ابتسامة مصطنعة على وجهها، وقامت بدور الفتاة المغناج التي قدمها. وضعت يدها على وركها وبتعمد حركت رموشها الطويلة وهي تقول له: «ما يحق للرجل يحق للمرأة، نك».

ثم رفعت يدها الأخرى، ومررتها ببطء على ذراعه، وتابعت: «لكن لا تقلق. سوف أغادر هذا المكان عند الصباح».

أعادت إجابتها الساخرة الأمور إلى نصابها بالنسبة إلى نك، لكنه حرص على عدم إظهار إعجابه بموقفها الشجاع. لكن، ومن خلال الغضب القاتل الذي سيطر عليه منذ اللحظة التي رآها فيها تراقص ذلك الشاب الوسيم، أدرك فجأة أنها أعطته الحل الأمثل لمشكلته...

- اعتمدي على ذلك.

لف خصرها بذراعه وشدها بقوة إليه ثم أخفض رأسه لتتمكن وحدها من سماعه. أضاف: «وسأساعدك على الرحيل بنفسي».

لديه كوخ للتزلج في الجبال في أعالي غرانادا. وهو المكان الأنسب لتبقى بأمان.

- حتى إنني سأساعدك لتوضبي حقيبتك، لكن أولاً يجب أن ترقصي معي. ابتسمي لي وحاولي أن تتصرفي كسيدة لبقة لما تبقى من الأمسية. مفهوم؟

رفعت ذقنها بكبرياء وقالت: «بشكل تام».

عضت على شفتها السفلى بقوة لتمنع نفسها من الارتجاف المفاجىء الذي أصابها.

ما الذي كان ليحدث لو لم تقترح هي بنفسها أن ترحل؟ في أعماق قلبها

لم تتوقع أن يكون نك متشوقاً ليراها ترحل. ربما كان معجباً بها بشدة ليلة البارحة وصباح هذا اليوم، لكن كما هو واضح، لقد اكتفى منها بسرعة.

بقيت متصلبة بين ذراعيه عندما وصلا إلى حلبة الرقص. تبدلت الموسيقى الصاخبة إلى موسيقى حالمة، لكنها وضعت يديها على ذراعيه ما إن دفعها لتقترب منه أكثر.

قال هامساً قرب بشرتها: «لا أحد سيصدق أننا صديقين إن استمريت في الرقص والتجهم يعلو وجهك. تجهمك هذا يدفع الطفل ليبكي ولو على بعد عشر خطوات منك».

حاولت ليزا أن تقاوم جاذبيته المطلقة، فحبست أنفاسها، لكنها لم تصل إلى أية نتيجة. وفي غضون لحظات تخلت عن مقاومتها وذابت بين ذراعيه الدافئتين. رقصا معاً بمهارة ورشاقة وهي تنظر إليه بعينين مندهشتين.

رأى نك الارتباك الذي تشعر به في أعماق عينيها، وللحظة بدت شابة جداً وعديمة الخبرة. خفف من شدة قبضته وقال: «أعتقد أننا رقصنا بما فيه الكفاية. حان الوقت لنقوم بواجبنا ونتحدث مع الضيوف».

قرر نك أنه سيجاريها فهذا يناسب مخططه بشكل كامل. وطالما أنه لا يستطيع البقاء معها في غرفتها في منزل أمه، فهذا يعني أنه سيعمل على حراستها طوال الليل. كما أنه يستطيع الانتظار للبقاء معها في كوخ التزلج. سوف يتطلع إلى نهار الغد بلهفة وفرح.

لم تقل ليزا شيئاً ما إن أمسك نك بمرفقها وقادها عبر الحشود، ليتوقف هنا وهناك وهو يتحدث مع بعض المعارف، وقدمها كصديقة للعائلة. علمت أن عليها أن تشعر بالفرح، لكن بدلاً من ذلك شعرت بخيبة أمل عميقة لا مبرر لها. تضاعف ذلك الإحساس عندما توقفا ليتحدثا مع آنا ماننديز.

قالت ليزا بتهذيب: «إنها حفلة رائعة!».

- أنا سعيدة جداً لأنك تستمتعين بها، ليزا. لكن لا تدعي ابني يحتكرك طوال الوقت، فهناك الكثير من العازبين الوسيمين هنا الليلة، ويمكننا أن

نسمع الكثير من الأخبار غداً.

- آسف لأنني سأخيب أملك، أمي...

لم يكن نك آسفاً أبداً، فكر بذلك بغضب صارخ، لكن لم يظهر شيء من ذلك الغضب في عينيه عندما نظر إلى أمه.

تابع بنعومة: «... فليزا ستغادر غداً. عليها أن تحضر مؤتمراً ولا تستطيع التهرب من ذلك. أليس كذلك، ليزا؟».

أخذت ليزا نفساً عميقاً، وزفرته بهدوء. نظرت إلى نك، وإذا بعينيه تحدقان بها بوقاحة، إنه لا يستطيع الانتظار ليتخلص منها. أجبرت نفسها على الابتسام، ونظرت إلى آنا وهي تقول: «نعم، نك محق. أنا آسفة، لكن عليّ المغادرة».

للحظة تمنت لو أنها تستطيع أن تكدر نك وتخفف من ثقته بنفسه، فأضافت: «وعدت هنري...».

توقفت عن الكلام ونظرت إلى نك قبل أن تكمل وهي تبتسم بثقة: «... أقصد، رئيسي، بأنني سأعود في الوقت المحدد للعودة معه إلى البلاد».

رأت عينيه السوداوين تنظران إليها بضيق وكأنهما تقيمانها، فشعرت بازدرائه لها يخترق عظامها، لكنها لم تهتم بذلك.

قاطعهم صوت أجش: «من سيذهب؟ وإلى أين؟».

- صوفيا، عزيزتي!

ترحيب نك السعيد بصوفيا زعزع ثقة ليزا المصطنعة بنفسها. وعندما شبكت صوفيا، خطيبته السابقة، ذراعها في ذراعه ورفعت وجهها ليعانقها، فعل ذلك بحماس كبير. نظر إلى ليزا متحدياً وقال: «أنت تذكرين صوفيا، ليزا».

اجتاحتها موجة من الغيرة القاتلة، لكنها تمكنت من الابتسام للمرأة الأخرى، وقالت: «بالطبع. مرحباً، صوفيا».

- مرحباً. لم أتصور أبداً أنني قد أراك ثانية هنا.

رمتها صوفيا بنظرة متعالية وهمست كلاماً ما بخجل في أذن نك.

رفع نك رأسه بكبرياء إلى الوراء وضحك بصوت عالٍ، فشعرت ليزا كأنها طعنت بسكين في أعماقها. من الواضح جداً أن نك ما زال قريباً جداً من خطيبته السابقة.

قالت محدثة آنا: «اعذريني».

واستدارت مبتعدة. في غضون دقائق غابت بين الحشود، وعندما اصطدمت بماركو، رحبت بطريقة تعامله بود وصداقة معها.

رأت نك يراقص صوفيا، بينما كانت ترقص مع ماركو على أنغام موسيقى حالمة. لا، لم يكن يراقصها، بل بدا ملتصقاً بها، وهما يتمايلان معاً. لاحظ ماركو ما الذي يشغل نظرها، فقال معلقاً: «رأيتك ترقصين مع نك منذ قليل واعتقدت أنكما على علاقة ما».

رسمت ليزا ابتسامة مشرقة على وجهها، وقالت: «يا إلهي! لا. نحن صديقان منذ زمن بعيد، ولا شيء غير ذلك».

- آه! كان عليّ أن أعلم ذلك، فعندما دخلت صوفيا أمسك نك بك، وأنت أجمل فتاة في القاعة. من المحتمل أنه يتعمد أن يجعلها تغار.

نظرت ليزا إلى وجه الشاب البريء، وسألته وهي تشعر بمعدتها تتمزق من التوتر: «ولمَ يفعل نك ذلك؟ اعتقدت أنهما انفصلا منذ زمن».

- سأخبرك سراً أخبرته آنا لأمي وهي من أطلعتني عليه. نك ليس فاسقاً كما يظهر نفسه. من الواضح أنه التقى بحب حياته منذ زمن بعيد، وبقي مخلصاً لها منذ ذلك الوقت. حسناً! لا بد أنها صوفيا؛ فالجميع يعلم أنها تخلت عنه عندما أنهت تحصيلها الجامعي وحصلت على عمل كمترجمة في الإتحاد الأوروبي في بروكسل. أعتقد أنها كانت معجبة بفكرة الخطيب الثري بينما كانت تلميذة فقيرة في مدريد.

تمتمت بصعوبة: «هل تعتقد ذلك؟».

- بالطبع، فهي سيدة عاملة ولم يرها أحد في مناسبة عائلية منذ وفاة والد نك. لكن الجميع يعلم أنها قبلت الدعوة إلى هذه الحفلة.

ما إن توقفت الموسيقى، حتى وضع ماركو يده على مرفق ليزا، وقادها إلى جانب من الغرفة، ثم ضحك بصوت عال وهو ينظر من فوق كتفها.

– لا أعتقد أنهما لاحظا أن الموسيقى قد توقفت، وصوفيا ملتصقة به كأنها عاشقة. يبدو أنّ نك حقق أخيراً ما يريده عندما جعلها تغار. الحفلة الكبيرة القادمة قد تكون حفلة الزفاف. فكلاهما أصبحا متفقين على ذلك.

استدارت ليزا ببطء ونظرت إلى حلبة الرقص، ورأت نك ما زال يلف بذراعيه جسم صوفيا، وهي تبتسم له وكأنه الرجل الوحيد في العالم.

– اعذرني، ماركو.

غادرت ليزا مبتعدة إلى غرفة الجلوس، وهي تحاول بقوة منع دموعها من الانهمار. راح الألم والغضب يتصارعان بقوة داخل قلبها المجروح. وبلمحة البرق رأت كل شيء بوضوح الآن. شكوكها كانت صحيحة، لكن لا علاقة لها مطلقاً بالتجسس الصناعي، بل لها علاقة بحقيقة أن نك ماننديز هو شخص انتهازي. لقد التقى بليزا وجعلها تولع به، وعندما اتصلت أمه وذكرته بالعودة لحضور الحفلة، علم أنه سيرى صوفيا ثانية، ورأى أنها طريقة مثالية ليجعل حب حياته تغار عليه.

حرصت لبقية السهرة أن تبقى بعيدة عن نك وصوفيا، وتمكنت أخيراً من أن تجد آنا وطوماس وزوجته، فعملت على توديعهم. ضمتها آنا بين ذراعيها وقبلتها.

– قد لا أراك عند الصباح ليزا، فلم أعد أستيقظ باكراً هذه الأيام. لكن من فضلك حاولي أن تأتي مع أمك في شهر آذار.

الحب الكبير الذي ظهر في ابتسامة آنا جعل ليزا ترغب في البكاء. لكنها تمكنت من حبس دموعها حتى سارت عبر الممر المضيء. ابتسمت لمانويل ابتسامة شاحبة وهي تمر عبر مدخل المطبخ، وبعد مرور عدة لحظات أقفلت باب غرفة نومها جيداً.

خلعت حذاءها، وارتمت على السرير، وعندها فقط سمحت للدموع بأن تتساقط. لقد أرادها نك لسبب واحد فقط: أن يجعل صوفيا تغار!

استدارت ليزا ودفنت رأسها في الوسادة، بكت بشدة حتى شعرت بالإرهاق يضعف جسمها النحيل. كانت محقة في إحساسها بالشك به منذ البداية فهو لا يزال يراها تلك الفتاة المستهترة، وهذا أسوأ ما يمكن أن تشعر به. كادت تختنق من شدة البكاء، وشعرت بقلبها يكاد يتمزق من الحزن، فاستسلمت لنوبة أخرى من البكاء، استمرت على هذا المنوال إلى أن أصبحت شاحبة منهكة القوى.

بعد فترة طويلة جلست، وضغطت بأصابعها على عينيها المتورمتين. علاقتها بنك كانت مجرد حلم طفولي. كان عليها أن تترك الأمور بينهما على حالها. ها قد أصبح نك الآن أسوأ كابوس عاشته. نزلت عن السرير، وسارت مباشرة لتستحم.

أية غبية هي؟ سألت نفسها بمرارة وهي تقف تحت رذاذ الماء. لقد تخلت عن كل شيء منذ البداية لتعيش عطلة رومنسية. كان عليها أن تعلم ما يفكر به نك ما إن صعدت على متن تلك الطائرة اللعينة.

٨ - أسيرة حبيبها

تخلت ليزا أخيراً عن محاولة النوم، عندما سمعت عقارب الساعة الكبيرة في القاعة تعلن السادسة. وعند الساعة الثامنة كانت جاهزة للمغادرة، حزمت حقيبتها، وارتدت بنطلونها الجينز مع قميص حمراء اللون وسترة من الكتان، وأصبحت جاهزة للسفر.

حملت حقيبتها وسارت. لم تتمكن من المقاومة وهي تسير عبر الممر فنظرت باتجاه غرفة نوم نك. رأت أن الباب مفتوح، والسرير مرتب لم يلمسه أحد. أغمضت عينيها بشدة بسبب الألم الذي اعتصر قلبها، وبسرعة أبعدت نظرها.

دخلت إلى المطبخ وتلك الأفكار تضج في رأسها. رمت حقيبتها بعنف على الأرض، ووقفت مستقيمة تراقب مانويل وهو يحضر صينية القهوة. استدار مانويل، وقال وهو يبتسم: «الآنسة ليزا! كنت على وشك إحضار القهوة لك».

- شكراً لك، مانويل، لكنني أرغب في المغادرة في أقرب وقت ممكن. هل يمكنك أن تطلب سيارة أجرة لتوصلني إلى مطار مالاغا؟

ملأ مانويل فنجاناً وقدمه لها، ثم وقف وهو يتحرك بقلق.

سار نحو الهاتف المعلق على الجدار، ثم نظر إليها وقد عقد حاجبيه وهو يتابع: «قلت... إلى مالاغا، هل أنت متأكدة؟».

- نعم، مانويل.

في تلك اللحظة، سُمع صوت عميق آمر: «لا، مانويل. لا حاجة لسيارة الأجرة، سأوصل ليزا بنفسي إلى مالاغا».

تصلب جسم ليزا، وشعرت بالغضب والإحباط يغليان في داخلها، فكرت بمرارة، بما قاله نك من قبل عن كونها ضيفة مرحباً بها، فيما هو لا يستطيع الانتظار حتى يراها تغادر. أمن المحتمل أن يكون خائفاً من أن تخبر صوفيا أي مخادع هو؟

أخذت نفساً عميقاً، ثم استدارت وقالت بإشراق متعمد: «صباح سعيد، نك. هذا لطف منك، لكنني أفضل أن أستقل سيارة أجرة».

- لكنني أصر، ليزا. أنا من أحضرك إلى هنا؛ ومن الأخلاق الحميدة أن أساعدك على المغادرة، لأنني أعلم كم أنت متمسكة بالعادات والأخلاق الحميدة.

شعرت يد باردة تقبض على قلبها وهي تنظر بإمعان إلى وجهه الوسيم. رأت ملامح وجهه تزداد قساوة، كما أن السخرية والمغالاة في تصرفه أكدتا لها بشكل أوضح من الكلام أن كل ما بينهما قد انتهى.

قالت بصوت عذب: «في هذه الحالة، أنت لا تمانع في أن تحمل حقيبتي».

جلست ليزا في مقعد الرانج روفر، وحدقت بنك وهو ينطلق بالجيب. راح يصفر بأغنية مشهورة وكأن لا هم لديه في العالم أجمع. لا بد أنه يتذكر ليلة أمس التي أمضاها مع صوفيا.

أية حمقاء هي لتتخيل أنه قد يشعر بأي اهتمام نحوها؟ سبب لها نك الألم وهي في السادسة عشرة من عمرها، حين أصاب تعليقه الجارح أعماق نفسها. ولأنها حمقاء جداً، سمحت له أن يسبب لها الألم ثانية، وهذه المرة جاء الألم مضاعفاً.

هزت ليزا رأسها ورمته بنظرة سريعة، محاولة أن تفهم كيف يمكن لهذا الرجل وحده أن يقنعها بسهولة مطلقة أن تتصرف بطريقة بعيدة عن شخصيتها. بدت ملامح وجهه الوسيم قاسية كالصخر وهو يركز بشدة على الطريق أمامه، يقود الرانج روفر بسرعة تفوق المعدل المطلوب.

لقد قامت بدورها تماماً، بجعل صوفيا تغار. ابتلعت ريقها بصعوبة

وهي تشعر بمرارة الخجل التي ملأت فمها.

بسرعة تحركت في مقعدها ونظرت إلى خارج النافذة مرة ثانية. إنها تشعر بإرهاق كبير بسبب الانفعالات والتعب، فهي لم تنم منذ ليلتين، لكنها تعلم أن عليها أن تحافظ على رباطة جأشها حتى تصل إلى مالاغا.

* * *

بينما راحت الطريق تزداد تعرجاً عبر سلسلة الجبال، ألقى نك نظرة جانبية على ليزا النائمة قربه؛ سقط رأسها على ذراعه، وطارت خصلة من شعرها الذهبي على صدره. يا إلهي! تبدو كفتاة في الخامسة عشرة من عمرها. بسرعة أعاد انتباهه إلى الطريق الملتوية.

البارحة بدت له فكرة اختطاف ليزا أمراً معقولاً جداً. لا بد أنه يفقد رشده، لكن ليس إلى درجة أن يستدير ويتوجه مباشرة إلى مطار مالاغا.

إنه في منتصف الطريق لمنحدر جبلي يؤدي إلى كوخ للتزلج، وبرفقته امرأة فاتنة قد تكون أو لا تكون مجرمة. هل فقد عقله نهائياً؟

هز نك رأسه متأملاً. لقد كسر قواعد الحيطة هذه كلها في تصرفاته، ولماذا؟ بسبب ليزا!.

أطلق تنهيدة من أعماق صدره عندما مرت في ذهنه ذكريات لعاطفة أخافته، قادمة من الماضي البعيد...

إنها تبدو تماماً كما كانت عليه وهي في الخامسة عشرة من عمرها، عندما ذهبا في نزهة على حصانين. يومها سقطت ليزا عن حصانها، فقفز نك عن حصانه وضم رأسها بين ذراعيه، كانت ليزا مغمضة العينين وللحظة مخيفة اعتقد أنها توفيت. الإحساس المخيف نفسه عاوده ثانية ليلة البارحة عندما أخبره كارل أن اثنين من أفراد العصابة ما زالا طليقين، ومن المحتمل أن يستهدفا ليزا. لسبب غريب وجد نك نفسه مبرمجاً بصورة آلية على حمايتها.

انعطف بالجيب إلى طريق ضيق في المنحدر الصخري، وأوقفه أمام كوخ خشبي. سحب نك نفساً قوياً. ستستيقظ ليزا في غضون ثوانٍ وستنفجر

غاضبة منه. مجرد التفكير بذلك أثار حماسه.

ببطء، حركت ليزا عينيها، شعرت أن يدها ملقاة على يد قاسية، ورأسها يتوسد كتفاً مريحة. فتحت عينيها الناعستين عبر رموشها الكثيفة، وتورد خداها على الفور. آه، يا إلهي! لقد نامت على كتف نك.

نزع نك حزام الأمان، ثم وضع مفاتيح الجيب في جيبه وقفز إلى الأرض. في أية لحظة الآن ستكتشف أين هي! فكر وهو يبتسم بطريقة ماكرة ظهرت على زاويتي فمه.

في تلك اللحظة فقط أدركت ليزا ما يحيط بها. تحرك رأسها تسعين درجة في كل اتجاه، ومع ذلك، لم تصدق ما تراه عيناها. نزعت حزام الأمان واستدارت لتنظر إلى الوراء، فربما المطار... على بعد مسافة رأت مجموعة من المباني ومصعداً للتزلج! استدارت ثانية واتسعت عيناها إلى أقصى مدى في استغراب ودهشة.

رأت حولها جبالاً شاهقة مغطاة بالثلج وكوخاً من الخشب وعدداً من أشجار الصنوبر أمام الجيب مباشرة. نسمة باردة من الهواء جعلتها ترتجف، فنظرت إلى جانبيها، والتقت عيناها المصدومتان بعينين سوداوين. كان نك قد فتح الباب لها، ومدّ يده قائلاً: «اقفزي، ودعينا ندخل الحقائب».

- أقفز؟! هل أنت مجنون؟ هل فقدت رشدك؟ هذا ليس المطار. أين نحن بحق الجحيم؟

رمته بالأسئلة بسرعة غير قادرة على تصديق ما تراه عيناها.

مدّ نك يده نحوها وقال بنعومة: «هيا! ليزا، اهدئي».

ضربته على يده، وصرخت به: «أبعد يديك عني. أنت مجنون».

هزت رأسها، فهي لا تستطيع إيجاد التعبير الكافي لتصف غطرسة الرجل. زعقت كالببغاء: «أهدأ؟ سأهدأ عندما تصعد إلى هذا الجيب اللعين وتقودني إلى المطار».

فجأة شعرت بأنها تطير في الهواء وتسقط على قدميها، لكنه بقي ممسكاً

بها، أخذت تضربه بيديها وقدميها... أي شيء تستطيع استعماله...

قال بغضب ما إن ضربته بيدها اليمنى على فكه: «لن تذهبي إلى أي مكان».

رفعها ثانية عن الأرض، وأحاطت ذراعاه بقسوة وعانقها. حاولت أن تقاوم... أن تعضه... أن تركله... في لحظات قليلة، ورغم الخجل الذي شعرت به، ذابت بين ذراعيه.

دفعته عنها وقالت: «توقف عن ذلك. ولا تجرؤ وتعانقني مرة ثانية».

نظر نك إلى وجهها البيضاوي، ولاحظ تورد خديها. ضاقت عيناه مفكراً أنها تريد عناقه، لكنها غاضبة جداً، وهو لا يستطيع أن يلومها.

أجاب وهو يبتسم: «في هذه اللحظة بالذات لن أفعل، فلم أعد أستطيع تحمل ضربك لي».

- جيد. عليك أن تعتاد على الأمر. لأنني عندما أعود إلى الحضارة سأقاضيك بتهمة الاختطاف، ومن المحتمل أن تنتهي في السجن.

بينما كانت تتكلم بدأ الثلج يتساقط عليهما. علق نك وعيناه ترقصان من المرح: «سنذهب أنا وأنت معاً، أليس كذلك؟ ربما يمكننا أن نتشارك في غرفة الحجز».

- الأمر كله مزحة بالنسبة إليك.

قالت ذلك بمرارة، وهي تشعر بغضب كبير منعها من أن تسأل ما معنى ما قاله أخيراً. تابعت: «لكنك بالغت جداً بتصرفاتك هذه المرة. خذني إلى المطار في الحال، وإلا فإنني سأجعل هدف حياتي النيل منك وسجنك... ربما في مصح للأمراض العقلية».

اصطكت أسنانها من البرد. فأمسك بكتفيها، وضمها بشدة إلى دفء جسمه القوي ثم أمرها بحدة: «الحرارة متدنية حتى التجمد، فلندخل».

- لا! دعني وإلا سأصرخ.

علق نك باستياء: «اصرخي كما تشائين، وتسببي بانهيار ثلجي يؤدي إلى موتنا، أو دعينا ندخل الكوخ لنتحدث كشخصين عاقلين».

شعرت بنفسها تتبلل بالماء، كما أنها ترتجف. وإن استسلمت لرغبتها في الصراخ... لم تستطع تحمل التفكير بالأمر، إذ أي خيار لديها؟ التلال الشاهقة حولها والسماء المليئة بالثلج، أعلمتها أن لا خيار لديها مطلقاً.

تركته يقودها إلى دفء الكوخ. إنها تتصرف بحماقة عندما يتعلق الأمر بنك، لكن ليس إلى درجة أن تتعرض لذات الرئة، أو تخسر حياتها.

- سأشعل النار. المطبخ في هذا الاتجاه. يمكنك وضع إبريق الشاي على النار.

قال نك ذلك وهو يشير بيده إلى أحد البابين في نهاية الغرفة، ثم تابع: «أما الباب الآخر فيقود إلى غرفة النوم وغرفة الحمام».

ركع على ركبتيه أمام المدفأة الواسعة المصنوعة من الحجر، وبدأ بوضع الحطب في داخلها.

كانت رقائق من الثلج تغطي رأسه. وبينما كانت تراقبه اختفت تلك الرقائق في شعره الأسود الداكن، وراح يلمع كأنه جناح غراب. تمددت عضلات كتفه وهو يمد يده ليلتقط الخشب من صندوق قريب من المدفأة.

ابتلعت ليزا غصة بصعوبة، وأبعدت نظرها عن جسمه القوي. لن تسير في تلك الطريق الخطيرة ثانية. راحت تنظر حولها في الغرفة.

تحتوي غرفة الجلوس البسيطة على أريكة سوداء اللون ومقعد مناسب لها، وهناك طاولة صغيرة عليها عدد من المجلات.

رأت طاولة تحيط بها أربعة كراسي ومكتبة، وهذه هي كل مفروشات الغرفة. تجولت ليزا في الغرفة، التقطت مجلة وجلست على المقعد. حاولت أن تبدو مرتاحة، علمت أنها لن تصل إلى أي مكان من خلال الصراخ والمقاومة. المنطق والتصرف بهدوء هما ما تحتاجه.

سُمع صوت فرقعة النيران، وأظهرت ألسنة اللهب ظلالاً على جدران الكوخ، وبعد مرور لحظة راقبت ليزا نك وهو يقف ويتقدم خطوة نحوها. بدا لها جسمه الضخم الفارع الطول مهدداً وانفجرت به: «أين نحن؟».

ومالت برأسها إلى الوراء لتنظر إلى وجهه الوسيم الهادىء. لسوء

الحظ، الصبر ليس من شيمها. تابعت: «ولماذا نحن هنا؟».

للحظات بدت لها دهراً، تأملها نك بعينيه الغامضتين الثاقبتين، ثم أجاب مؤكداً لها بهدوء: «نحن في كوخ لي، أستخدمه للتزلج في سلسلة جبال تبعد مسافة ساعة أو أكثر قليلاً عن مالاغا. لا يبعد منتجع التزلج كثيراً من هنا، وأنا جائع. وهكذا، يمكننا أن نأكل هناك أو هنا، الخيار يعود إليك».

سألت غير مصدقة: «تأكل...! هل هذا هو جوابك؟

سيطر عليها التوتر، لكنها تابعت: «أريد أن أعرف، لماذا تحولت عطلتي الشتوية التي كان يفترض أن أقضيها متمتعة بأشعة الشمس، إلى مكان في الجبل مليء بالثلج، حيث أنا محتجزة مع رجل يمكن اعتباره، وبسهولة، أكثر من مجنون؟».

لم يتحرك نك، فشعرت بأنفاسها تتسارع قليلاً، وللحظة كادت ليزا تصدق أن هناك وميضاً من الندم في عينيه اللتين ركزهما عليها بقوة مطلقة.

نظر نك بإمعان إلى رأس ليزا وملامحها الشاحبة، وشعر بوميض من الندم، فرفع كتفيه وقال معترفاً: «أعلم أن تصرفي هذا خاطىء، ليزا».

جثم أمامها ووضع يده على كتفها وهو يتابع: «لكنني أردت أن نكون بمفردنا معاً. أريد أن أكون بقربك، إذاً...!».

رفع كتفه وهو ينظر إليها بعينين تشعان بالغموض والسحر.

صرخت ليزا: «أتظن أنني غبية لأصدق هذا الهراء مجدداً؟».

ثم تابعت: «يا إلهي! أمضيت ليلة البارحة مع صوفيا. أي نوع من الأغبياء تظنني؟».

دفعته بقوة، وقفزت على قدميها، شعرت بالرضى عندما رأته يسقط على الأرض، وتمنت لو أنه سقط على رأسه. أطلق نك شتيمة باللغة الإسبانية وقفز على قدميه. مدّ يده نحوها، لكن ليزا تراجعت إلى الوراء بسرعة، وقالت: «أنت حقاً غريب الأطوار، نك. تتحدث عن المبادىء، وتعتقد أنني مستهترة... إذاً قل لي: أين تضع نفسك؟».

وقف نك جامداً، وقد صعقته نظرة الألم التي ظهرت في عينيها، وأدرك أن كلامه الذي قيل في لحظة غضب منذ سنوات مضت ما زال محفوراً في أعماق قلبها. يا إلهي! كم كان متوحشاً وعديم الإحساس.

- اسمعي، ليزا! لم أفكر بك يوماً إلا كفتاة رائعة.

تقدم بسرعة نحوها وهو يتابع: «وأنا لم أمضِ الليلة مطلقاً مع صوفيا».

فتاة رائعة! للحظة كادت ليزا تصدقه، لكنها تذكرت أين هي... لماذا هي هنا؟ ومن هي بالنسبة إليه؟ ألأنه يريدها بمفردها؟ بعد ما علمته ليلة البارحة، لم تستطع أن تصدق أنه ما زال يستطيع الكذب بملء فمه. إلى أي مدى يبدو ذلك المغرور مستعداً للعمل حتى يحقق ما يصبو إليه؟

مع تلك الفكرة التي طغت على كل ما عداها، رفعت ليزا رأسها وردت عليه وهي ترفع حاجبها بأناقة: «ألم تمضِ الليلة مع خطيبتك؟».

- صوفيا كانت خطيبتي منذ سنوات عدة!

علقت ليزا ببرودة: «وليلة البارحة استعدتما علاقتكما السابقة؟».

قال نك بغضب: «لم تكن هناك أي علاقة بيننا ليلة البارحة».

بسبب خوفه على صاحبة العينين الزرقاوين، أمضى نك ما تبقى من الليل جالساً على كرسي قرب الباب الموصل إلى غرفتها، يعمل على حراستها.

- لم تنم في سريرك.

أدركت بإحساس مقلق أنها في خطر أن تبوح بأكثر مما تريده أن يعلم، لكنها قالت: «لاحظت وأنا في طريقي للمغادرة عند الصباح أنك لم تنم في سريرك».

أغمض نك عينيه وتنفس بعمق وهدوء. آه! قلبت ليزا حياته المثالية رأساً على عقب في غضون أيام قليلة. إنه غاضب من نفسه وغاضب منها، وفقدانه للسيطرة على نفسه ليس إحساساً مألوفاً بالنسبة إليه قرب النساء. بالإضافة إلى ذلك، أدرك أن ليزا تغار كما هو واضح، وهذا أمر جيد.

علق بسخرية: «لماذا أشعر وكأنك تغارين، ليزا؟».

تورد خدا ليزا بلون أحمر قانٍ، وما لبث أن علاهما الشحوب بعد ذلك.
قالت له بصوت مليء بالألم: «أغار عليك! هذا غير ممكن».

انهارت كل قدراتها فجأة من تقييمه الساخر. تابعت بصوت كالصراخ: «يمكنك البقاء دائماً مع صوفيا، لكنك لن تستغلني ببساطة لتجعلها تغار. ومن المحتمل أنك جررتني إلى هنا لأنك تخشى أن أخبرها أي مستهتر فاسق أنت، وكيف تواعد فتاتين معاً. أليس كذلك؟».

- يا إلهي! رأيك بي يجعلني أشعر بالإهانة. أتعتقدين أنني أستطيع إقامة علاقة مع امرأتين في يوم واحد؟

قال ذلك باستياء، وعندما تقدم خطوة إلى ناحية الضوء رأت ليزا خطوطاً باهتة من التوتر والضيق على مسام بشرته.

- رأيي لا يهم مطلقاً، لكن ليكن الله في عون صوفيا عندما تتزوج بك. أكاد أشعر بالأسى نحوها.

- أتزوج من صوفيا... هل فقدت رشدك؟

قال نك ذلك وهو يقطع المسافة بينهما بسرعة. أمسك بذقنها قبل أن تشيح بنظرها عنه، بدت عيناه غاضبتين ومصدومتين وهو يجبرها على النظر إليه.

تأملها بعينين ثاقبتين، وهو يشعر بالتوتر في كل عصب من جسمه. رأى الألم الذي تحاول إخفاءه بقوة، فشعر بمزيد من الاستياء.

- لا أعلم من الذي ملأ رأسك بقصص غريبة عن صوفيا وعني، لكن كلها غير صحيحة.

قالت له بغضب: «شككت دائماً أن لديك دافعاً خفياً وراء إحضاري إلى إسبانيا وإلى الحفلة».

حاولت أن تعيش في جنة المغفلين لكن هذا لن ينجح، والآن اتخذت قرارها لتخبره الحقيقة، فليس لديها ما تخسره.

- أخبرني ماركو بكل شيء. من الواضح أن الجميع هنا يعلمون أنك...

توقفت عن الكلام إذ لم تستطع أن تلفظ كلمة «مغرم»، حاولت جاهدة لتتابع: «... لم تتعلق بأية امرأة بعد أن فسخت صوفيا الخطوبة، وسافرت للعمل في بروكسل. كما يعرف الجميع أنها عادت إلى إسبانيا وللمرة الأولى منذ سنوات، وأنها ستأتي إلى الحفلة. استعملتني لتجعلها تغار، وأنا لن أسامحك مطلقاً على فعلتك تلك. والآن أخرجني من هنا».

قال نك بهدوء: «من فضلك ليزا. أصغي إلي».

ردت بحرارة وغضب: «لقد أصغيت إليك كثيراً، ولهذا السبب أنا محتجزة في كوخ في وسط المجهول، بدلاً من أن أكون في حجرة الطائرة».

لم يستطع نك إلا أن ينفجر بالضحك. إلا أن ضحكه أثار سخطها الشديد، فرفعت ليزا يدها وكادت تصفعه على وجهه، لكنه أمسك برسغها.

- اهدئي، ليزا. ودعيني أخبرك الحقيقة بشأن خطوبتي المزعومة من صوفيا. إنها مجرد خطوبة توافقية، لا شيء أكثر من ذلك.

ردت بسخرية: «لِمَ لا تتابع السخرية؟».

تجهم وجهها بشدة، وهي مصممة على عدم الإصغاء إليه.

رأى تجهمها، فظهر الاستياء على وجهه، وقال: «أنا لست فخوراً بما حدث، لكن ربما تذكرين أن أبي كان يعاني من مرض عضال، وكانت أمنيته الوحيدة أن يراني مستقراً في العمل ولديّ زوجة».

إنها تتذكر فعلاً أن أمها أخبرتها أن السيد ماننديز مريض في أحد الأيام، وفي صيف تلك السنة عقد نك خطوبته على صوفيا.

- وافقت صوفيا على الخطوبة لأنها تريد الالتحاق بالجامعة. وهكذا توقف والدها عن التذمر، لأنها تضيع وقتها بالدراسة بدلاً من إيجاد زوج ثري لها. ساعدتها مادياً لتكمل دراستها. كانت الخطوبة مجرد اتفاق عملي، ولا شيء أكثر من ذلك. وقد انتهت بعد وفاة والدي بشهرين.

قالت ليزا بصراحة: «هل تتوقع مني تصديق ذلك؟».

لكن حدسها الفطري أجبرها على الاعتراف أنه لو لم يخبرها ماركو

بتلك الإشاعة عن نك وحبه الدائم، لربما صدقته. فتلك الخطوبة كانت مفاجئة، ومع ذلك استمرت لثلاث سنوات، وانتهت بعد وفاة والده. الوقائع تثبت ما قاله، لكنها لم تعد متأكدة ما الذي ستصدقه.

تراجع نك إلى الوراء ورفع راحتي يديه، ولوى شفتيه بسخرية ثم قال: «ما الذي يمكنني أن أقوله بعد؟ فكري بالأمر، ليزا. إن كان ما تفكرين به صحيحاً، وأنا خائف من أن تتحدثي إلى صوفيا عنا، سيكون من المنطقي أن أضعك على أول طائرة مغادرة من مالاغا».

لديه دائماً جواب على كل شيء، لكنه محق. تباً له! أغمضت ليزا عينيها وقالت: «إذاً، لماذا...؟».

هزت رأسها ثم فتحت عينيها ونظرت بحيرة وارتباك حولها في الكوخ الصغير وتابعت: «... لماذا أنا هنا؟».

- أريد أن أكون بمفردي معك، وأملت أن تبادليني أنت هذا الشعور.

قال ذلك مخففاً عنها، ثم رفعها بين ذراعيه وسار عبر الغرفة وهو يتابع: «إنني أهتم بك، وهذه هي نهاية الموضوع».

وجدت ليزا نفسها محاصرة بين ذراعيه، وخافت من العنف الواضح في عينيه. شعرت بغضبها يتفاقم: «تحملني بالقوة، وتسمي هذا اهتماماً».

قال بضيق: «اصمتي!».

رماها على الأريكة، وقبل أن تتحرك جلس بقربها، وهو يقول: «هذه هي أفضل وسيلة اتصال بيننا. وهذا ما يجب أن يثير انتباهك. أما ما تبقى، فصدقيني، إنه لمصلحتك الشخصية».

٩ - ثلج ونيران

«لمصلحتك الشخصية!» كرهت ليزا هذا التعليق كثيراً عندما كانت طفلة، فقد كان يعني دائماً عكس ما تريد القيام به.

صرخت مقطوعة الأنفاس: «لا!».

الشوق الذي رأته في لمعان عينيه جعلها تصاب بالصدمة، فقالت: «أنت لست صالحاً لي ولا لأية امرأة. أنا لن أصدقك ولو كنت الرجل الوحيد على كوكب الأرض كله».

لم تستطع أن تتخلص من فكرة أن لديه دافعاً خفياً لإبقائها معه في هذا المكان البعيد.

رفع نك رأسه، ما الذي يفعله بحق السماء؟ فهي تبدو مرتعبة.

نهضت عن الأريكة، ثم استدارت ونظرت إليه. بدا وجهها مضطرباً من الإحراج. راقبته وهو يسقط ذراعه إلى جانبه. بدا صوته صريحاً وخالياً من أية عاطفة: «لا بأس، ليزا. ليس عليك أن تخشي شيئاً، فأنا لا أفرض نفسي على أية امرأة، ولن أبدأ بذلك الآن معك. أخبرتك الحقيقة بشأن علاقتي مع صوفيا، أما بالنسبة لك...».

ابتسامة مربكة غلفت فمه وهو يتابع: «... فأنا أريدك بدون أي شك، وأعلم أننا منسجمان معاً، ولا أعتقد أنك تجادلين بذلك».

قالت بحرارة: «لا».

شعرت بالارتباك، وبأنها غير قادرة على الحركة أو التفكير، أخفضت رأسها وحدقت بيديها المعقودتين معاً، وشدّت بقوة عليهما لتوقف ارتجافهما.

وقف نك، وبحركة واحدة أصبح قربها. قال: «حسناً! ما رأيك في أن نبدأ من جديد؟».

أمسك بيديها الاثنتين بين يديه، وتابع بهدوء: «انظري إليّ، ليزا».

رفعت ليزا رأسها بحذر، والتقت عيناها بعينيه. قال لها: «نحن صديقان مقربان بمضيان عطلة في كوخ للتزلج».

ترك يديها ولمس ذقنها بإصبعه الرشيق: «هذا كل ما أطلبه منك. قد تكون عطلة رائعة. الخيار لك، وكل ما عليك القيام به هو أن تقرري ما تريدينه منها».

إنها ليست عديمة الإحساس كي تنكر أنها شعرت بالإغراء، لكن جروحها ما زالت غير ملتئمة منذ المرة الأولى التي اقترح فيها عطلة ما. بدهشة، تذكرت ليزا أن ذلك حدث منذ يومين فقط، ومنذ تلك اللحظة وعواطفها في تقلب دائم وسريع من الفرح المطلق إلى الألم والعذاب.

كادت تقول له إن لا مجال مطلقاً لذلك، لكنها بدلت رأيها بسرعة، فنك هو حبيبها الأول الحقيقي، لذلك من الصعب أن لا تشعر بالشك والحيرة في كل ما تفكر به. أما بالنسبة إلى صوفيا، فهي تميل إلى تصديق نك. من الصعب أن يكون هنا معها إن كان مجنوناً بحب تلك المرأة. في ما يتعلق بالباقي، فقد بادرت على الفور لتسأل: «لكن... لماذا التزلج؟».

لم تدرك أنها تفوهت بما تفكر به بصوت عالٍ.

- لأن البطولة الدولية للتزلج ستقام هذا الأسبوع؛ وأحد أصدقائي سيشارك بها. كما إنني أحب التزلج.

اتسعت عينا ليزا إلى أكبر مدى وهي تنظر إلى وجهه الوسيم.

قالت: «لا أصدق ذلك».

- أقسم لك، إنها الحقيقة! وربما قد تتمتعين بالمراقبة.

وابتسم لها ابتسامته المعهودة.

وجدت ليزا نفسها تقاوم بشدة الرغبة القوية في أن تضحك: «أنت شخص لا سبيل لإصلاحه».

طوال الوقت راحت ليزا تفكر بمخططات غريبة علها تجد تفسيراً لسبب إحضارها إلى هنا، وكل ما في الأمر هو أن نك بشخصيته المتفاخرة المتطلبة، يفعل ما يريده عندما يريد ذلك. سألته وهي تبتسم: «لكن، لماذا أحضرتني معك إلى هنا؟».

جالت عيناه بمرح فوق وجهها وجسمها المتناسق، وعلق قائلاً: «أتعلمين؟ بالنسبة لامرأة جميلة، واثقة من نفسها مثلك، فإن استخفافك بقدراتك الأنثوية يبدو أمراً لا يصدق».

تمكنت من الرد عليه بغضب: «إن كنت أملك أية قدرة، ما كنت لأتواجد في كوخ للتزلج، بل كنت أتمتع بحرارة الشمس على شاطىء ساحر».

رفع حاجبيه بتجهم وقال: «لم أفكر مطلقاً أنك لا تجيدين التزلج».

- بالطبع أجيده. كنت عضوة في نادي التزلج في الجامعة.

بسرعة ردت ليزا عليه، فالمسألة ليست في إجادتها للتزلج أم لا. غير أنه ابتسم لها بطريقة حبست أنفاسها، وأنستها كل ما تفكر به.

حرك نك إصبعه تحت ذقنها، وقال: «هذا رائع! سأذهب لأعد شراباً ساخناً».

- انتظر، لم أقل بعد...

في الوقت الذي تذكرت فيه ما تريد قوله، كان قد غادر وتركها تتكلم مع نفسها.

بعد مرور عشر دقائق كانت تجلس إلى طاولة المطبخ، وقد وضع نك أمامها فنجاناً من القهوة الشهية.

أعلن وهو يجلس على الكرسي المقابل: «اشربي هذا، وبعد ذلك سنذهب إلى المنتجع لتناول الغداء، وسنشارك في التزلج لفترة ما بعد الظهر».

- لكنني لا أستطيع. فليس لدي ما أرتديه.

ورمته بنظرة شاحبة، لكنها سحرت مرة ثانية بجاذبيته القوية. يبدو فاتناً

بشعره الأسود الأشعث، ووجهه الوسيم الذي يشع من شدة الحماس.

قال وقد لفت ابتسامة كسولة شفتيه: «يا للنساء! لا تقلقي، هناك متجر مميز في المتجع سيؤمن لك كل ما تحتاجينه».

أمسك بيدها عبر الطاولة ونهض واقفاً وهو يتابع: «هيا! لنذهب».

قاد نك الرانج روفر مسافة ميل، وهي المسافة التي تفصل الكوخ عن مركز التزلج. وما إن اقتربا حتى شدّت انتباه ليزا مقصورة مصعد التزلج وهي تتأرجح في الهواء.

نظر نك إليها بلمحة خاطفة من تحت رموشه الكثيفة السوداء. رأى عينيها تشعان من الفرح والتوقع، وابتسامتها الواسعة والمتحمسة تنير وجهها كله، واختنقت أنفاسه داخل صدره.

أوقف الرانج روفر بسرعة خارج المنتجع. أخيراً، وفي تلك اللحظة اعترف لنفسه بما كان يعرفه جيداً في أعماق ذاته طيلة الوقت؛ ليزا ليست لصة. فهذا الأمر ليس من طبيعتها، إنها تلك الفتاة المتهورة، التي تغضب سريعاً وتسامح سريعاً. الفتاة الجميلة التي عرفها دائماً ومنذ أول مرة وقعت عيناه عليها عندما كانت يافعة في الثامنة من عمرها، عندما بكت وعمل على تهدئتها. هي غير قادرة على الخداع، ولا تملك صفات غير شريفة في تكوينها. ملامح وجهها تبوح بصدق واضح لا تستطيع إخفاءه.

تنفس نك بقوة، وقفز خارجاً من الجيب. حتى وهو يحاول حمايتها، أراد أن يصدق بأنها تملك أسوأ الصفات. منذ متى أصبح مشككاً على هذا النحو؟ سار أمام الرانج روفر، وفتح الباب لها، مدّ يده وهو يقول: «دعيني أساعدك».

ابتسمت، وأمسكت بيده الممدودة وقفزت إلى الخارج. مدّ ذراعه الطويلة لتحيط بكتفيها الناعمتين، وضمها إليه. إنه يعرف الحقيقة الآن... دائماً كان يعرفها. فكر بذلك بحزن واستياء، وقادها نحو المتجع.

اقتصر الغداء على حساء من اللحم ورقائق الخبز. تفاجأت ليزا من عدد الناس الذين اقتربوا من نك وتحدثوا إليه.

علّقت وهي تضع آخر قطعة خبز في فمها: «يبدو أن لديك شهرة قوية جداً هنا... لم تكن لدي أية فكرة أن هناك منتجعاً للتزلج بهذا الحجم في إسبانيا».

نظرت إلى الخارج عبر النافذة الزجاجية الواسعة فرأت الناس المنتشرين على المنحدرات.

- أنشيء المكان كله عندما تقرر أن تقام البطولة العالمية لألعاب التزلج في إسبانيا منذ سنوات قليلة.

علت ابتسامة متذمرة شفتيه قبل أن يتابع: «لسوء الحظ، تلك السنة كانت السنة الوحيدة التي لم يتساقط الثلج فيها بشكل كافٍ للتزلج».

ضحكت ليزا وعلقت: «كم كان ذلك مؤسفاً».

- بالنسبة للمستثمرين هنا، بالطبع. لكن بالنسبة للزبائن الدائمين، فقد وجدوا تلك التسهيلات الحديثة هبة من السماء. هناك شرفة رائعة تطل على التلال المحيطة مع جهاز للمراقبة يتيح رؤية المتزلجين والمتبارين عن قرب.

* * *

للمرة الثالثة، اندفعت ليزا بسرعة عبر المنحدر الأوسط، وهي مرتدية بذلة حمراء اللون خاصة بالتزلج، تغطيها من رأسها حتى أخمص قدميها. وصلت إلى نهاية الممر، مقطوعة الأنفاس، ووجهها متوهج. نزعت نظارتيها الشمسيتين ونظرت إلى نك. لم يبدُ عليه التعب مطلقاً، بل كان يتنفس بارتياح. لاحظت أن بذلته السوداء الخاصة بالتزلج تغطيه كما يغطي القفاز اليد، فحبست أنفاسها وهي تتأمل منظره الرائع، والثلج الأبيض يحيط به.

- لا داعي لأن تبقى بقربي، نك. في مطلق الأحوال، لقد اكتفيت. لكنني أعلم أنك متحمس لتمارس التزلج على الممر الأصعب.

رفع نظارتيه إلى أعلى رأسه، ونظر إلى عينيها ثم قال: «هذا صحيح، ليزا».

لكن حتى يتم القبض على اللصين فهو سيبقى ملتصقاً بها، رغم أنه لا

يستطيع أن يخبرها بذلك.

علق متابعاً: «قد تفكرين في الهروب إن تركتك بمفردك».

رأت ليزا أنه يتكلم بجدية، وأدركت أنه يخشى أن تفكر بالسفر مع أي كان لتصل إلى أقرب بلدة. اهتمامه هذا لامس شيئاً ما في أعماقها.

- لن أفعل ذلك.

بعد أن سمع اعترافها، أراد نك أن يضمها بين ذراعيه بشدة.

- أنا أصدقك.

تابع قائلاً: «لكن حان وقت المغادرة؛ ويجب ألاّ تبالغي في التمارين في اليوم الأول».

كما أنه بحاجة ليتصل بكارل ليعرف إن كان قد تم القبض على الرجلين الفارين.

دمدمت ليزا بأغنية شعبية وهي تغسل الصابون عن جسمها فيما كانت واقفة تحت المياه الساخنة في غرفة الحمام الصغيرة. أمضت فترة بعد الظهر بشكل رائع، فهي تحب التزلج، لأنها رياضة منعشة جداً، كما أن نك شريك مثالي. مرت الساعات كوميض البرق. تناولا عشاء مبكراً في المنتجع وعادا إلى الكوخ بصمت مريح. جففت جسمها، وارتدت ثوب النوم ثم الرداء الحريري الأزرق القصير الذي تستعمله في رحلاتها، وعادت إلى غرفة الجلوس. ابتسمت لرؤية نك مستلقياً على المقعد المريح، في يده كوب من الشاي.

- هل تسكب لي من هذا الشاي؟

ارتمت على الأريكة وتثاءبت بقوة، ثم تابعت: «أعتقد أن كل هذا الهواء المنعش قد أصابني بالإرهاق، وأنا بحاجة لشراب ما».

شرد نظرها إلى توهج الحطب في المدفأة، وللحظة طويلة افتتنت بفرح وحماس من وميض ألسنة اللهب. بدا كل شيء مريحاً، فتركت رأسها يسقط على الوسائد الناعمة وهي تغمض عينيها.

وقف نك أمامها حاملاً بيده كوب الشاي، وقال: «ليزا!».

فتحت عينيها، ونظرت إليه، ثم ابتسمت وأمسكت بالكوب. تمتمت، وهي تشعر للمرة الأولى أنها مرتاحة حقاً برفقته: «غرفة الحمام كلها لك».

انحنى نك بشكل مسرحي وقال: «شكراً لك، سيدتي».

راقبته يختفي داخل غرفة الحمام وهي تبتسم. أنهت ليزا كوبها، ووضعته على الطاولة. لم تكن تعلم ما الذي سيحمله لها المستقبل، أما الآن فستعيش فقط لحظة بلحظة، وعطلتها الرومنسية قد تنجح في نهاية الأمر. فكرت بذلك بتكاسل، ورموشها الطويلة تنحدر فوق عينيها.

خرج نك من غرفة الحمام ووقف جامداً وقد تركزت نظراته على ليزا النائمة على الأريكة. جالت عيناه السوداوان على شعرها الذهبي ثم انتقلت إلى نعومة خديها، ثم إلى فمها المكتنز، وشكل جسمها تحت الرداء الحريري الناعم الذي ترتديه. تقدم خطوة نحوها، مشتاقاً لأن يضمها ويعانقها، شعر بالتوتر يجتاحه لكنه بقي واقفاً مكانه.

بهدوء، سار نحو المطبخ. أمسك بسترته التي وضعها على ظهر كرسي هناك، وبحث عن هاتفه النقال. قام بالاتصال بالرقم المطلوب. وبعد مرور خمس دقائق أنهى اتصاله. ازداد وجهه القاسي قساوة من الغضب المحبط، فالأخبار ليست جيدة. أعلمه كارل أن الرجلين ما زالا فارين.

سار نك بصمت إلى غرفة الجلوس، وهذه المرة لم يتوقف.

* * *

تحركت ليزا بتململ، ثم فتحت عينيها، وقالت: «نك».

رأته منحنياً فوقها، وشعره الأسود متساقط على جبهته، والضوء الوحيد في الغرفة صادر عن مصباح صغير على طاولة مجاورة.

- كنت نائمة على الأريكة فحملتك إلى غرفة النوم.

تمتمت: «شكراً لك».

جالت نظرتها الناعسة عليه، ففتحت عينيها بسبب الملامح القاسية على وجهه، تلك الملامح التي سحرتها. رفعت يدها ولامست خده بحنان، ثم

سألته ويدها تنزلق إلى كتفه: «أين ستنام؟».

التقت عيناه القاسيتان بعينيها، فحركت أصابعها على كتفه وسمعت صوت أنفاسه يتعالى.

قال وهو يقف مستقيماً: «على الأريكة».

تمتمت وهي تضع يدها الأخرى فوق قلبه: «لا داعي لذلك. يمكنك أن تنام على السرير الآخر».

سألها بصوت يكاد لا يسمع: «هل أنت متأكدة؟».

شهقت وقالت: «آه! بالطبع».

ضمها إليه في عناق طويل فشعرت ليزا كأن كل عصب في جسمها مصاب بصدمة كهربائية. وغابا معاً في عاطفة جعلته، ولأول مرة، يفتقد القدرة على التفوه بالكلام المناسب. ثم سألها بنعومة: «هل خاب أملك؟ الثلج بدل الشمس!».

أمسك خدها بأصابعه الطويلة الرشيقة، فتنهدت ليزا قائلة: «التزلج أمر رائع. شكراً لك».

- على الرحب والسعة، و... شكراً لموافقتك على مشاركتك الغرفة الليلة.

قال ذلك بصوت أجش وهو يعانقها قبل أن يتوجه نحو السرير الآخر ويطفىء النور.

* * *

ارتدت ليزا بنطلوناً أنيقاً من الصوف وكنزة من الكشمير ذات لون زهري ناعم، ثم غسلت آثار أحمر الشفاه عن إصبعها. جففت يديها وأعادت المنشفة إلى مكانها. إنها جاهزة وليست بحاجة إلا إلى انتعال حذائها. نظرت للمرة الأخيرة إلى انعكاس صورتها في المرآة. سمعت سابقاً أن هناك من يصف النساء بالتوهج، لكنها لم ترَ يوماً نفسها كذلك إلا اليوم. فكرت وهي تبتسم ابتسامة عريضة.

مرت الأيام الخمسة الماضية كالسحر. تزلجا معاً، واستمتعا كثيراً.

حاول نك أن يعلمها التزلج على الألواح الخشبية، لكنها لم تُجِد ذلك. ولأول مرة، التقت ليزا بأصدقاء مقربين له، هما اثنان من المتسابقين في التزلج المتعرج مع زوجتيهما. تعلم أن نك متحفظ جداً ولا يرغب في البوح بمشاعره أمام الآخرين، لكن ليلة البارحة تناولا العشاء مع أصدقائه، وقد بدا سعيداً ومرتاحاً جداً. راح يضحك ويشارك في المزاح وإطلاق النكات. لم تشعر أبداً أنها قريبة من شخص آخر في حياتها كما شعرت معه. إنه يثير حماسها ويغضبها، لكنها تحبه كما هو.

خرجت من الحمام، حافية القدمين، وتوجهت إلى المطبخ. وجدت نك يقف قرب النافذة، مديراً ظهره لها ويتحدث على الهاتف النقال. سمحت لنفسها أن تنظر بإعجاب إلى جسمه المتناسق في بنطلون أسود للتزلج.

- حقاً، ليس هناك من داعٍ لتأتي إلى إسبانيا... أقصد ذلك، كارل... لا!

وأنهى نك الاتصال.

ضحكت ليزا بصوت عال، وسارت نحوه وهي تقول: «آه! أخيراً السيد الغامض كارل دالك».

استدار نك بسرعة، وضاقت عيناه وهو ينظر بشدة إلى وجهها.

- ما الذي سمعته؟

توقفت ليزا مكانها، متفاجئة من سؤاله. رفعت نظرها إليه، وقالت: «ليس بالكثير، فقط أنه ليس بحاجة ليأتي إلى هنا... أو شيئاً من هذا القبيل».

- خبر جيد.

رفع كتفيه بقوة وتجنب النظر إلى عينيها، ثم وضع الهاتف في جيب سترته.

سألته ليزا بصوت هادىء: «لماذا؟ ألا تريدني أن أقابل صديقك؟ حسب ما قالته أمك، إنه وسيم جداً وثري أيضاً».

تابعت تمازحه: «هل تغار؟».

رد بغضب: «لا تكوني سخيفة!».

فكر نك أنه يجب أن يكون سعيداً؛ فالأخبار التي نقلها إليه كارل جيدة. فقد أخبره للتو أن فترة خوفه قد انتهت، إذ تم القبض على الرجلين في المطار ليلة البارحة وهما يحاولان الصعود إلى طائرة تقلهما إلى مالاغا، وهما الآن في الحجز وتحت المراقبة. أما كارل والشرطة فهما يهتمان بالأمور الباقية. والآن كل ما عليهم القيام به هو الانتظار لتُقدم شركة التأمين على المبادلة. ومن المعلومات التي عرفها من ليزا باتوا يعرفون أن براون سيعود إلى الجزيرة بعد أسبوع من اليوم، ولا بد أن يكون ذلك اليوم هو اليوم المنشود للقضاء على العصابة.

لم يعد لنك أي سبب ليبقي ليزا بقربه طوال أربع وعشرين ساعة في اليوم؛ فهي في أمان الآن. وهو بذلك يستطيع المشاركة بحرية في مباراة التزلج بالمظلة. لكن، لماذا لا يشعر بأية سعادة؟

قالت تسترضيه: «كنت أمزح فقط».

حاولت كسر الصمت الذي طال، وتساءلت ما الذي حدث وغير مزاجه إلى الرجل الصارم الوجه، الذي يقف أمامها.

قال نك بوضوح: «ليس الأمر مضحكاً. أنت لا تعرفين كارل، وإن كنت تملكين أي منطق، فستنسين أنك سمعت اسمه يوماً».

ليست ليزا في منأى عن الخطر بعد، وطالما أن التحريات ما زالت مستمرة فمن الممكن أن يطلب المحققون استجوابها. كلما كانت جاهلة لأي شخص على ارتباط بهذه المسألة كلها، كلما كان ذلك أفضل لها.

- هل هذا مفهوم؟

نظرت إليه وهي تشعر بالدوار؛ إنه بارد جداً، وفي الحقيقة ذكرها موقفه هذا بما يريده من علاقتهما بالتحديد، وهو لم يتظاهر مرة بالعكس. احتاجت للحظات لتسيطر على غضبها، ثم قالت بسخرية: «إنك تفاجئني حقاً، نك. لم أتصور أن رجلاً مثلك قد يتصرف على هذا النحو».

راقبته وهو يرفع رأسه إلى الوراء، ثم قال وقد رفع حاجبه: «رجل مثلي؟

أنا أحرص على الحفاظ على علاقة جيدة مع النساء، لكنني لا أجمع العديد من العشيقات حولي في الوقت نفسه. هل يمكنك قول ذلك عن نفسك؟».

بدا تلميحه كمن يلوح براية حمراء أمام ثور!

ردت عليه بغضب: «كيف تجرؤ على قول ذلك؟ أراهن أن لديك دفتراً أسود خاصاً بك، مليئاً بأرقام هواتف ينافس موسوعة بريتانيكا».

- آه، ليزا! أنا لا أهتم إن كان لديك الكثير من العشاق.

شعرت بالسخط الشديد بسبب تعليقه السيء بشأن عشاقها.

- لم يكن لدي إلا حبيب واحد.

سأل بسخرية: «ومن كان ذلك الحبيب؟ هنري براون؟».

- لا، مطلقاً. هل جننت؟ إنه رئيسي في العمل، كما أنه متزوج.

شعرت بالإهانة لأنه يفكر بأنها قد تقيم علاقة مع رجل متزوج. لم تستطع ليزا أن تفهم كيف أن تعليقاً عادياً عن اتصال هاتفي أوصلهما إلى التحدث عن حياتها العاطفية، أو بالأحرى عن عدم وجود حياة عاطفية لديها.

سأل نك: «من هو إذاً؟».

غمرته موجة من الارتياح لنكرانها وجود أية علاقة لها مع براون، فالفكرة بحد ذاتها كانت أمراً محرماً لديه.

- هذا أمر لا يعنيك، لكنه كان خطيبي.

أخبرته ذلك وهي تتساءل، أهي حقاً مسلوبة العقل بنك لدرجة أن تتوهم أن اهتمامه بحياتها العاطفية إشارة إلى اهتمامه بها؟

نظر إليها بتعجب وقال: «هل كنت مخطوبة؟ لكم من الوقت؟».

لم يسمع مطلقاً أي شيء من هذا القبيل من أمه، إنه متأكد من ذلك.

اعترفت باستياء: «لمدة ثلاثة أيام، وسرعان ما اكتشفنا أننا لا نصلح لبعضنا. في الحقيقة، اعتقدت أنني باردة العاطفة».

قال وهو يضحك بصوت عالٍ: «أنت تمزحين بدون شك».

بالطبع، بالنسبة لرجل مثله لا بد أنها تبدو كالحمقاء. فجأة، انتابها

غضب شديد.

– أمر مضحك. ها ها ها! لكن لا، أنا لا أمزح. وفي الحقيقة يجب أن أشكرك لأنك أثبت لي العكس. على الأقل، الآن وبعد أن نفترق، لن أخشى من مواعدة أحد.

بعد هذا الوابل من النقاش والشجار، شغلت ليزا نفسها بغسل الصحون الموجودة من حوض الغسيل.

صدق نك كل كلمة قالتها؛ لقد اعتقد عندما عانقها في المرة الأولى أنها خجولة، بدت يومها مصدومة من ردة فعلها. شعر بالسعادة لأنه هو من علمها حلاوة العناق وروعة الحب. مجرد التفكير بذلك أصابه بالدوار.

قال بضيق: «عليّ الذهاب. أريد مشاهدة السباق المتعرج الأول، لذلك إذا أردت أن أقلك إلى المنتجع فيجب أن تسرعي».

نظر إلى ساعته، وتابع: «سأعطيك خمس دقائق، لكن يمكنك البقاء هنا إن كنت ترغبين بأن ترتاحي».

استدارت ليزا، وعيناها الزرقاوان تشعان بالحياة. البقاء هنا، إن رغبت بذلك! منذ متى يهتم لما تريده؟ فكرت ليزا بتمرد. نظرت إلى ملامح وجهه الرائع باحثة عن أي تأكيدات لأفكارها، لكنها لم تقرأ شيئاً على ملامح وجهه الخالي من أي تعبير.

* * *

انحرفت ليزا كي لا تصطدم بطفل صغير، وانتهت منزلقة في الممر على ظهرها. جاهدت بقوة لتتمكن من الوقوف، وسارت نحو المنتجع. افترق نك عنها ما إن وصلا إلى المنحدرات، قال باقتضاب إنه يريد القيام برياضة أخرى. وها هي بمفردها لأول مرة منذ أسبوع. شعرت بالملل بسرعة، وهي تصعد وتنزل الممر نفسه.

وضعت المزلاجين بجانب الجدار، وبعد أن بدلت ثيابها توجهت إلى الشرفة لتنظر إلى المتسابقين، فربما تستطيع أن ترى نك. تفاجأت من عدد الناس المحتشدين هناك؛ ومع ذلك، تمكنت من الحصول على منظار وتأملت

بإمعان كل الممرات، لكنها لم تستطع رؤيته.

سمعت تعليقاً وراءها فاستدارت. وعندها أدركت ما هو سبب كل هذا الحماس. وبسرعة أدارت التلسكوب نحو الجبل العالي وراء ممرات التزلج.

وركزت نظرتها على الجبل. شهقت ليزا برعب ما إن لمحت جسم نك المميز مرتدياً بذلة سوداء، وهو يقفز بالمظلة عن فوق قمة جبل. حلق وسقط على جهة الجبل، وجسمه الكبير يلتف ويدور فوق القمم الصخرية من دون اعتبار مطلق لحياته أو لجسده.

اختفى اللون من وجهها، وقفز قلبها إلى حلقها بينما كان جسمه يطير في الهواء، توقعت في كل لحظة أن يصطدم بأية قمة ويتحطم أمامها. راقبته حتى اختفت مظلته أخيراً وراء جبل آخر.

استدارت وساقاها ترتجفان، ثم دخلت إلى المنتجع وتوجهت مباشرة لتطلب شراباً منعشاً، وسارت نحو زاوية هادئة، ورمت بنفسها على مقعد مريح وشربته كله.

ضج قلبها كالطبل في صدرها، وشعرت بالغثيان. كانت تنهار لشدة الخوف، ليس على نفسها، بل على نك. تراءت لها صورة لجسمه الرائع محطماً وملطخاً بالدماء على الثلج الأبيض، فتأوهت بصوت عالٍ. آه، يا إلهي! لماذا يقوم بمثل هذه الأشياء؟ ما الذي يدفع برجل عاقل للمخاطرة بحياته مراراً وتكراراً بحجة المرح والتسلية؟ لا يمكنها أن تسمي ذلك رياضة، إنه عمل عديم الفائدة... جنون كامل...

اصطكت أسنان ليزا، فيما راح الغضب يملأ كل خلية وكل عصب في جسمها. ستقتله عندما تضع يديها عليه، إن لم يقم بقتل نفسه أولاً... ردة فعلها الغاضبة هذه استوقفتها، وعلى الفور أدركت ما حاولت أن تنكره طوال الأسبوع: إنها مغرمة به حتى الجنون.

لا! هذه الطريق توصلها إلى تحطم قلبها وتمزقه، إنها متأكدة من ذلك تماماً كما هي متأكدة أن الليل يتبع النهار. أصيبت بالرعب وهي تراقب نك بعد ظهر هذا اليوم، وشعرت بالألم حتى أعماقها. وهي تستطيع تخيل الألم

والعذاب اللذين ستعايشهما بسبب وقوعها في غرام رجل مثل نك.

الآن أدركت لماذا كان نك متوتراً هذا الصباح. لا بد أنه كان يعاني من التوتر والاضطراب بسبب ما سيحدث معه لاحقاً. لا عجب أنه لم يرغب في أن تأتي معه إلى المتنجع. حتى إنه لم يخبرها ما الذي يريد القيام به.

* * *

وجدت أن تناول العشاء عملية قاسية جداً. جلست صامتة بجانب نك بينما كان يتحدث هو وأصدقاؤه عن كل دورة وانعطاف قاموا بها في مغامرتهم تلك، بل في عملهم الأحمق الشهير بنظر ليزا.

في وقت لاحق قال لها نك بنعومة وهو يضمها إليه: «أنت لا تتوقفين عن إثارة إعجابي، ليزا. أعتقد أنني قلت لك ذلك من قبل، أنت امرأة لا مثيل لها بين مليون امرأة».

أبعد شعرها الأشعث عن جبهتها وهو يتابع: «كنت متأكداً أنك ستصابين بالجنون اليوم إن اكتشفت ما الذي أفعله، ومع ذلك لم يزعجك الأمر مطلقاً. شكراً لك».

استدارت ليزا قليلاً، ونظرت إلى عينيه السوداوين. رأت فيهما الدفء والعاطفة حقاً، فاحتاجت إلى ما لديها من قوة لتقول ما يجب عليها قوله: «لا حاجة لأن تشكرني، نك. إذا أردت أن تقتل نفسك فهذا خيارك. أنا سأرحل من هنا يوم الجمعة القادم، وسأعود إلى عملي».

شعرت بجسمه يتوتر قليلاً، لكنها تابعت: «العطلة ستنتهي قريباً».

* * *

بعد مرور أسبوع... انحنت ليزا لتنزع لوحي التزلج من قدميها، وتوقفت للحظة. يمكنها أن ترى قمم الجبال والثلوج التي تغطيها، وهي تشعر بالانبهار من حرارة الشمس في منتصف النهار، ومشت بعينيها لتبعد دمعة تؤلمها.

سيغادران إلى المطار في غضون ساعة واحدة، ومن هناك سيتجهان مباشرة إلى لانزاروت. كان عليها أن تغادر باكراً هذا الصباح، لكن نك

أقنعها بالبقاء من أجل القيام بجولة رياضية أخيرة. وعدها أنه سيعيدها في الوقت المناسب لحضور الحفلة عند المساء.

سأل نك، وهو ينزع نظارتيه، وينحني قربها: «ما الأمر؟ ألا تستطيعين نزع المزلاج؟».

نظرت ليزا إليه، فيما الاهتمام الواضح في أعماق عينيه الرائعتين جعل قلبها ينبض بسرعة. الشوق إليه، والحاجة للبقاء بقربه لم يتوقفا أبداً. هزت رأسها قائلة: «لا شيء».

نهضت على قدميها قبل أن يتمكن من رؤية الدموع في عينيها.

- من الأفضل أن نبدل ثيابنا وننطلق.

إنها نهاية عطلة مثالية، وقد أقسمت ألا تطلب المزيد. تابعت: «عليّ أن أكون في لانزاروت الليلة».

وقف نك مستقيماً وقال موافقاً: «هذا صحيح!».

شعر بالتوتر يسيطر عليه بشكل لا عهد له به من قبل. لقد انتهى كل شيء تقريباً، لكن ليس تماماً.

دخلا المبنى معاً، لكن من دون أن يمسك أحدهما بيد الآخر، وتوجها إلى غرف تبديل الثياب. توقفت ليزا ومالت برأسها إلى الوراء لتنظر إلى نك، الظلام في الداخل أغشى على عينيها بعد ذلك النور الساطع في الخارج، فلم تستطع رؤية أي شيء للحظة.

قالت: «أين سنلتقي؟».

أجاب نك: «في الطابق العلوي، على الشرفة. لكن لا داعي للعجلة. خذي قدر ما تشائين من الوقت لتصبحي جاهزة».

بعد لحظات، اعتادت عيناها على الظلام، فحدقت بوجهه الوسيم. بدا وجهه متصلباً، وتعابيره باردة وبعيدة. إنه ينسحب مبتعداً عنها، وقد شعرت بذلك طوال الصباح، إذا أرادت أن تكون صادقة. لكن، هذا ما تفعله هي نفسها منذ الأسبوع الماضي، أو ما تحاول القيام به.

بدون إرادة منها رفعت يدها لتلمس خده، لكنها لم تفعل، وبدلاً من

ذلك أعادت خصلة من شعرها إلى ما وراء أذنها. قالت وهي تتوجه إلى غرفة تبديل الثياب: «حسناً! سأفعل».

سارت والدموع تملأ عينيها وتمنعها من الرؤية.

مسحت الدموع عن وجهها بقسوة. لن تسمح لنفسها بالبكاء. لقد كانت عطلة رائعة. في غضون ساعات قليلة لن تحتاج إلى رؤية نك ثانية.

قال لها إن بإمكانها أن تأخذ الوقت الذي تريده. لكن فجأة، أرادت ليزا أن يتم الفراق بأسرع وقت ممكن. خلعت ثياب التزلج، ولم تفكر في الاستحمام. ارتدت بنطلون الكتان الذي وصلت إلى هنا وهي ترتديه، وارتدت كنزة ذات ياقة عالية ثم ارتدت السترة. أما ما تبقى من ثيابها فقد تم توضيبها ووضعها في الرانج روفر.

* * *

لم تكن كلمة متوتر كافية لتصفه. سار نك إلى الشرفة، واتصل عبر الهاتف النقال. لقد تكلم مع كارل هذا الصباح باكراً عندما كانت ليزا نائمة، وعلم أن يخت براون قد رسى في مياه تيغايوز. علم أيضاً أن عملية التبادل ستتم عند الساعة العاشرة والنصف في مكان بعيد في منتزه تيمانغيا الوطني. أمل نك أن يتوجه الشخص الذي سيقوم بعملية التبادل مباشرة إلى هنري براون، وهكذا ستتمكن الشرطة من إلقاء القبض عليهم جميعاً.

نظر إلى ساعة الرولكس في معصمه؛ إنها تشير إلى الواحدة. انتظر بفقدان صبر وهو يسمع الهاتف يرن. صلى بحرارة ليسمع من كارل المعلومات التي يريدها.

تمكن من إقناع ليزا بعدم المغادرة هذا الصباح، لكنه لا يستطيع أن يؤخرها أكثر من ذلك. على أي حال، لم يعد للأمر أهمية بعد الآن، إذ لا نية لديه مطلقاً بإعادتها إلى لانزاروت، فما إن يصبحا على متن طائرته حتى يتوجها إلى إنكلترا، في رحلة ستستغرق ساعتين ونصف. في الوقت الذي ستدرك فيه ليزا أين هي، لن يكون أمامها الوقت الكافي لتعود إلى الجزيرة.

ما زالت ليزا تشعر بالشك حياله. شعر بالقلق الذي ينتابها طوال

الأسبوع الماضي، وبينما كان يعمل على تنظيم مغادرتهما اليوم، سألته مرة ثانية عن سبب معرفته برئيسها، لكنه بدل الموضوع بمغازلتها والتودد إليها. لكن، لا يمكن إلهاؤها بهذه الطريقة إلى الأبد.

عندما ينتهي من هذا الاتصال، سيخبر ليزا بكل ما حدث... هذا إذا أجاب كارل. ازداد وجهه تجهماً مع استمرار رنين الهاتف. سيخبرها الحقيقة بأكملها. إخلاصه لنفسه ولشرفه لا يسمح له بالقيام بأقل من ذلك، وبعد ذلك سيستمران في علاقتهما هذه بدون أية أسرار.

- كارل يتكلم.

سأل نك: «ما الذي حدث؟ هل تمكنت من إلقاء القبض على براون؟».

رد كارل بصوت مليء بالفرح والنصر: «انتهت العملية. هل تصدق أن براون اتصل بدادولاس عندما غادر اليخت ليلاقيه في الفندق؟ لم يستطع مقاومة النظر إلى الماس قبل أن يسلمه إلى الوسيط من أجل التبادل، فعملنا على تصوير كل شيء وتسجيله. وصل الوسيط إلى مكان اللقاء، وأوصلناه مباشرة إلى براون في الفندق، ثم قبضنا عليهما معاً مع دادولاس».

علق نك: «هذا خبر رائع!».

* * *

وصلت ليزا إلى أعلى درجة توصل إلى الخارج عبر باب مزدوج يطل على الشرفة عندما سمعت صوت نك، فتساءلت مع من يتحدث. ثم تجمدت في مكانها عندما سمعت اسم رئيسها. تابع نك، غير مدرك أبداً لحضور ليزا: «إذاً تمكنا أخيراً من إلقاء القبض على ذلك اللص اللعين هنري براون. أتمنى أن يسجن لعدة سنين. تهانينا».

- ذلك بسبب مساعدتك، نك. استجوابك للفتاة ومراقبتها بشدة فكرة رائعة. لكن متى ستعيدها إلى هنا؟

- لم تكن مراقبة ليزا أمراً صعباً أبداً.

ضحك نك بصوت عالٍ، فالارتياح الذي يشعر به لأن القضية كلها

انتهت لا يمكن وصفه. تابع: «لكنني أريد أن أتحدث معك عنها».

اتكأ بوركه على سياج الشرفة، وترك لنظره حرية التنقل على المناظر البعيدة أمامه، باحثاً عن الكلمات المناسبة.

- أعلم أننا اعتقدنا أن ليزا متورطة مع براون في عملية السرقة عندما أوصلت الماس له، والآن لديك براون تحت الحجز في سجن إسبانيا مع كل أفراد العصابة...

أصغت ليزا برعب متصاعد وهي تسمع صوت نك الشجي يتلفظ بما يظنه بها. سارقة ماس! لم تصغِ إلى ما تبقى، فهي ليست بحاجة لتسمع كيف سيوصلها إلى السجن.

فجأة أصبح كل شيء واضحاً وصافياً كالكريستال في فكرها المصدوم. لم تشعر يوماً بالخجل والازدراء في حياتها كلها كما تشعر الآن، وليس هناك من تلقي عليه اللوم إلا نفسها.

أسئلة نك عن عملها وعن رئيسها وعن تحركاتها كانت لها غاية شريرة. كانت محقة طوال الوقت حول معرفة نك لاسم هنري براون من دون أن تخبره به لكنها سقطت تحت سحره وادعائه بالافتتان بها. أي نوع من الحمقاوات هي؟ لقد صدقت خداعه مرتين متتاليتين! الحقيقة المرة هي أنه عمل على إبقائها طوال الوقت تحت المراقبة الشديدة لأنه يعتقد أنها سارقة ماس.

شعرت ليزا برغبة قوية لتصرخ معبرة عن ألمها عبر الجبال كلها. كانت تشجع نفسها لتتمكن من قول كلمة وداع متحضرة بعد نهاية عطلة رومنسية، وذلك الكاذب، المخادع... لم تجد الكلمات المناسبة لتصفه.

اجتاحها غضب صارخ لا يقاوم. أرادت أن تمزق عيني نك. وبسرعة لا توصف من الغضب، اندفعت نحوه بقوة.

١٠ - كابوس الحقيقة

- ماذا يحدث بحق الجحيم؟

صاح نك، ما إن أخذت ليزا تضربه بقبضتها على فكه، ما جعله يهوي إلى الوراء. اندفع بسرعة نحو السياج لكنه قفز إلى الجهة الأخرى كي يتفادى السقوط عن ارتفاع ثلاثين قدماً على الأرض المغطاة بالثلوج.

رأت رأسه يتراجع إلى الوراء وجسمه الكبير يترنح، فتوقفت عن التنفس. شعرت كأنها أصيبت بالشلل من الخوف، فقد كادت تقتله! تجمدت من الصدمة وهو يقفز نحوها. أمسكت يداه القويتان بكتفيها، ولمعت عيناه بالغضب وهما تتصادمان بعينيها. تشكلت الكلمات في فمها، فقالت: «أنا...».

لم تستطع أن تكمل لتقول: آسفة.

قال بصوت كالزئير: «هل فقدت عقلك، أيتها الحمقاء اللعينة؟ كدت تقتلينني».

قوله «الحمقاء اللعينة» جعلها تستفيق من رعبها، وتنسى كل نية لها في الاعتذار. أبعدت رأسها إلى الوراء، فالتقت بنظرته الغاضبة المليئة بالمرارة بعينين غاضبتين، وقالت بسرعة: «من المؤسف أنني لم أفعل».

كبحت بقسوة الألم الذي يمزق أحشاءها. كذب عليها نك منذ البداية، وخدعها كثيراً، وها هو يسبب لها الألم لآخر مرة، وبقوة. حدقت به وقد امتد التوتر بينهما، مصممة ألاّ تبعد نظرها، وألاّ تظهر أية إشارة من الضعف. فهي تبدو ضعيفة جداً عندما يتعلق الأمر بنك.

همس نك بنعومة: «ما الذي قلته؟».

أخيراً كسر الصمت الذي طال بينهما، ومن خلال أصابعه التي تضغط بقوة على كتفيها، علمت أنه بالكاد يستطيع السيطرة على غضبه.

قالت بصوت لا حياة فيه: «سمعتني جيداً. لكن لا تقلق، نك. يكفيني أن أُعرف باللصة، فلا داعي لأضيف على اسمي صفة قاتلة أيضاً».

أبعد نك يده عن كتف ليزا، وأمسك بذقنها بخشونة. رفع وجهها إلى الأعلى فبات لا يبعد عن وجهه إلا قليلاً.

قال بصوت كالزئير: «كدت تقتليني وهذا كل ما لديك لتقوليه، يا إلهي! أنت غير معقولة. سمعت شيئاً لم يعجبك، فهجمت عليّ حتى بدون أن تنتظري أي تفسير لما حدث».

- تفسير آخر! ومعه ادعاءات بأنك معجب بي بشدة، وأنك تريد البقاء بمفردك معي...

علقت بسخرية وهي تشعر بصدمة كبيرة أفقدتها الإحساس بسبب الكلام المروع الذي سمعته. لكنها تمكنت من المتابعة: «لمَ لا تحاول؟ يمكنني التعامل بسهولة مع ليزا اللصة؛ بينما كان صديقك يقبضَ على رئيسي ويرميه في السجن».

تنفس نك بقوة وقال: «لا، ليس الأمر كما تظنين».

حدقت ليزا به وقالت: «كان عليّ أن أعلم أن هناك أمراً ما وراء تصرفك. فأنت لم تتحدث معي خلال سنين. وكنت دائماً تعتقد أنني فتاة عابثة، لكنني لم أتصور مطلقاً أن تعتقد أنني لصة أيضاً».

- ليزا...!

تخلّصت من قبضته، وحدقت فيه بمرارة وهي تقول: «لا تزعج نفسك بإنكار ذلك، نك. فقط قل لي: كيف تمكنت من التودد إلي، وأنت تفكر بي كذلك؟».

رد بغضب: «لم أعمل على إغوائك أبداً، وأشعر بالندم لأنك سمعت شيئاً أغضبك، لكن...».

قاطعته: «لكنك فكرت حقاً أنني لصة».

رأت اللون الداكن يحتقن تحت بشرته. إنه غاضب جداً، لكنه لا يستطيع أن ينكر ذلك. قال بصوت كالصرير: «أنت لا تفهمين ما يجري.

يمكنني أن أفسر لك».

لمعت عيناه بشدة وهو ينظر إليها. لقد كذب على أفضل صديق لديه ليحمي هذه المرأة، وما الذي حصل عليه بالمقابل؟

- ليس هناك ما تفسره؛ فأنا أعرف كل شيء الآن.

لقد استمالها إليه بخبرته الطويلة وهي سمحت له أن يفعل، بينما كان يفكر أنها لصة طوال ذلك الوقت. لا تحتاج إلى التفاصيل، كل ما تحتاج إليه هو أن تبتعد من هنا قبل أن يسيطر عليها الألم كلياً وتنفجر بالدموع.

- أنت مجرد كاذب، وفاسق، ولا أريد مطلقاً أن أراك ثانية في حياتي.

استدارت على عقبيها، واتجهت مباشرة نحو الدرج.

وصلت ليزا إلى المخرج عبر الطابق الأرضي، ثم توقفت وهي تشعر بألم حاد في عينيها بسبب وخز دموعها التي لم تنهمر.

تذكرت اليوم الأول الذي أخذها فيه إلى إسبانيا وعانقها. لقد تركته يفعل، بل رحبت به بذراعين مفتوحتين. لأول مرة في حياتها تقابل رجلاً يجعلها تحطم القيود التي تضعها حول نفسها وحول عاطفتها.

أدركت ليزا الآن أن نك كان يستجوبها ليحصل منها على المعلومات التي يريدها، مع الإبقاء عليها تحت المراقبة الشديدة لأجل صديقه كارل دالك. فكرت في الأوقات التي كان يبعد شكوكها فتتلاشى كأنها غبار. إنها تعلم الآن أنه كان عليها أن تثق أكثر بحدسها. كان عليها أن تعرف أنه يفكر بها كفتاة مستهترة، وليس من الصعب عليه أن يعتبرها لصة أيضاً.

تنفست بعمق لعدة لحظات، ونظرت حولها. رأت الرانج روفر وحقائبها في داخله، لكنها لم تهتم لذلك مطلقاً. ستأخذ أية سيارة تقلها من هنا؛ فعليها الابتعاد من هنا فوراً. لديها جواز سفرها وبطاقات ائتمان، وهي ليست بحاجة لأي شيء آخر.

- انتظري، ليزا.

أمسكت يد نك القوية بذراعها. حاولت بغضب شديد أن تنزع يده، لكنه ضغط على ذراعها بقوة وهو يقول: «هذا السنيور لانسيو».

عندها فقط لاحظت الرجل القصير السمين الواقف قربه.

- طلبت منه أن يوصلك إلى المطار، طائرتي بانتظارك، والربان لديه المعلومات الأكيدة ليأخذك مباشرة إلى المكان الذي ترغبين به.

دفعها نحو الرانج روفر، وتوقف قليلاً ليسمح للسنيور لانسيو أن يفتح لها الباب، ثم ترك ذراعها وهو يتابع: «كوني ضيفتي».

- لا شكراً لك. لقد كنت ضيفتك لمرة...

ردت عليه بغضب، واصطدمت عيناها بعينيه وهي تتابع: «... ولم يعجبني مطلقاً ما آلت إليه الأمور».

- لن يكون هناك ما يقلقك. فكما طلبتِ، لن أتواجد معك في أي مكان بعد الآن.

نظرت ليزا إلى الجيب، ورأت السنيور لانسيو يصعد على مقعد القيادة ويبدأ بإدارة المحرك. نظرت ثانية إلى نك. على الأقل ستتمكن من الرحيل بعيداً عنه بسرعة أكبر بهذه الطريقة، فصعدت إلى السيارة. ربطت حزام الأمان وحدقت إلى الأمام مباشرة بينما كان لانسيو يقود السيارة بعيداً عن المرآب. ذكرت نفسها أن عليها ألاّ تنام كما فعلت في المرة السابقة، وإلاّ ستجد نفسها ربما في تمبكتو!

* * *

جلست ليزا في القطار السريع وهو يجتاز طريقه تحت مدينة لندن، وتساءلت إن كان الأسبوعان الماضيان مجرد حلم أم كابوس. تراءت لها صورة نك مانانديز حية في مخيلتها في آخر مرة رأته فيها. كان يقف بجانب الرانج روفر، ووجهه الوسيم قاسياً كصخر الغرانيت، وعيناه متجمدتان وهما تنظران إليها.

أغمضت ليزا عينيها، وهي تفكر بالأمر. الآن، حصل نك على الضحكة الأخيرة في قصتهما، تباً له! استقلت طائرته الخاصة، وعندما هبطت أدركت أنها ليست في لانزاروت، بل إنه أرسلها لتعود إلى لندن.

ما إن أصبحت في شقتها، حتى حاولت جاهدة الاتصال بالفندق لتعلم

إن كان هنري براون موجوداً. لكنها لم تصل إلى أية نتيجة، فقد رفضوا أن يتحدثوا عن زبائنهم عبر الهاتف، عندئذٍ قالت لهم إنها نزيلة لديهم هي أيضاً، لكنها علمت أن لا أثر مطلقاً لاسمها في سجلاتهم.

أمضت عطلة الأسبوع كلها في شقتها، تتقلب بين ذرف الدموع على حب لم يولد، وغضب على رجل تسبب لها بهذا الألم كله. أما في اللحظات التي تكون فيها أكثر حكمة وتعقلاً، فكانت تتجول في الشقة، محاولة أن تستوعب لماذا كانت حمقاء جداً لتقلبل عرض هنري براون المرتجل بشأن العطلة المجانية. والأسوأ من هذا كله، لماذا سلمت الرزمة له؟ لا بد أنها الماس الذي تحدث عنه نك مع صديقه، أدركت كل ذلك، وانتابها خوف شديد من عاقبة عملها. إن كان هنري براون مذنباً بجريمة سرقة الماس، إذاً هي، وبدون شك، شريكة له. تراءت لها السنوات التي ستمضيها في سجن إسبانيا بكل كوابيسها.

ما إن توقف القطار في المكان الذي تقصده ليزا، حتى نهضت واندفعت في طريقها خلال حشد من الذين يرغبون في استبدال بطاقتهم، ثم خرجت إلى الشارع. رفعت ياقة معطفها حول عنقها، وأحنت رأسها لتتقي الرياح الجليدية وسارت نحو المكتب، غير متأكدة مما ستجده هناك عندما تصل، لكن كبرياءها وإيمانها ببراءتها جعلاها ترفع رأسها عالياً وهي تدخل قاعة الاستقبال من دون التلفظ بكلمة. نظرت موظفة الاستقبال الجميلة، صاحبة الشعر الأسود إلى ليزا باهتمام واضح، والفضول يشع من عينيها، وقالت: «عاد السيد ستابس وهو بانتظارك في قاعة الاجتماعات».

سارت نحو القاعة. عودة مديرها القديم عن تقاعده يؤكد ببساطة أسوأ مخاوفها. إذاً كل ما حدث حقيقة! بدقات قلب متسارعة دخلت إلى الغرفة ذات الأرضية الخشبية، وأغلقت الباب وراءها.

- ليزا... ليزا، عزيزتي!

قطع السيد ستابس المسافة بينهما على الفور، وأمسك بذراعها. ثم سحب كرسياً لها وتابع: «تعالي واجلسي».

شعرت ليزا بالارتياح لدعوته كي تجلس، فساقاها غدتا كالمطاط تحتها، والرعب سيطر تماماً على أفكارها.

جلس السيد ستابس عند رأس الطاولة، وأمسك يدها بيده.

- الحمد لله أنك عدت سالمة. ألوم نفسي كثيراً لتشجيعك على العمل مع ذلك المحتال براون عندما تقاعدت. لقد تمكن من خداع الجميع. ما الذي كان سيحصل لو أن رجلاً مثله تمادى في أطماعه وشروره؟ الحمد لله أنه تم القبض عليه، والشكر لك أيضاً لأن اسم شركتنا لم يذكر في القضية.

فتحت ليزا فمها غير مصدقة. السيد ستابس يشكرها...؟!

- من الواضح أن لديك أصدقاء في مراكز هامة جداً.

- أنا؟

هزت رأسها مستغربة. توقعت تقريباً أن تكون الشرطة بانتظارها، ولم تتوقع مطلقاً أن يلاقيها السيد ستابس بمثل هذا الترحيب وهو يبتسم لها، سألت: «ما الذي حدث؟».

قام السيد ستابس بسرد كل الأحداث لها بالتفصيل.

من الواضح أنه تم الاتصال بالسيد ستابس بعد ظهر نهار الجمعة من قبل السفارة الإسبانية. وأثناء الساعة التي قامت فيها الشرطة الإسبانية باستجوابه، علم أن مديره الأعلى هنري براون هو سارق ماس، وقد استعمل حساب الشركة ليستأجر يختاً ينقل فيه الماس بمساعدة بحارة لصوص، أصبحوا الآن جميعاً في الحجز.

أمضى السيد ستابس صباح نهار السبت في المكتب ليؤمن للسلطات الإسبانية كل الوثائق التي طلبتها. ثم، ولدهشته وارتياحه معاً علم من الشرطة الإسبانية أن لديهم السلطة ومن خلال السنيور نيكولاس مانانديز أن يعلنوا براءة شركة ستابس وشركاه لأن لا صلة لهم مطلقاً بالجريمة، كذلك الأمر بالنسبة للآنسة ليزا سومرز، التي جُرّت إلى مسرح الجريمة عن غير قصد وساعدت بالقبض على اللصوص. غادر عناصر الشرطة وهم يؤكدون له أن المحاكمة سوف تتم في إسبانيا، ولن تصل الأخبار إلى

الصحافة البريطانية، لكن حتى لو حدث ذلك فليس هناك ما يخشونه، لأن شركة ستابس وشركاه واسم الآنسة سومرز لن يذكرا في العلن.

لم تستطع ليزا أن تستوعب كل ما سمعته. جلست مذهولة بينما كان السيد ستابس يعبر عن امتنانه لها. شيئاً فشيئاً أدركت أن السبب الوحيد لعدم وجودها الآن في سجن إسبانيا هو تدخل نك.

- يا إلهي، ليزا! ألديك فكرة كم كنت محظوظة؟ في اليوم الذي غادرت فيه لانزاروت قتلت موظفة الاستقبال في متجر الأدوات البصرية من قبل اثنين من أفراد العصابة. هذا ما يحدث عادة عندما تبدأ العصابة بالانهيار. فهم يبحثون عن كل شخص له علاقة بالجريمة. لقد اتصلوا بالفندق الذي كنت تنزلين فيه في طيغيوز، للبحث عنك، وعلموا أنك في إسبانيا مع السنيور مانانديز. من المحتمل أنك كنت التالية على قائمتهم.

فتحت ليزا فمها مرتعبة وقالت: «أنا؟!».

هي من رأت موظفة الاستقبال عندما ذهبت إلى المتجر، ومنذ تلك اللحظة انقلبت الأمور إلى كابوس حقيقي.

- نعم، يا ابنتي. لدى مانانديز فريق حراسة دائم حول منزل عائلته، كما أنه أخذك إلى مكان أكثر أماناً. من المحتمل أنه أنقذ حياتك، لأنه تم القبض على اثنين من أفراد العصابة بعد مرور أربعة أيام، وهما يحاولان السفر إلى مالاغا. إنه مكان قريب جداً من منزل مانانديز، حيث كنت تقيمين. أليس كذلك؟

أخيراً أنهى السيد ستابس كلامه بأنه سئم التقاعد بعد مرور شهرين، وهو يرغب بشدة بأن يعود إلى العمل، وبالطبع بإمكان ليزا أن تستأنف عملها كسكرتيرة له. لكن ليزا لم تكن تصغي إليه، بل كانت تهيم في عالم خاص من الصدمة والدهشة.

* * *

ما إن ثبتت ليزا حزام الأمان حول جسمها، سألتها أمها: «هل تشعرين بالانزعاج عزيزتي؟ تبدين شاحبة».

شاحبة ليست الكلمة المناسبة، مرتعبة هي الكلمة الأفضل. فكرت ليزا باستياء بما تنوي القيام به. مضى أكثر من شهرين على مغادرتها إسبانيا، وها هي الآن تعود إلى هناك. حاولت أن تقول لنفسها إنها ببساطة قبلت دعوة آنا مانانديز لقضاء عيد الفصح مع أمها في منزلها. لكن الحقيقة هي أنها تأمل برؤية نك، فهي تدين له باعتذار كبير، ومن المحتمل أنها تدين له بحياتها أيضاً.

بعد لقائها مع السيد ستابس، عادت ليزا إلى شقتها الصغيرة في كنسنغتون وهي في حالة من الارتباك المطلق. تفهمت القضية كلها، حتى لو كان نك قد شك بأنها متورطة في عملية السرقة، فقد عمل المستحيل ليحميها. أبعدها عن لانزاروت إلى إسبانيا، ثم أخذها إلى كوخ التزلج عندما اعتقد أن حياتها في خطر، محافظاً على سلامتها بينما كان المجرمون يحيطون به. وبحسب ما قاله السيد ستابس، أقنع نك كارل دالك، صاحب الماس، بأن يسقط أي اتهام بحقها لأنها قامت بنقل الماس في الجزيرة.

تبين لها إثر هذه الأحداث أن نك ليس ذلك الكاذب والفاسق الذي ظنته، بل هو بطل، ومن المحتمل جداً أن يكون قد أنقذ حياتها، هي تعلم الآن أن كل ما قام به هو من أجلها، ليحمي اسمها وسمعتها.

ليلة بعد ليلة، عانت ليزا من الشوق وهي تتذكر الأوقات التي أمضياها معاً. صممت ألاّ تقع في غرام نك، لأنها خشيت أن تصاب بالألم. أقنعت نفسها أنه ليس من النوع الذي يفكر في الارتباط، أما الآن فهي تظن أنها لو كانت صادقة معه، لربما...

قريباً جداً ستكتشف كل ما يقلقها. خلال الأيام الثلاثة الماضية، أمضت ليزا ساعات وهي تحضر كلاماً من الاعتذار والشكر، وهي مصممة على أن توصل الكلام بنفسها إلى نك إن استطاعت ذلك، أما بشأن الباقي، فهي تستطيع أن تأمل فقط...

- إنني بخير.

ابتسمت ليزا لأمها ابتسامة مختصرة، وتراجعت إلى الوراء في مقعدها،

وهي تشعر بمعدتها تتمزق من الخوف والتوقع. في غضون ساعات قليلة ستصبح في منزل عائلة نك، وهي تأمل بأن تراه هناك.

* * *

جلست صامتة في غرفة الجلوس الصغيرة التي تخصصها آنا مانانديز لنفسها. بعد الانتهاء من التحيات والترحيب المتبادل وتناول الشاي، لم تستطع ليزا المشاركة في الحديث الدائر بين أمها وصديقتها.

من الواضح أن أمها وآنا سعيدتان جداً برفقة بعضهما البعض، أما هي فشعرت بنفسها كأنها متطفلة عليهما. رغبت بشدة أن تسأل إن كان نك في الجوار، لكنها لم تجرؤ على السؤال.

- لا بد أنك تشعرين بالملل، ليزا.

ابتسمت آنا لها وهي تجلس بجوار أمها على الأريكة المريحة وتابعت: «لِمَ لا تصعدين لترتاحي، أو تتجولين قليلاً؟ إنه يوم مشمس ورائع».

- حسناً! إن كنتما لا تمانعان.

نهضت ليزا على قدميها بسرعة؛ ربما تلتقي بنك إن كان هنا، أو قد تسأل مانويل بطريقة ما عن مكانه. ففي وضعها الحالي من التوتر والترقب، أي شيء هو أفضل من الجلوس وعدم القيام بأي شيء.

- ستتنزلين في الغرفة الزرقاء مرة ثانية ليزا. أخذ مانويل حقيبتك إلى الغرفة. يمكنك المغادرة، فأنا وباميلا لدينا الكثير من الكلام.

تشاركت السيدتان بالابتسام، وتابعت آنا: «سنراك ثانية هنا عند الساعة السابعة لتناول شراب ما. العشاء يقدم عند الساعة الثامنة. فكرت في عشاء هادىء لكما في الأمسية الأولى. سنكون نحن الأربعة فقط إن وصل نيكولاس، فأنا بالكاد تمكنت من رؤيته طوال الأسابيع الماضية».

شعرت ليزا بدقات قلبها تتسارع وحاولت جاهدة ألاّ تحمر خجلاً. تمتمت قائلة: «حسناً! إنه رجل أعمال، ولديه الكثير من المشاغل».

لكن الفكرة الأهم التي شغلت ذهنها هي أنها ستتمكن من رؤية نك الليلة.

– هذا ما يقوله لي دائماً، لكن كلنا لدينا الكثير من الأعمال. أليس كذلك؟

واستدارت آنا وابتسمت لبام.

علمت أن المرأتان لن تفتقدانها إن تركتهما، فقالت: «إن كنتما تعذرانني، سأذهب إلى غرفتي».

وسارت متجهة نحو الباب، ثم غادرت الغرفة.

* * *

رفعت ليزا شعرها إلى قمة رأسها، وتركت عدة خصل لتحيط بوجهها وعنقها، كما ارتدت فستاناً من الحرير الأزرق.

نظرت إلى انعكاس صورتها في المرآة. شريطان ناعمان على كتفيها يرفعان صدر الثوب بينما يلتف القماش حول جسمها الرشيق ليصل إلى ركبتيها. قالت لنفسها إنها لا تبدو سيئة. وأخيراً انتعلت حذاء مرتفع الكعبين، وأصبحت جاهزة.

أخذت نفساً عميقاً وغادرت الغرفة. سار مانويل برفقتها إلى غرفة الجلوس الصغيرة، وما إن وصلت حتى توقفت في مكانها. رأت نك هناك يسكب الشراب، وقد بدا جذاباً بشكل لا يوصف، وكأن شخصيته العالمية التي تشغل الصحف معروضة أمامها. حضوره القوي خطف أنفاسها، وللحظة لم تعد قادرة على التفكير بأي شيء.

قالت آنا: «آه! ليزا، تبدين رائعة».

تخلصت ليزا من ذهولها ونظرت حولها. رأت أمها وآنا جالستين على مقعدين مريحين، وقد بقيت الأريكة شاغرة. تمتمت: «شكراً لك».

سارت نحو الأريكة وجلست قبل أن تفضحها ساقاها المرتجفتان. قالت آنا محدثة ابنها: «نيكولاس، ألا تبدو ليزا رائعة؟».

رفعت ليزا عينين حذرتين إلى حيث يقف نك قرب طاولة الشراب. جالت نظرته القاسية بوقاحة عليها، وتمهل للحظة وهو ينظر إلى وجهها قبل أن تلتقي عيناه بعينيها.

– مرحباً، ليزا.

أحنى رأسه المتفاخر قليلاً بالتحية وتابع: «نعم، تبدين جميلة».

حدق بها ببرودة، فعلمت أن الإطراء هو فقط لإرضاء أمه، وليس لها.

استجمعت الشجاعة القليلة التي لا تزال تملكها، وقالت بهدوء: «أرغب في التحدث إليك، نك».

بدأت أمها وآنا باستعادة ذكريات الماضي مرة ثانية، وقد تكون هذه هي الفرصة الوحيدة لديها.

جلس على الأريكة بجانبها، وجسمه يبعد قليلاً عنها. اتكأ بارتياح على الوسائد وراءه وقال: «إذاً تحدثي».

بدأت ليزا كلامها: «أريد أن أعتذر عن...».

قاطعها نك بحدة وهو يحرك يده الأنيقة ليصرفها عن الموضوع برمته: «الاعتذار مقبول عن أي أمر كان، ولا داعي للتحدث عن الموضوع. لم يعد لذلك أية أهمية بالنسبة لي».

أدركت ليزا أنها هي من لم تعد لها أية أهمية بالنسبة إليه.

مرّ العشاء كالكارثة. بدا نك ساحراً مع باميلا وآنا. لكن في كل مرة تحدث بها إلى ليزا، كان يتحدث بتهذيب.

شعرت ليزا بالارتياح عندما انتهت من تناول الطعام وعادوا إلى غرفة الجلوس ليشربوا القهوة، لكن ليس لوقت طويل. في غضون دقائق أعلنت أمها وآنا عن رغبتهما في الذهاب إلى السرير. أما تعليق آنا وهي مغادرة فقد جعل ليزا تحمر خجلاً من الإحراج.

– نك، من الأفضل أن تبقى هنا الليلة. ليزا، أنا أعتمد عليك لإقناعه بألاّ يغادر، ويقود سيارته كالمجنون.

ضحك نك بصوت عالٍ على تعليق أمه. وقال: «أستطيع الاهتمام بنفسي أمي... عمت مساء».

علقت ليزا ما إن غادرت المرأتان: «لا أعتقد أن الأمر مضحك، فأمك قلقة عليك».

www.elromancia.com

حدق نك إلى حيث تجلس ليزا؛ بدت جميلة جداً وفاتنة بشكل لا يمكن وصفه. لقد قلبت حياته رأساً على عقب، وملأته بإحساس لم يفكر يوماً بأنه موجود. وقد أمضى الأسابيع الماضية كالمجنون بسببها.

لم يستطع أن ينام أو يعمل بسبب التفكير بها. بات يبالغ في كل ما يفعله؛ يقود بسرعة قصوى، يمارس شتى أنواع الرياضات القاسية، ويعرض نفسه لكثير من المخاطر، وذلك كله بسبب خطأ منها. مع ذلك ها هي تجلس هناك، وتبدو فاتنة جداً وهادئة، كأنها لم تتعرض لليلة أرق في حياتها كلها. أراد أن يخنقها، لكن الذي يريده أكثر هو أن ينسى نفسه بين ذراعيها.

بالرغم من ذلك، لم يظهر أي أثر للأفكار الغاضبة على وجهه الوسيم وهو يجيب: «أعتقد أنكم الشعب الإنكليزي مغرم بالسخرية. ألم يخطر ببالك كم هو مضحك أن تطلب أمي منك بالذات الاهتمام بي، بينما، في آخر مرة التقينا فيها، كدت تقتلينني؟».

– قلت لك إنني آسفة. أريد أن أعتذر عن كل الكلام المهين الذي قلته...

بدأت ليزا بخطابها من جديد وهي تشعر بالاحراج والخجل من أفعالها، لكنها حاولت أن تبقى هادئة. تابعت: «كما أنني أريد أن أشكرك».

نظر نك إليها بعينين قاسيتين كأنه يقوم بتقييمها. لا مجال مطلقاً لأن يسامحها لمجرد اعتذار بسيط. ليس بعد كل ذلك التوتر والقلق اللذين جعلته يمر بهما.

رد بسخرية: «أحقاً تريدين أن تشكريني؟».

التقت عيونهما، فتململت ليزا من قساوة نظرته. ازداد وجهه قساوة وهو يبتسم بتهكم ويتابع: «إذاً افعلي. لكن طالما أنني باق هنا فسأعود إلى غرفتي، وأنت تعلمين أين هي».

بهذا الكلام المقتضب غادر الغرفة. سار نك عبر القاعة، وقد علا وجهه الوسيم تجهم عميق. لم يشعر يوماً بالراحة التي شعر بها عندما أخبرته

الشرطة أن ليزا بريئة. على الأقل امتلك ذلك المحتال براون النزاهة الكافية ليبرىء مساعدته الشخصية. مع أن نك لم يشك بنزاهتها فعلاً، لكن هذا يعني أنها بريئة عن جدارة واستحقاق.

عليه أن يكون سعيداً لرؤيتها ثانية، لكن بدلاً من ذلك ها هو يشعر بغضب شديد. والآن إن لم تأتِ إلى غرفته، وهذا أمر مستبعد جداً، يكون قد أضاع الفرصة للقائها ثانية.

في البداية شعرت ليزا بالصدمة، ولم تستطع التحرك. جلست ببساطة على الأريكة تحدق بالباب المغلق. لقد ابتعد عنها، حتى إنه لم يقل مساء سعيداً. كيف يمكن له أن يكون بمثل هذه الفظاظة؟ في تلك اللحظة أدركت كم هي حمقاء، فنك رجل فخور جداً بنفسه. لقد ضيّع وقته وصرف المال، كما قال السيد ستابس، من أجل إنقاذها من حماقة أعمالها. أما هي فراحت تقاومه وتتشاجر معه في كل خطوة وطوال الوقت.

نك مشهور بقساوته. فما الذي توقعته؟ هل توقعت أن يرحب بها بذراعين مفتوحتين، يقول لها إن كل ما حدث قد انتهى، ويعلن لها عن حبه الذي لا يموت؟ ربما يحدث ذلك في أحلامها! لكن في الواقع، يعود الأمر لها لتجعله يصغي ولتطلب منه السماح. لقد فهمته بطريقة خاطئة جداً.

أخيراً اتخذت قرارها. ببطء شديد، نهضت ليزا على قدميها. رمى نك لها القفاز كما كان يفعل الفرسان في العصور الماضية، وهي تشعر برغبة غريبة في أن تمسك به وتعيده إليه.

١١ - حب إلى الأبد

شعرت ليزا كأن عدداً من الفراشات تتطاير في معدتها. ما إن وصلت إلى الباب، أدارت المقبض وفتحته، ثم دخلت. إنها غرفة واسعة، يتوسطها سرير كبير وينيرها مصباحان صغيران. ابتلعت غصة بصعوبة، وسارت إلى الأمام. جالت بنظراتها في أرجاء الغرفة فرأت مدفأة تحتل جداراً بأكمله.

وقف نك بجانب النافذة، مديراً ظهره لها؛ كان قد خلع سترته ورأت ليزا التوتر القوي في عضلات كتفيه الواسعتين. تمتمت اسمه وهي تقف على بعد خطوات منه: «نك».

استدار نك ونظر إليها بتهكم وهو يقول: «ها أنت هنا إذاً! لماذا أتيت ليزا؟».

ما إن رآها تقف أمامه، وجهها الجميل شاحب وعيناها الرائعتان تتجولان بعصبية في الغرفة، حتى شعر أن كل ما يريده هو أن يخفف عنها.

- لأنني أريد...

كادت تقول «أريدك»، لكنها توقفت عن لفظ ذلك في الوقت المناسب، وتابعت: «... أن أعتذر بطريقة صحيحة عن كل الأقوال المريعة التي قلتها لك».

رؤيته، بشعره الأشعث الذي بدا وكأنه مرر يده فيه مراراً، شغلت انتباهها، فحاولت بقوة أن تتذكر الكلام الذي أعدته سابقاً.

تابعت: «أريد أن أشكرك أيضاً على إنقاذي من وضع خطر ومزعج جداً».

قالت لنفسها: ركزي على وجهه! لكن عندما التقت عيناها بعينيه بات من الصعوبة أن تتذكر ما تريد قوله.

- أنا... أنا...

تلعثمت ليزا وهي تشعر بلهب الغضب الواضح في عينيه، لكنها رفعت ذقنها، وتابعت بشجاعة: «أعلم أنك فعلت ذلك إكراماً للصداقة التي تجمع أمي وأمك وليس من أجلي».

توصلت إلى هذا الاستنتاج عبر الساعات الطويلة التي أمضتها وهي تفكر بما حدث قبل أن تأتي إلى هنا.

- لكنني حقاً لم أكن أعلم أن هناك ماس في الرزمة التي طلب مني هنري براون تسليمها، وهذه هي الحقيقة بصدق. إن كنت مذنبة بأمر ما، فهو أنني تصرفت بسذاجة حين وافقت على القيام بما طلبه مني براون، كما قبلت بالعطلة المجانية. لا أستطيع التصديق أنني وقعت في ذلك الفخ...

هزت رأسها غير مصدقة وتابعت: «كل ما أستطيع قوله للمدافعة عن نفسي هو أنني عملت فقط لدى السيد ستابس من قبل، وهو حقاً سيد نبيل. وأنا بسذاجة، اعتقدت أن هنري براون مثله».

فكرت، كم تبدو غبية بما قالته، ونظرت إلى نك؛ إنه بطلها، ومنقذها، وهي بحاجة لتخبره أن أفعاله لحمايتها لم تكن في غير مكانها. لكن الأهم من ذلك هو أنها تريده أن يصدقها.

نظر نك إلى عينيها الزرقاوين القلقتين... إنه رجل متكبر، لكنه ليس أحمق، وها هي ليزا قد أتت إليه. كما أنه ليس أعمى... لمعت عيناه بشدة وهو يلاحق حركة يديها على وركيها النحيلين، وهما تشدان على القماش الضيق فوق جسمها الرائع، ونقل نظره ببطء إلى وجهها.

هذا ما يحبه فيها، شجاعتها في مواجهته، على رغم التهور والعصبية في شخصيتها، وهو لا يريدها إلا كذلك.

- لِمَ لا تجلسين، ليزا؟ ارتاحي.

تنفّست ليزا بارتياح أكبر، وعلى الفور جلست على المقعد بالقرب من النار، وراقبت نك يجلس على الكرسي المقابل.

قال: «أترغبين بشراب ما؟».

شعرت ليزا أن عليها أن تقول شيئاً ما فقالت: «هل من الحكمة تناول

أي شيء هنا؟».

رد نك بهدوء: «من النادر أن أعمل بصفة الحكمة وأنا بقربك».

ملأ كوبين بشراب ذي رائحة عطرية، ثم سار نحوها وقدم لها كوباً، قبل أن يجلس على الكرسي المقابل ويرفع كوبه إلى شفتيه. نظرت ليزا إليه متوترة، ثم ارتشفت رشفة صغيرة من شرابها قبل أن تضع الكوب على الطاولة.

انحنت إلى الأمام، وقالت بحماس: «أريد أن أفسر لك، أنني لم أكن أعلم مطلقاً أن هنري براون لص. عندما أحضرتني إلى هنا، نك، اعتقدت فعلاً أنك تفعل ذلك من أجل أمك؛ لكنني أريدك أن تعلم أنني لست حمقاء بالكامل. شككت فعلاً أن هناك شيئاً ما، وكل ما يمكنني قوله، بعد عودتي إلى لندن، وبعد أن أخبرني السيد ستابس بتفاصيل القصة، أنني شعرت بالرعب».

ونظرت إلى نك من جديد وتابعت: «أعلم الآن أنك لم تنقذني فقط من الدخول إلى السجن، بل من المحتمل أنك أنقذت حياتي، مع أنه لا سبب حقيقي لديك لتثق بي. لذلك أريد أن أشكرك من...».

أعماق قلبي... هذا ما كانت تريد قوله، لكنها لم تحظَ بالفرصة الكافية. قاطعها نك، وهو ينظر إلى عينيها: «توقفي عن الكلام، ليزا. أولاً لا أعتقد مطلقاً أنني فكرت بأنك لصة. عندما ورد اسمك في تقرير وكالة التحريات الخاصة بي، والتي كانت تتولى التحقيق في قضية سرقة الماس، ردة فعلي الفورية دفعتني للسفر إلى لانزاروت كي أستجوبك بنفسي».

تابع بصدق: «أعترف أنني فعلت ذلك بطريقة ماكرة، لكن كان عليّ حماية صديقي كارل دالك، ومع أنك ما كنت تعلمين، لكنك كنت تملكين معلومات مهمة جداً لحل تلك القضية».

- أنت على حق. ما كنت أعلم أبداً.

- أحضرتك معي إلى إسبانيا لأبعدك عن أي خطر قد تتعرضين إليه،

وأيضاً لأنني أردتك بقربي. أدركت، وأنا أقودك إلى كوخ التزلج، أنني لم أشعر يوماً بالرعب بقدر ما شعرت يومها. أردت حمايتك، رغم أنني لم أكن متأكداً من براءتك المطلقة.

انشغلت ليزا بالتفكير، ولم تسمعه بشكل جيد وهو يتابع: «كلانا قمنا بأخطاء، لذلك ما رأيك بأن ننسى كل ما يتعلق بالقضية الإجرامية، ونرى إلى أين سنصل منذ الآن؟ فلنعقد هدنة».

ابتلعت ليزا غصة بصعوبة، لا يمكن أن تكون الأمور بهذه السهولة.

- هدنة... حسناً! اتفقنا.

علق نك: «لنوقع عليها بعناق إذاً».

لف ظهرها بذراعه وضمها إليه في عناق قوي. أصدر صوتاً كالأنين وهو يعانقها، فارتجفت ليزا من الشوق إليه. أغمضت عينيها، وطوقت كتفيه بيديها. هي لا تستطيع أن تنكر كم هي مشتاقة إليه، ولا تريد أن تفعل، اعترفت بصمت ما حاولت أن تنكره لشهور: إنها تحبه!

تمتم نك: «يا إلهي، ليزا، ألديك فكرة عما تفعلينه بي؟».

لمعت عيناه بشدة وهو ينظر إليها ويتابع: «هل تعتقدين أنك قوية بما فيه الكفاية لنبقى معاً مع وجود أمي وأمك في المنزل؟».

ما إن وصل معنى كلامه إليها حتى شعرت ليزا بالصدمة تجفف الحرارة من جسمها. توترت وابتعدت عنه. وضعت يدها على صدره، لتبعده عنها وقالت: «انتظر!».

ها هو نك يفعل ذلك ثانية، الاعتذار مقبول. حسناً! لنعد إلى اللهو والتسلية. لم يذكر أية كلمة عن المستقبل، ولم يذكر الحب. إنها تستحق أكثر من ذلك.

أمضت أسابيع وهي تستجمع قوتها لمواجهته، والليلة أثناء العشاء قام بتجاهلها بكل ما في الكلمة من معنى. ومع ذلك تحلت بالشجاعة الكافية لتواجهه في غرفته، بناء لطلبه، لأنها اعتقدت أنها جرحت كبرياءه وهي تدين له باعتذار كبير. صحيح أنه أنقذ حياتها، لكن هذا لا يعني أنه يستطيع

استغلالها ساعة يشاء ليرضي أهواءه فقط.

التقت عيناه بعينيها، وقال: «ليزا، ما الذي يحدث الآن؟».

- لا شيء. أتيت للاعتذار وقد فعلت ذلك.

رأت نظرة عدم التصديق على وجهه، ولمعان من الغضب في عينيه، لكنها رفضت أن تشعر بأي خوف، فقالت: «شكراً لك على ما قلته، ولكن لا».

- لكن بيننا انجذاب متبادل. لا يمكنك أن تكذبي، وتعلمين جيداً أنني أرغب بعناقك والبقاء بقربك.

منذ لحظة كادت تذوب بين ذراعيه. إذاً ما الذي حدث؟

قالت ليزا بصراحة: «ربما، لكنني أعلم أنني أريد من العلاقة أكثر من مجرد وعبث مؤقت... وأنت لست من هذا النوع من الرجال. لكنني متأكدة أننا نستطيع البقاء صديقين إكراماً لأمي وأمك».

رفعت نظرها إليه، وللحظة اعتقدت أنها رأت نوعاً من الألم في عينيه السوداوين كالليل.

- إذاً، كما تشائين.

رفع كتفيه بغير اهتمام وسار نحو الباب، فتحه وهو يتابع بسخرية: «اهربي، صديقتي».

قالت ليزا لنفسها بعد مرور ساعة، إنها فعلت عين الصواب، وهي تتقلب بعدم ارتياح في سريرها، لكنها أخيراً تمكنت من الاستسلام لنوم متقطع ومرهق.

في الغرفة المجاورة لها أنهى نك شرابه، ووضع الكوب على الطاولة ثم تمتم: «ليذهب كل شيء إلى الجحيم!».

لن تكون له ليزا مطلقاً، لقد أوضحت بشكل كامل أنه ليس من نوعها المفضل. لم تقل له أية امرأة هذا الكلام من قبل. والسخرية في الأمر أنه يسمعه من المرأة الوحيدة التي يريدها فعلاً.

لا يهم! سوف يقوم بما خطط للقيام به من قبل أن يعلم بقدومها إلى

هنا. سيسافر إلى سويسرا غداً، وسيشارك في سباق فيربير.

* * *

كانت آنا ووالدة ليزا على وشك الانتهاء من تناول الفطور عندما دخلت ليزا إلى غرفة الطعام.

قالت أمها: «تبدين مخيفة».

- شكراً، أمي. صباح سعيد، آنا.

طبعت قبلة خفيفة على وجه كل منهما، وجلست إلى الطاولة، لكنها لم تكن جائعة.

قالت آنا بصراحة: «ليس هناك أي شيء يوحي بالسعادة. عندما وافق نك على القدوم إلى العشاء ليلة البارحة لاستقبالك أنت وبام، اعتقدت أنه بدل رأيه بشأن المشاركة في سباق فيربير الذي سيجرى غداً، مع أنني كنت أعلم أنه أعلن المشاركة به».

شحب وجه ليزا، سباق فيربير! لقد سمعت به وشاهدته مراراً على التلفزيون. إنه تحدٍ للموت على شكل سباق للتزلج على الألواح في جبال الألب.

التقت عينا آنا بعيني ليزا الزرقاوين المرتعبتين، وتابعت: «غادر هذا الصباح مؤكداً أنه عقد العزم على المشاركة. سيسافر إلى سويسرا بعد ظهر هذا اليوم. توسلت إليه ألاّ يتصرف بجنون...».

رفعت كتفيها وأضافت: «... لكنه لم يهتم بما قلته. لا أعلم ما الذي حدث بينكما ليلة البارحة، لكن لا بد أنك قلت له شيئاً ما أزعجه كثيراً».

علّقت ليزا: «أنا أزعجته؟».

تدخلت أمها في الحديث قائلة: «أنا وآنا ذهبنا إلى السرير في ساعة مبكرة جداً لكي تتمكنا من البقاء بمفردكما، إذاً ما الأمر السيء الذي حدث بينكما؟».

لم تستطع ليزا أن تصدق ما تسمعه: «أنت وهي...!».

نقلت نظرها من امرأة إلى الأخرى، فحدقتا كلتاهما بها بنظرات

www.elromancia.com

متفهمة.

- حاولتما أن ترسما خطة لنا؟

- بالتأكيد. أعلم جيداً ما الذي جرى معك ومع نك وكارل دالك.

قالت آنا ذلك بحزم، فتورد وجه ليزا من الإحراج. للحظة، غير أن آنا أضافت: «ليس ابني وحده من يعرف أشخاصاً في مراكز عالية».

سألت ليزا بتردد: «أنت تعلمين بشأن عملية السرقة؟».

- بالطبع. ولا تقلقي، أمك تعرف بالأمر أيضاً. كل ما قمنا به أنا وأمك ليلة البارحة هو إعطاؤك فرصة لتتمكني من التحدث مع نك بمفردكما، فبحسب ما قاله لي سائقي، لانسيو، إنك ونك افترقتما على خصام.

مدت يدها عبر الطاولة وأمسكت بيد ليزا، ثم تابعت: «أنا أعرف ابني جيداً. إنه رجل عنيد، ولا يسمح لأحد بأن يكون مقرباً إليه. لكن أنت لك مكانة خاصة عنده، ليزا، وإلا لماذا أقدم على مساعدتك وإنقاذك من ذلك المأزق؟ لذلك أنا أتمنى لو أنك تحاولين التحدث إلى نك لكي يتخلى عن سباق فيربير. حاولت جاهدة أن أثنيه عن عزمه، وكذلك فعل مانويل. كلنا حاولنا، لكنه أحمق وعنيد ولم يهتم بنا مطلقاً. لا رغبة لدي مطلقاً في أن أرى ابني الوحيد ميتاً أو مشلولاً بسبب القيام بسباق ما. أنت أملي الأخير، ليزا، وستقدمين لي خدمة كبيرة إن تمكنت من تغيير رأيه».

تسارعت الصور في مخيلتها، وملأت فكرها صورة جسم نك الرائع محطماً عند أقدام صخر شاهق. أدركت ليزا أنها لن تستطيع متابعة الحياة إن حدث أي مكروه له، سواء أحبها نك أم لا.

إنها تحبه، حباً مطلقاً، خالياً من أية أنانية. سواء أمضى نك معها يوماً واحداً أم الحياة كلها، فهي لن تتخلى عن تلك الفرصة.

قالت ليزا: «سأحاول».

لطالما كانت جبانة تعمل جاهدة على إخفاء عاطفتها. والآن، إن كانت تريد حب نك، عليها أن تخاطر وتسأل عنه. تابعت تقول: «أخبريني فقط

كيف يمكن لي أن أجده».

ابتسمت آنا لها بفرح وتابعت: «يستطيع مانويل أن يقلّك في السيارة إلى المطار. ستقلع طائرة نك في تمام الساعة الواحدة».

* * *

شعرت ليزا أن تلك المسافة هي أطول مسافة قطعتها في حياتها. راقبت الساعة على لوحة أجهزة القياس فيما الثواني تمر والدقائق. أخيراً، وقبل عشرين دقيقة من الساعة الواحدة قفزت ليزا من السيارة باتجاه مبنى المطار.

دخلت المبنى بسرعة وأمعنت النظر إلى الحشد هناك، فسقط قلبها إلى قدميها. لم يكن هناك أية وسيلة لتجد طائرة نك في الوقت المحدد. أسرعت إلى مكتب الاستعلامات فطلبوا منها التوجه إلى حجرة جلوس الأشخاص المهمين، لكنها اكتشفت عندما وصلت إلى هناك، مقطوعة الأنفاس وهي تلهث، أنه يمنع عليها الدخول. استدارت برعب، ولم تعد تدري ما الذي ستفعله الآن، وسرعان ما اصطدمت بجسم قوي ضخم.

- آسفة!

حاولت أن تتراجع إلى الوراء، فوجدت أن قميصها الدانتيل قد علق بزر سترة الرجل؛ أمسكت الزر بإصبعها ورفعت نظرها.

- نك!

قال ساخراً: «يبدو أنك عالقة بي».

رفع يده ليغطي يدها، التي لا تزال تمسك بزر سترته.

- هل يمكنك إخباري ما الذي تفعلينه هنا، ليزا؟

للحظة طويلة نظرت إليه وهي تحاول أن تستجمع أنفاسها، فيما شعرت بالألم يعتصر قلبها. قالت أخيراً: «أتيت كي أبحث عنك».

ضاقت عيناه بشدة وقال: «لماذا؟».

- لأنني أحبك، ولا أريدك أن تشارك في سباق فيربير.

تلعثمت وتنفست بقوة، لكنها تمكنت أخيراً من قولها. نظر إليها بحزم فبدأت تتساءل إن كان قد سمع ما قالته. ثم تحرك ليضع ذراعيه حولها، قائلاً

بفظاظة: «وماذا تريدينني أن أفعل بدلاً من ذلك، ليزا؟ شيء مثل هذا؟».

وأحنى رأسه الأسود الشعر وعانقها بقوة، فلفت ذراعيها حول عنقه وشدته إليها.

أبعدها نك عنه قليلا وقال «أتذكر أنك قلت ليلة البارحة إنني لست من نوعك المفضل، ليزا، فما الذي جعلك تبدلين رأيك؟».

أتراه لم يسمع إعلانها عن حبها له؟ صدمها ذلك التوتر الواضح الذي بدا على ملامح وجهه، وكان عليها أن تفكر للحظة لتعلم عما يتحدث.

حاولت أن تفسر له وهي تتلعثم: «لا، أنا قلت... إنك لست من ذاك النوع... أقصد الذي يرغب في الارتباط. لكن لم يعد للأمر أهمية... أنا أحبك، ولا يهمني أي شيء آخر».

التحول الذي طرأ على وجهه، من البرودة والتفاخر المطلقين إلى لمعان ينبيء بالفرح والنصر، أمر يثير الدهشة. أعلن نك على الفور، وعيناه تلمعان بشدة: «من الأفضل أن تكوني فعلاً قصدت كل كلمة قلتها، ليزا، لأنني لن أدعك تبتعدين عني ثانية».

وعانقها بشدة.

عندما ابتعد نك عنها قليلاً، سمعت ليزا صوت تصفيق. لمعت عيناها الواسعتان بالحب، ونظرت إليه قائلة: «أعتقد أننا جمعنا حشداً من المشاهدين».

وانفجرا معاً بالضحك.

تمتم نك: «لنخرج من هنا».

استدار، لكن جهة من سترته كانت لا تزال عالقة بقميص ليزا. لف ذراعه حول خصرها، وضمها إليه وهما يسيران مغادرين المطار. ابتسم مانويل عندما رآهما، وبفرح فتح الباب الخلفي للسيارة.

توقفت ليزا فجأة على الرصيف وقالت: «انتظر، نك».

- هل بدلت رأيك من جديد؟

أغمض عينيه للحظة وتابع: «لا أصدق ذلك!».

ابتسمت ليزا وجلست على المقعد الخلفي وهي تقول: «لا، نسيت أن عليك الاتصال بأمك، لا بد أنها قلقة جداً عليك».

اتصل من هاتفه النقال من داخل السيارة، وبعد مرور ثلاثين دقيقة وجدت ليزا نفسها تقف في قاعة كبيرة في منزله في مالاغا.

لمعت عيناه بالمرح وبالشوق وهو يرفعها بين ذراعيه ويحملها عبر القاعة الواسعة. وضعت ليزا ذراعها حول عنقه وأسندت رأسها إلى كتفه بارتياح. أجلسها نك على الأريكة في غرفة الجلوس وجلس إلى جانبها. أمسك بيديها معاً وضمهما إلى صدره، وما لبث أن عانقها عناقاً أفقدهما الإحساس بالزمان والمكان.

قال نك: «ذهلت عندما رأيتك في المطار، لكنني سعيد لأنك أتيت».

أبعد خصلات شعرها الذهبية عن جبينها، ووضعها خلف أذنيها، ثم تمتم بصوت أجش: «حلمت بشعرك يتطاير على كتفي من جديد. أنت توصلينني إلى الجنون، ليزا، فأنت فاتنة ورائعة جداً».

بدت عيناه داكتين وهما تنظران إلى عينيها بشوق وشغف.

- أحبك. أحب كل شيء يتعلق بك، من شعرك الأشقر الرائع إلى عينيك الزرقاوين...

حف ذقنه، قبل أن يكمل: «... حتى شجارك وغضبك هما أفضل بالنسبة لي من عدم الاتصال بك مطلقاً. هذا ما قررته خلال الشهرين الطويلين اللذين ابتعدنا فيهما عن بعضنا».

أكمل كلامه ممازحاً: «هل أبدو لك يائساً بقولي هذا؟».

لا بد أنها تحلم... أم أنه أخيراً قال لها إنه يحبها؟

- آسفة جداً لأنني ضربتك ذلك اليوم. كنت أفضل الموت لو أن مكروهاً أصابك. لطالما كنت بطلي وأنا طفلة.

قالت له ذلك بصدق، ثم تابعت: «بعد حادثة الإسطبل، حاولت أن أكرهك... لكن ما إن التقيت بك ثانية حتى علمت أنني تهت من جديد في غرامك».

www.elromancia.com

تأوه نك وقال: «أحبك لدرجة اليأس».

وضمها إليه من جديد بقوة.

- نك، أريد أن أتنفس.

نظرت إلى وجهه الجذاب ورأت العاطفة ممزوجة باللطف والحب في عينيه السوداوين. سألته: «أحقاً أنت تحبني؟».

شعرت بدقات قلبه، وكاد قلبها ينفجر من الحب.

- لا تشكي بذلك مطلقاً، ليزا. لا يمكنني أن أخبرك عن مدى حبي لك.

قالت تمازحه وهي تشعر بالتوتر: «ألدرجة أنك ستنسى سباق فيرير؟».

- إنه حب يكفي لأنسى كل شيء ما عداك.

أكد لها ذلك، لكنه شعر أنها لا تزال غير واثقة مما سمعته فقرر ألاّ يترك لها أي مجال للشك بعواطفه نحوها.

- أحببتك عندما كنت طفلة في الثامنة من العمر، لكنني وقعت في غرامك كرجل عندما أصبحت في السادسة عشرة.

سألت ليزا: «ماذا؟ لا أصدقك».

ضحك نك بصوت عالٍ. فضمت ذراعيها فوق صدره وأراحت ذقنها عليهما، وهي تشعر بالافتتان والتوتر وهو يتابع: «لاحظت أنك أصبحت امرأة رائعة عندما أصبحت في الرابعة عشرة من عمرك، لكنك كنت صغيرة ليزا، وأنت صديقتي. في الصيف التالي أصبح الأمر مختلفاً. عندما كنا في نزهة وسقطت عن الحصان...».

قالت تؤكد له: «أتذكر تلك الحادثة. كنت لطيفاً جداً معي».

قال نك بعصبية: «ليس اللطف ما شعرت به حينها، اعتقدت أنك مت، وهذا الأمر نزل عليّ كجبل من الإسمنت. لم أستطع تخيل الحياة بدونك. كان علي أن أعرف حينها أنني واقع في غرامك. لكنني صرفت العواطف التي أشعر بها نحوك بتكبر».

تجهم وجه ليزا وعلقت: «وفي الصيف التالي عقدت خطوبتك على

صوفيا».

تنهد نك وقال: «صحيح، لكنني أخبرتك عن سبب الخطوبة. في الواقع، لم يكن الأمر فقط لأجل والدي. كنت أعلم أن ما شعرت به نحوك عندما تعرضت للحادث أمر خطير. فقد كنت صغيرة جداً بالنسبة لي، وجاءت الخطوبة ليس فقط لتحمي والدي، بل لتحميني أيضاً».

ابتسم لها وتابع: «إنني أكبر منك ليزا ولا أنكر أنه كانت لدي علاقات مع النساء في حياتي. لكنك الوحيدة التي أحببتها وسأحبها إلى الأبد».

- لكن... ذلك اليوم في الإسطبل... عندما رأيتني...

وكأنه قرأ ما تفكر به، فقال: «كنت أعلم أن خطوبتي أمر متفق عليه، ولا شيء أكثر من ذلك. لكن عندما رأيتك تعانقين شاباً وضيعاً، شعرت بغيرة لا توصف، فأنا من كان يجب أن تعانقيه. أدركت فجأة أنني في مكان ما في عقلي، فكرت دائماً أننا، أنا وأنت، ننتمي إلى بعضنا البعض، وشعرت بغضب قاتل. لكنني لم أستطع أن أفعل شيئاً حيال ذلك، ولهذا هاجمتك بعنف».

- إذا كان كل ما تقوله صحيحاً، فلماذا لم تبحث عني في ما بعد؟

قال وهو يبتسم: «لأنني، عزيزتي ليزا، لم أعرف الحقيقة إلا بعد أن التقيت بك ثانية. لم أستطع إلا محاولة حمايتك، لكن حتى وبعد أن أصبحنا معاً، قلت لنفسي إنها مجرد علاقة عابرة، وعندما ذهبنا إلى الكوخ اعترفت أخيراً لنفسي أنني مغرم بك».

نظرت إليه بمرح وقالت: عندما أعلنت خطوبتك شعرت بغضب كبير، شعرت بغضب أكبر عندما عنفتني في الإسطبل وناديتني بالمستهترة. قررت أن أكرهك، لكني وافقت في الڤيلا على الذهاب معك لرؤية أمك في إسبانيا، وفي ذات الوقت أملت أن تمنحني عطلة رومنسية، وإن لم يكن هناك أي شيء آخر بيننا».

اعترف نك بفظاظة: «تفاجأت بنفسي عندما عانقتك في الطائرة. أنا لست زير نساء كما تحاول الصحافة أن تصورني. أنا عادة أكثر الرجال

تحفظاً، وكانت تلك المرة الأولى والوحيدة التي أصطحب فيها امرأة بالطائرة وأعانقها. أما بالنسبة إلى العطلة الرومنسية...».

أصبح صوته أكثر عمقاً وهو يضمها إليه بقوة ويتابع: «أعجبتني الفكرة كثيراً. ما رأيك أن تستمر هذه العطلة حتى آخر الحياة وأنت بقربي كزوجة لي؟ هل توافقين؟».

اتسعت عينا ليزا بتعجب وفرح. لم يعد نك ذلك الشخص المتفاخر البارد الذي يظهر تفوقه على العالم أجمع. رأت الشك في أعماق عينيه، وعدم الثقة بالنفس، فشعرت بقلبها يطير فرحاً لشدة حبها له.

قالت تمازحه: «نعم، أوافق. مع أنه ليس العرض الأكثر رومنسية في العالم أجمع».

ضمها إليه وهو يهمس: «ستتزوج في أقرب فرصة ممكنة».

نظرت إلى عينيه السوداوين، ورأت لهباً في داخلهما. نار تشتعل وتعكس صورتها. تنهدت وقالت وهي تضمه إليها: «أنت بطلي».

بعد مرور ساعتين وجدت ليزا نفسها داخل متجر للمجوهرات مميز جداً. حيا صاحب المتجر نك مرحباً به، وفي غضون لحظات جلسا على مقاعد من المخمل مريحة جداً قرب طاولة من الزجاج، اقترب منهما موظف وسألهما إن كانا يفضلان شرب العصير أم القهوة، فطلب نك الاثنين معاً.

تمتمت ليزا: «أيجب أن نفعل ذلك الآن؟».

قال نك بنبرة بدت لها منطقية وهو يمسك يدها: «أنت من يقرر، إن كنت تريدين الظهور على العشاء الليلة أمام أمي وأمك بدون خاتم، فأنا لا أمانع».

ابتسم وهو ينظر إلى عينيها وضغط برفق على يدها، ثم تابع: «بعد أن أصريت عليّ بأن أتحدث إلى أمي من المطار اتصلت بها وقلت لها إنك أقنعتني بالتخلي عن سباق فيرير، وعن كل الرياضات المبالغ بها، وسعدت كثيراً بذلك».

تابع ببساطة: «في الواقع، لم تستطع أن تتكلم عندما أخبرتها أنني أفكر

في القيام برياضات أخرى داخل المنزل، وأنني سآخذك معي إلى المنزل كي أقوم بما يقوم به أي رجل في مثل عمري».

أنهى كلامه وهو يسخر بمكر منها.

علقت ليزا برعب: «أنت لم تقل ذلك!».

نظرت إلى عينيه، ورأت شرارات ذهبية في أعماقها، فتأوهت وتابعت: «آه! لا. لقد فعلت».

واحمر وجهها خجلاً.

استمر نك في الابتسام من التعابير التي ظهرت على ملامح وجه ليزا، عندما عاد صاحب المتجر وهو يحمل بيده صينية وضعت عليها خواتم ثمينة من الماس. شعر بيدها تتوتر في يده، فتبدلت ابتسامته سريعاً إلى تجهم. الماس ليس بفكرة جيدة، في مثل هذه الظروف. وآخر ما تحتاجه ليزا هو شيء يذكرها دائماً بعملية سرقة الماس. فكر كم هو عديم الإحساس.

- إنني آسف، ليزا.

أدار وجهها نحوه وهو يضع يده على ذقنها، ويتابع: «إنني آسف، ليزا. لِمَ لا تختارين أي نوع آخر؟».

في لحظة تبدلت الأدوار، وبدا حبيبها الذي لا يقهر على خلاف شخصيته المعتادة من الثقة بالنفس. رفعت يدها الأخرى، ولمست خده وقد شعرت تماماً بانزعاجه وقلقه، ثم قالت ببطء: «أتعلم؟ لقد أصبحت مولعة بالماس، فهو سوف يذكرني دوماً بك، نك، حبيبي».

لا يريد نك أن تتذكر ليزا في كل يوم من حياتها كزوجين أنه فكر، ولو للحظة، أنها لصة. قال بعناد: «لا! ومن فضلك، ما رأيك بحجر الياقوت، أو الروبي، أو الزمرد. اختاري ما تشائين!».

قالت تمازحه: «حسناً! لا أعرف».

لمعت عيناه بالفرح. لكن فجأة أدركت سبب توتره من خلال تعابير وجهه الحزينة، فقررت أن تخلصه من هذا البؤس الذي يشعر به.

ضغطت ليزا بأصابعها حول يده، وانحنت لتقترب منه، ثم قالت

بهدوء: «لولا الماس لما التقينا ثانية، كما أنك أنقذتني من عصابة خطرة من اللصوص. رئيسي السيد ستابس كان محقاً بشأنك. أنت جيمس بوند حقيقي».

تمتمت هامسة: «أعتقد أنني سأتذكر الماس إلى الأبد».

ثم عانقته وهي تتابع: «كما أنني سأكون لك إلى الأبد».

ضحك بقوة ثم ظهرت ابتسامة مشرقة على وجهه الرائع. رفع يدها وطبع قبلة على راحة يدها بحرارة وقال: «وأنا أيضاً لك دائماً، وإلى الأبد».

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة